٩٦١
٢

(محاضرات فى تاريخ المغرب العربى) . كتبت فى القرن الرابع عشر الهجرى .

٢ ٥ ١ ق مسطرته مختلفة ٢٤×١٩ سم

نسخة ناقصة الأول والآخر ، خطها مغربى ، مضطربة الترتيب ويتخللها بياض ونقص كثير ، ولعلها مسودة كتاب.

٣٢٠٨ز

١- شمال افريقيا أ - تاريخ النسخ

٩٦١
م ب

([illegible] المغرب [illegible]) [illegible] الشاطبي

لم يذكر المؤلف

نسخة مضطربة يتخللها بياض ونقص كثير ولعلها مسودة كتاب

[illegible] ١٤٠٤/٦/١هـ [illegible]

المقدمة

اعلم ان علم الجغرافية ضروري لعلم التاريخ متوقف عليه في الكثير من مسائله
قال بعضهم ان التاريخ والجغرافية لها عينان يبصر بالواحدة الزمان وبالاخرى المكان والجغرافية
كلمة يونانية معناها التكلم على الارض وتخطيطها ويقال الجغرافيا بالف بعد
الياء وهذا العلم يعرف عند علماء العرب بعلم التقويم وهي التخطيط والمؤدى
واحد والجغرافية تنقسم الى طبيعية ووضعية فالجغرافية الطبيعية يبحث
من هيئة الارض وكرة الهواء المحيطة بها والجغرافية الوضعية يبحث فيها من
البلدان والممالك ونسبة بعض اقسام سطح الارض الى بعض ويتفرع من القسمين
المذكورين فروع ومباحث كثيرة نذكر منها في كتابنا هذا ما يتعلق بغرضنا فنقول
اجمع علماء هذا الفن متقدمهم ومتاخرهم على ان شكل الارض كري وانها
مغمورة بعنصر الماء كأنها عنبة طافية عليه وانحسر عن نحو النصف منها
في شكل دائرة احاط الماء بها من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط ويسمى
الاوقيانوس ثم ان هذا المنكشف من الارض خلا وهو اكثر من عمرانه والمعمور
منه مقدار ربعه ينقسم الى سبعة اقاليم كل اقليم ينقسم في طوله من الغرب
الى الشرق الى عشرة اجزاء متساوية ويذكرون في كل جزء ما اشتمل عليه من البلدان
والامصار والجبال والانهار والمسافات بينها في المسالك وابتدؤوا اخذ طول الاقليم الاول والثاني
من المغرب الى المشرق من الجزائر الخالدات السبع في البحر المحيط وتسمى السعادات
وبهذا العهد تسمى كناريا وهي تقابل شطوط المغرب في البحر لجهة
الجنوب ولذلك اخذوا منها طول الاقليم الاول والثاني هذا الذي كان
مقررا عند الحكماء الاقدمين من لدن عهد فيثاغورس قبل مولد سيدنا عيسى
عليه السلام بخمسمائة سنة الى سنة الف واربعمائة واثنين وتسعين

وبنيتها وتركيبها وما اعتراها
من التغيرات وما يعتريها
واسباب ذلك وعن المواد
النافعة الموجودة في طبقاتها
وما يتعلق بذلك من جبالها
وطبقاتها الزراعية والمعدنية
ومياهها ونباتاتها وما
يعيش على وجهها من
الحيوانات ونحو ذلك
ويبحث فيها عن كرة الهواء
والجو المحيطة بكرة الارض

واتقنوا آثارهم حيث قارب
اعصارهم زمان المتأخرين
ثم لما كانت ايام المأمون بن هارون الرشيد
ثم اشتغل المأمون بن هارون الرشيد

[illegible]

المقدمة

اعلم ان علم الجغرافية ضروري لعلم التاريخ متوقف عليه في الكثير من مسائله قال بعضهم ان التاريخ له عينان يبصر بالواحدة الزمان وبالاخرى المكان والجغرافية كلمة يونانية معناها التكلم على الارض وتكتب بالالف بعد الياء ويعرف هذا العلم بعلم التقويم وبعلم التخطيط والمؤدى واحد والجغرافية تنقسم الى طبيعية ووضعية فالجغرافية الطبيعية يبحث فيها عن هيئة الارض وبنيتها وتركيبها وعن المواد النافعة الموجودة في طبقاتها وما يتعلق بذلك من ذكر جبالها ومياهها ونباتاتها ومعادنها وما يعيش على وجهها من الحيوان وما لا يعيش ويبحث فيها ايضا عن كرة الهواء المحيطة بكرة الارض والجغرافية الوضعية يبحث فيها عن البلدان والممالك ونسبة بعض اقسام سطح الارض الى بعض ويتفرع من هذين القسمين فروع ومباحث كثيرة نذكر منها في كتابنا هذا ما مست الحاجة اليه او كان من غرضنا فنقول اجمع علماء هذا الفن ~~متقدمهم~~ من المتقدمين ومتاخريهم على ان شكل الارض كري * وانها محفوفة بعنصر الماء كانها عنبة طافية عليه وانه انحسر عن نحو النصف منها في شكل دائرة احاط الماء بها من جميع جهاتها بحر ايسمى البحر المحيط ويسمى اوقيانوس ثم ان هذا المنكشف من الارض خلا في اكثر من عمرانه فالمعمور منه مقدار ربعه ينقسم الى سبعة اقاليم كل اقليم ينقسم في طوله من المغرب الى المشرق الى عشرة اجزاء متساوية وكل جزء يشتمل على بلدان وامصار وجبال وانهار ومسافات بينها في المسالك واتفقوا بطليموس في اخذ الاطوال للاقاليم من الجزائر الخالدات السبع وتسمى جزائر السعادات ولهذا العهد تسمى كناريا

* وقال بعض المتاخرين انها مسطحة تقليلا من ناحيتي قطبيها

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وهذه الاقاليم محدودة بحدود وهمية بين المغرب والمشرق متساوية في العرض مختلفة في الطول فاولها اطول من ثانيها وهكذا الى اخرها ثم لما عثر الافرنج على ارض امريكا سنة الف واربعمائة واثنين وتسعين مسيحية واول من عثر عليها واهتدى اليها اسمه كولومبوس اصله من ايطاليا عدلوا عن هذا التقسيم الذي اسلفناه وقسموا الارض الى بر بين غربي وشرقي ورسموا الكل منهما دائرة فالشرقي يشتمل على ثلاث قارات اسيا وافريقيا واوروبا والغربي يشتمل على قارتين امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية وبعضهم جعلها قارة واحدة وقسمها الى قسمين شمالي وجنوبي فعلى التقسيم الاول تشتمل كرة الارض كلها على ست قارات وعلى الثاني تشتمل على خمس ثم قسموا القارة الى ممالك والمملكة الى ولايات والولاية الى مقاطعات والاوايل لما قسموا الارض الى اقاليم سبعة كما تقدم ابتدؤوا في تقسيمها وذكر اجزائها من الاقليم الاول من جهة الجنوب ثم الثاني ثم الثالث وهكذا الى السابع وهو من جهة الشمال وذكروا في كل اقليم ما اشتمل عليه من ممالك وبلدان وبحار وامصار وانهار وغير ذلك واما المتاخرون فانهم ابتدؤوا في تقسيمهم باسيا ثم اوروبا ثم افريقيا ثم امريكا بقسميها وقسموا البحر المحيط الى اقسام خمسة بحر الباسيفيكي بباء تحتية بين ياء وبين تحتيتين وهو الواقع بين امريكا واسيا وبحر الاتلانتيكي بهمزة بعدها تاء ساكنة ثم لام الف بعدها نون ساكنة ثم تاء مكسورة بعدها ياء ثم كاف بعدها ياء وهو الواقع بين امريكا شرقا وشطوط المغرب واوروبا غربا والبحر الهندي وهو على الحد الجنوبي من اسيا والبحر الشمالي وهو حول القطب الشمالي والبحر الجنوبي وهو حول القطب الجنوبي ثم هذه البحار متصل بعضها ببعض وانما قسموها لتسهيل الوصف وقرب التحديد

مثنتين

الفصول

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فتلك القارات ~~التي قسموا الارض اليها~~ حدودها حدود افريقيا من جهة الشرق ثم وضعوا حدود افريقيا فيحدها شرقا الاوقيانوس الهندي ثم البحر الاحمر ثم بوغاز السويس ثم برزخ السويس وغربا البحر الاوقيانوس الاتلانتيكي من جهة الغرب وجنوبا الاوقيانوس الجنوبي وشمالا بوغاز طنجة والبحر المتوسط وهو البحر الرومي ثم قسموها الى سبعة اقسام وجعلوا المغرب قسما منها ~~ونحن الان نتكلم على هذا التقسيم~~ اذ غرضنا متعلق به ونسلك في ذلك طريق الافرنجيين من اهل هذا العصر التي سلكها علماء المغرب ونقتفي اثارهم فانهم ادرى ببلادهم ونضيف الى ذلك ما حدث بعدهم وذكره المتاخرون وبذلك تتم الفائدة وتحمد العائدة ~~فنقول~~ ثم اعلم ان المغرب بنسبة مركزه الى المشرق ينقسم الى ادنى واوسط واقصى ~~الشرق اهتمامنا في كتابنا هذا انما هو بالمغرب الاوسط فنتكلم اولا على المغرب كله اجمالا ونبين اقسامه بحدودها عند ساكنيه~~ ثم نفصل القول في المغرب الاوسط المعروف لهذا العهد بالجزائر ونبتدئ بالاقاليم الاول فنقول ~~ذكر~~ بطليموس وغيره من الحكماء الافرنجيين ابتدؤوا في اخذ طول البلاد من الجزائر الخالدات المقابلة لشطوط المغرب واوروبا ثم قسموا المعمور الى سبعة اقسام من الشمال الى الجنوب وان كل ~~قسم~~ يسمى اقليما وان كل اقليم اخذ من المغرب الى المشرق على طوله فاذا علمت ذلك فاعلم ان الاقليم الاول منها ~~المحيط~~ مار من المغرب الى المشرق مع خط الاستواء بحده من جهة الجنوب وليس وراءه هنالك الا البحر المحيط ويليه من جهة شماليه الاقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع ثم الخامس ثم السادس والسابع وهو اخر العمران من جهة الشمال وليس وراءه الا البحر المحيط كالحال فيما وراء الاقليم الاول في جهة الجنوب ~~الا~~ ان الخلاء في جهة الشمال اقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب وقد اسلفنا ان كل اقليم يشتمل على عشرة اجزاء فبعض الجزء الاول من الاقليم الاول مصب النيل الاتي

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ثم جعلوها اقساما وتحت كل ... ولنا ان نتكلم على قسم المغرب من اقسام افريقية اذ الخ

٣

وحيث ان ... المغرب بنسبة مركزه من المشرق ينقسم الى ادنى واوسط واقصى فلنقدم الكلام عليه ونبين اقسامه بحدودها عند ساكنيه ثم الخ

لان اكثر اهتمامنا في كتابنا هذا انما هو بذكر احواله لان المقصود الاهم عندنا في كتابنا هذا انما هو ذكر احواله غربا وهو في الاقليم الاول من جهة غربيه في البحر المحيط المعروف لهذا العهد بالاتلانتيكي من الاتلانتيكي ... الاوقيانوس ثم جزائر الاقليم ... كثيرة ... واما هي ... اكبرها ثلاثة

العلماء الحكماء الافرنجيين منهم بطليموس ... حيث ... بطول ... من

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

اعلم ان الحكماء الاقدمين بعد ان قسموا المعمور كما تقدم الى سبعة أقاليم اخذ كل واحد منها ماخذه من المغرب الى المشرق طوله ابتداوا بالاقليم الجنوبي المار من خط الاستواء يخترق من المغرب الى المشرق وقالوا انه لم يوجد فيه بالرصد وسموه الاقليم الاول وقالوا ان العمران كله في الجهة الشمالية منه واما الجهة الجنوبية منه فان العنصر المائي غمر وجه الارض هنالك الى الحد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية واخذوا اطوال البلاد من الجزائر الخالدات الواقعة في غربي الاقليم الاول.

وبناء على ذلك فنحن نتكلم على ما يخص المغرب من هذه الاقاليم على القدر الذي يجب فنقول فنقول ابتداء الاقليم الاول من الجزائر الخالدات وهي في البحر المحيط من جهة غربيه ومنها ابتدأ اخذوا في اطوال البلاد وهي جزائر سبع جزائر اصلية وحولها عدة جزائر صغيرة قال ابن خلدون وهي لم يبلغ الخبر بمعمورها [illegible] واشهرها في الغرب ثلاثة ثلاثة وكانت منقطعة عن هذا المعمور ثم لما اكتشف كشفها كريستوفر كولومبوس الايطالي وهو الذي كشف ارض امريكا عهدها سنة الف واربعمائة واثنين وتسعين كشف عليها الافرنج في اواسط المائة الثامنة من الهجرة واستولوا عليها وعمروها كلها ولم يدعوها كما زعموا ولم يكن
وكان المعمور منها قبل اكتشافهم عليها ثلاثة سوى ثلاثة جزر وهي لهذا العهد تابعة لاملاك اسبانيا

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

واما اشجارها المثمرة وغيرها واصناف فواكهها الفواكه فهو والحبوب والنباتات فيها ما لا يكاد يحصى حصرها وتعسر ضبطه وبالجملة فبلاد الجزائر كثيرة النعم طيبة التربة مخصبة البسائط منبجسة العيون متفجرة الانهار يوجد فيها من الخصب والنعم ما متصلة مادة الخيرات في الساحل فيها من انواع الفواكه البرتقال ويعرف بالبرتقان واللوز والجوز والموز والعنب والمشمش والاجاص والزنبوع ويقال له الزنباع والاترج والفستق والنخل الحسن العظيم التمر الحسن التمر حلاوة ولونا وكبرا الذي لا يوجد لتمره نظير في جميع بلاد النخل من المعمور حلاوة ولونا وكبرا وضخامة وبهاء وفيها الزيتون والليمون والعناب والخرنوب والبلوط الحلو وحب الصنوبر الا انه صغير اسود اللون وفيها التين الذي الشفراني في جبل هوارة ويعرف لهذا العهد بجبل بني شقران في جنوبه من طرف غريس من قرب مدينة معسكر قل ان يوجد له نظير في بلاد المغرب وفيها شجر البطم وهو شجر كبير له علك قريب من حصى اللبان رائحة وطعما وفيها الشجر الذي يستعمل منه العليق وشجر الدرو يشبه شجر المصطكى وله علك يشبه المصطكى طعما ورائحة وفيها من الامنان التي تنزل على الشجر من السماء القرمز ينزل على شجر البلوط فيجمعه الناس بعد جموده ويصبغون به فيخرج منه اللون الاحمر الثابت الذي لا يعرف حمرة ولا يوجد فيه ما يؤثر في غيره من ادوات الصبغ ويعرف في بلاد المشرق بالدودة فيجلبه اليها تجار الافرنج وغيرهم من بلاد المغرب والاندلس

يعرف في بلاد المغرب بالزبيب [illegible] الزبيب [illegible]

الوالده حوره وعلا له علي بيك ارشو بك
الولد حده وعلا له علي بيك وسوا سك
والد محمد بيك شمس

توفيت الى رحمة الله تعالى السيدة الجليلة الشريفة الاثيلة
الصالحة التقية الكاملة النقية والدة فعظم عليه المصاب ودعا الصبر فما اجاب عن ثمانين سنة
واقام يبكيها دهرا طويلا ويثبت من مناقبها ما خلد لها ذكرا جميلا وقوله الاديب
سليمان صولة مرثية تتضمن تعزية وتسلية وهي هذه

جاورت بالعرش في الشام محياها ... وانت يا روحها يهنيك بطحه
ولا اقول اختبى في الرمس هيكلها ... لكن اقول سماء الشمس موطاها
وهل تغيب الثريا في الثرى ومتى ... افل هذا الثرى شمسا وواراها
وكيف تحجب الاملاك في جدث ... وقد براها على الاملاك مولاها
يا يوم ان امير المؤمنين لقد ... اجريت وابل اجفاني لجدواها
كانت دموعي من الياقوت جامدة ... قرّبتها من جوى قلبي فاجراها
لله مدفنها ماذاك مقبرة ... بل روضة ملك الملوك انشاها
وانى ترى دمشق الشام من ترب ... تطيب الطيب من انفاس رياها
ان حل بين نساء الشام مدفنها ... بدرّة البحر في الاصداف مأواها
ثوت طوبى لارض بها طهرت ... لما استقرت بها من ثوى ثراها اضحى
ما كنت احسب ان الشام تعقرها ... ولا تواسي حتى بعد ناها
وكنت اعجب من سير الجبال اذا ... تسير يوما فمذ سارت رأيناها
يا ويل نعش عليها لا تذوب اسى ... ومقلة لا يذيب الدمع جفناها
ان النفوس التي تعنى اسى وجوى ... في طاعة الله تسمو ان مدحناها
وحق ما قدمت لله من عمل ... لو جاورته الليالي السود ازهاها
لو شاهدت حالنا من بعدها لبكت ... عنا وقالت كفى بليبك مرثاها
صاح انتبه فالليالي من اعاظمها ... ومرّ ما قد حلا منها وحلاّها

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وآله وصحبه وسلم

واضرع لربك واطرح حب فانية ... غرارة يرهب الاوراد مرماها
نريها وتزيينا مصائبها ... وان ابينا تعاجينا بانكاها
لاخير فيها ديار تستخيب لها ... والخيب وان نادت اجبناها
ما المجد ما المجد فيها ما الدلال وما ... الآمال والمال والاعلال سيماها
من كان يعلم ان الموت غايته ... كيف استراح لها يوما واواها
تبا الغرارة تبا الزائلة ... تبا لدار تسافينا رزاياها
تذيقنا الشرب المسموم نحسبه ... شهدا وما هو الا سم افعاها
واحسرتاه على حي تغصبه ... ودائما يترضاها ويرضاها
مغفل طرح التقوى واهملها ... وراح يلتمس الدنيا وخلاها
كانه كان في الدنيا على ثقة ... من الخلود فيا لمعبود ساواها
ومن يحقق بان الموت مورده ... يجفوا الدنية لا يهفو لمغناها
لما جفت بضعة المختار ما زهقت ... اباؤها واحتبت عن مولاها
وكيف تدهشها الدنيا بزينتها ... وجدها ترك الدنيا والغاها
ان التي انتقلت بالشمس اذ غربت ... كواكب الدر واختارت لها الله
تلك التي تنفح الآفاق طلعتها ... وتودع الطيب طيبا ما ذكرناها
اضحى التراب بديلا عن خلائلها ... وحامدات الحصى اسنى حباياها
واعتاضت الطيب عن طيب الحياة وما ... طيب الحياة بازكى من سجاياها
وفي المنية اضنت كل فاجعة ... مالم يبت قبلها لم يبق عقباها
لا وجيها انها الحق داعية ... تذكر الناس ما تنسى وتنساها
اين الملوك واين الانبياء ومن ... سادوا وما دوا اختيالا في زواياها
بادوا وما بقيت الدنيا على احد ... ولا الذي اراد تركا او وفاها

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وآله وصحبه وسلم

يا بضعة المصطفى الدنيا وما وسعت ... شاهت بليل حداد عم اجزاها
على فراقك ما ناحت مطوقة ... تبكي السماء بابكاها واتقاها
ولا تعرى السحاب الجون معشبة ... من رحمة الله تحوي طواياها

ذكر توجه الامير الى الحجاز

كان اهم شيء عند الامير بعد خروجه من برصا حج بيت الله الحرام وزيارة نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام والتبرك بتلك المعاهد الشريفة والمشاهد المباركة المنيفة وما كان يمنعه من المبادرة الى ذلك الا ما كان من امر السيدة والدته المسنة فانه كان يخدمها بنفسه ويغتنم مشاهدتها والجلوس معها والقيام بشؤونها اناء الليل واطراف النهار ولم يزل على ذلك الى ان توفيت رحمها الله راضية عنه داعية له في التاريخ المذكور انفا ثم انه تبرع الحجه ما كان مهتما به وبعد استكمال اهبة السفر خرج من دمشق قاصدا الى الحجاز في شهر رجب سنة تسع وسبعين وركب البحر من بيروت الى الاسكندرية فاهتزت الاسكندرية باهلها لقدومه واستقبله فيها سعيد باشا ووجوه الحكومة واعيانها وقابل الدول بالاعظام والاكرام ومنها توجه الى مصر لزيارة المشهد الحسيني الشريف وضريح الامام الشافعي وغيرهما من مشاهد اولياء الله تعالى واصفيائه وفي ايام اقامته هناك احتفل طوسون باشا ابن سعيد باشا بمادبة عظيمة اتخذها لوالده ودعاه اليها فكتب الباشا الى الامير يدعوه الى الحضور معه عند ولده مكتوبا هذه صورته الحضرة الامير الاجل والسيد الافضل المبجل في المفاخر والمآثر السيد عبد القادر باسم الله خير الاسما وحمدا على نعم لا تحصى ثناء كما اثنى هو على ذاته الاسمى الذي الف بين قلوب المومنين ودا ورحما وصلاة وسلاما على نبيه الذي لم يجمع في تبليغ ما امر به لومة لائم وتشتت امته اختلاص المودة فيما بينهم بقشع الولائم وعلى اله واصحابه المتادبين باداب وبعد فان ولدنا طوسون باشا حلاه الله بحلية الادب والاخلاق الكريمة احب استجلاب حسن

شرورا

العام — ارضى منا فضنعم لنا وليهنأ شكرا لله تعالى على ما بلغه من العمر العاشر ونشكرا الناس على توسيع
ثروته بالايراد الوافر وحيث ان حضرتكم لكم من مودتنا اوفى نصيب وحضوركم يحصل منه ما يحصل
من لقاء المحب للحبيب فان تفضلتم بالاجابة فنعم المشرف والمجيب ويكون تشريفكم نهار الجمعة
التاسع عشر من هذا الشهر رجب بعد الظهر هو الذى حمل على تحريره حضرة الرقيمة والواجب
حرر في ثامن عشر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين والف ثم دعاه كثير من الاعيان
واحتفلوا بضيافته ودعاه موسيو دي لسبس رئيس شركة ترعة السويس وجماعته
وامعنوا في اكرامه واحترامه وبعد ان اقام اياما في اعزاز واعظام توجه في طريق الترعة
الى السويس ومن هناك ركب البحر الى جده ومنها الى مكة المشرفة فتلقاه اميرها الشريف
عبد الله وانزله بالمدرسة المجاورة للمسجد الحرام المعظم من الناحية الجنوبية الغربية
من التكية المصرية وفي اليوم الثاني من وصوله جاءه العلماء الاعلام واشراف البلد واعاظمها
واعيانها للسلام على حضرته والتماس بركته ثم اختار العزلة عن الناس فانقطع لعبادة
الله تعالى في اوضة اختصه بها شريف مكة ثم اختار الشيخ الاستاذ السيد محمد العباسي منشا
الاستاذ اليه — الشاذلي طريقة فاخذ عليه الطريق وتلقاها عنه ولازم الجد والاجتهاد في طريق السلوك
وعلمه بها في مشاهد المشاهد الى ان رقى على معارج الاسرار الى حظائر القدس وتلك المعاهد
ووقعت له كرامات ظاهره وخوارق باهره واحرز بقوة سعوده اسرار زاهره ومظاهر باهره
واحوال سنيه وانفاس صادقة محمديه وكمالات موسويه وانوار لاهوتيه وحصل له المعراج
الاعلى في المعارف والمنهاج الاسنى في الحقائق الالهية والعوارف وما كمل له الارتقاء الا وهو
في غار حراء وذلك انه انقطع فيه اياما عديده الى ان جاءته البشرى بالرتبة المجيده ووقع
له الفتح الاكبر والسر العظيم الاشهر وتفجرت ينابيع الحكم على لسانه وفاضت عيون الحقائق
من خلال جنانه وانفتح له باب الواردات الرحمانيه والخاطرات القدسيه واستظهر من
القرآن العظيم ما يقرب الثلث منه وسنبسط الكلام في هذا في محله ان شاء الله تعالى وكان

ولا وجود

لاول وصوله الى مكة المشرفة بكاتب ويكاتب ويجيب ثم لما اشتغل بالطريق ترك الكتابة وان جاءه
مكتوب فلا يجيب عنه فلما التى يخبره بوصوله وبما اتفق له في طريقه من بيروت الى ان دخل
مكة المكرمه وكتب الى حضرة صاحب السيادة والفضيلة العلامة السيد محمود افندى
ايضا — حمزه وغيره من اهل محبته يخبرهم بما اخبرني به فاجابه العلامة المذكور برسالة هذه
صورتها الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده من الفقير صاحب التقصير محمود
الى مولاي وفوق العارف سيدي السيد عبد القادر اعلى الله تعالى في مقام المعرفة درجاته
وامدني دنيا واخرى بامداداته واعاد علي وعلى المسلمين من صالح دعواته امين اما بعد
حمد الله تعالى بمحامد تليق من عظمته لكماله والتضرع له سبحانه ان لا يحرمني بواسطتكم
مشاهدة جماله فانني تشرفت بورود كتابكم وتمتعت بلذيذ خطابكم حيث وافى وكنت اشتكى
الم الفراق الصوري منذ جفاني وحشتي وحضوري فسرى بي نوع مما بي وخفف بعض
اوصابي وكان وصوله لدي قبل وروده الى الشام بخمسة ايام وذلك اني رايت نفسي في
عالم المنام كاني اعطيت كتابا ورد من حضرتكم بخط مغربي وانا اقراه واتفهم معناه
من منطوقه ومفهومه فانتبهت واخبرت عند الصباح نجل مولانا السيد محمد بذلك فقال نعم
قد تعبرت الرؤيا بورود كتاب لنا بعد العشاء من اتباع مولانا يخبرون عن وصوله
وتم ما هنالكم بعد مرور خمسة ايام حضر السيد محمد وافاد انما تعبير الرؤيا الان لي وهذا
هو المكتوب فلما فككته وتشرفت بتلاوته ومبانيه ووقفت على ظاهره ومعانيه
قلت الان تحققت الرؤيا وحصلت على الامنية العليا وتمليت من عباراته وفهمت على قدر طاقتي
ما تيسر من اشاراته وحمدت البارى سبحانه ان كنت في خاطركم محفوظا بعين توجهاتكم
اذ ذلك بفضل الله ذخري وارجوه سبحانه التوفيق للعمل بمقتضاه وسلوكا على نهج
قضاه ورضاه

بذل نفوس في الهوى ساداتي	وضعفت بالتقصير نيل مرام
لغدو هبوا منهم نفوسا زكية	فنالوا مقام القرب اى مقام

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

والفقر في امساك نفس حقيرة	وساعده امر عظيم مرامي
فمن لي بنفس يا خليلي كريمة	فابذلها نفرا الوصل كرام

فآه ثم آه لو حصل النشاط من رباط ولكن الوثائق احكم والامر اعظم والقلب جمع والحمل خف والوسائل زغب والقاهر اغلب والعذر مردود تأباه العهود والسبب موجود والعجب انه مفقود اذا ساقني اشتاقني او ادناني ناداني واذا فكرت بقدر حيدت كل ذلك حق واعتقد انه صدق معاوز حارت في تيهها عقول الفحول ودانت لها مذعنة بالعجز عن ادراكها اعناق المعقول والمنقول فارجو من احسانكم ملاحظتي دائما والدعاء لي بالهداية وحصول العناية والوصول الى الغاية فهو تعالى جواد كريم ذو الفضل العظيم ادام الله تعالى نفعكم للعموم والخصوص من المسلمين آمين

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وآله وصحبه

ثم اقبل الامير على عبادة الله تعالى عند بيته الحرام في مسجده الحرام وتفرغ لها من كل شيء من امور الدنيا واختار الشيخ محمد الفاسي منشئ الشاذلية طريقة استاذ اليه فاخذ عليه الطريق وتلقاها عنه ولازم الرياضة والاجتهاد وعكف على ما تلك الطريق من الوظائف والاوراد الى ان رقى في معارج الاسرار الى حظائر القدس وتلك المعاهد ووقعت له كرامات ظاهرة وخوارق باهرة واحرز بقوة سعده احوالا سنية وانفاسا محمدية وكمالات قدسية وانوارا لاهوتية وحصل له المعراج الاعلى في الحقائق الالهية وما كمل له الارتقاء الا وهو في غار حراء وذلك انه انقطع فيه اياما عديدة الى ان جاءته البشرى بالرتبة السنية المحمدية ورفع له الفتح الاكبر والسر العظيم الاوفر وتفجرت ينابيع الحكم على لسانه وفاضت عيون الحقائق بين ادواح جنانه وانفتح له باب الواردات الرحمانية والمحاضرات القدسية واستظهر من القرآن العظيم آيات كثيرة ومن الحديث النبوي احاديث وفيره وسنبسط الكلام في هذا في محله ان شاء الله تعالى وبعد ان اتم حجته وادى مناسكه على التمام توجه الى الطائف واقام هناك ما يقرب لثلاثة اشهر ثم رجع الى مكة المشرفة وهو على ما هو عليه من الاجتهاد في العبادة والانقطاع اليها وكان عندما ظهر بمبيته تجلس فتنة وصفاء طوبيته كتب من خلوته الى حضرة استاذه الشيخ محمد الفاسي هذه القصيدة في بدايته ونهايته وبدء حبه ومحبة الله حرمها اولاه مريده

امسعود جاء السعد والخير واليسر	وولت جيوش النحس ليس لها ذكر
ليالي صدود وانقطاع وجفوة	وهجران سادات فلا ذكر الهجر
فأيامها اضحت فتاة دجنة	لياليها لا نجم يضيء ولا بدر
فراشي فيها حشوه الهم والضنا	فلا التنوي جنب ولا التنوي ظهر
ليالي انادي والفؤاد متيم	ونار الجوى تشوي لما فوقها الصدر
امولاي طال الهجر وانقطع الصبر	امولاي هذا الليل هل بعده فجر
اغث يا مغيث المستغيثين والها	الم به من بعد احبابه الضر

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد واله وصحبه وسلم

اسائل كل الخلق هل من مخبر … يحدثني عنكم بينعشني الخبر
الى ان دعتني همة الشيخ من مولاى … بعيدا الا جاد نوافقنى للاخير
فبشرت عن ذيلى الازار وطار بي … جناح اشتياقي ليس يخشى له كسر
وما بعدت عنى ذا الحب تهامة … ولم يثنه سهل هناك ولا وعر
الى ان انخنا بالبطاح ركابنا … وحطت بها رحلى وتم لها البشر
بطاح بها البيت المعظم قبلة … بلا حجر الا موقف ذلك الحجر
بطاح بها الصيد الحلال محرم … ومن حلها حاشاه يبغى له وزر
اتانى مربي العارفين بنفسه … ولا عجب فالشان الحى له امر
وقال جانا منذ اعواد حجة … لننتظر لقياك يا ايها البدر
فانت بنيتي منذ الست بربكم … وذا الوقت حقا خطه اللوح والسطر
بحبرك فوا عطاك من قدم لنا … ذخيرتكم فيفا ويا حبذا ذخر
فقبلت من اقدامه وبساطه … فقال لك البشرى بذاك قضى الامر
والقى على صدرى السر سره … فقيل له هذا هو الذهب التبر
واعنى به شيخي وامام شيخنا … له همة في عذبة وله الصدر
حياذى ملاذى عمدتى ثم عدتي … وكهفي اذا ابدى نوائبه الدهر
حياتي من ابدى العداة ومفزعي … مجيري مجيري عندما غمنى الغمر
وحصني رجائى بعدان كنت رهنه … والمسى عمرا لعمرى هو العمر

ومنها

محمد العباسي له من محمد … رسول الرضى والحال والشيم الغر
بعرض وتعصيب فوارثه له … هو البدر بين الاولياء وهم الزهر
شمائله تخبيك ان رمت شاهدا … صبى الروض اذ ما شق الاكمام القطر
تضوع طيبا لك زهر بنشره … فلا المسك ما لكافور ما الند ما العطر

ابقاه الله مدى الدوام وحرسه من نوائب الليالى والايام ما غنى الهزار وناح الحمام بجاه الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وبناء على ما شوهد من حسن خصاله وجودة اخلاقه وكثرة افضاله قلت مادحا مناقبه الفريده واوصافه الحميده بهذه القصيده

لباب مولاى عبد القادر ابتدرت … ابيات مدح اصابت اصدق الكلم
هذا الامير الذى باهى الزمان به … والطاهر الاصل والاباء والشيم
هذا الامير الذى صارت فضائله … في الارض اشهر من نار على علم
انعم به من امير ماجد فطن … قد خصه الله بالاحسان والكرم
مولى له في سماء المجد منزلة … رفيعة الشان لم تدرك ولم ترم
جرى بعزم تسامى عن مماثلة … في الحزم والعزم والاراء والهمم
حلو الشمائل ممدوح الخصال كسحاب الفاضل ماضى السيف والقلم
ترى المعارف في اعطافه اجتمعت … وكل فن من الاداب والحكم
الحامل العلم مثل الروض مزدهرا … لما جرت فوقه اجيابه كالديم
والحامل الحبر نور للعيون بما … تخشى الضلال بداجى ليلها العتم
لجوده في البرايا كل مكرمة … والثناء عليه كل مزدحم
تثنى عليه دمشق ما انتشرت … في سجع قيسون ليلا نفحة الخزم
زهت بهمته العلياء واكتسبت … فخرا على كل سكان العرب والعجم
اقام ذكر الاربوع النشور بها … تكاد تقرأه الاموات في الرجم
احيا النفوس باذن الله حين لقى … شر العتاة ولم يسمع بسفك دم
اتى به الله كهف المستجير فمن … يحمى حماه حمى حق في حرم
يا ايها السيد المرهوب جانبه … والمرتجى غوثه في الاعظم الدهم
هاك الكتاب الذى لولاك يكتبه … سعى على الراس طوعا لا على القدم

الشام

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

يرجو لديك قبولا طاب مورده ... فذا يحسبه من اعظم النعم

لا زلت في درجات العز مرتقيا ... في صفو عيش رغيد غير منصرم

واسلم ودم ما سرى نجم وما طلعت ... شمس وما غرد الشحرور بالنغم

واهدى اليه الاديب رزق الله حسون ديوانه الذي سماه النفثات وكتب اليه في ذلك

امولاي عبد القادر السيد الذي ... وقانا الوجه الله شانيك ابتر

كتابي وقد قدمته مهديا الى ... علاك ليحظى في الورى حين يشهر

واحلى جمال الشعر فيه الشامل ... مكارمك الغر التي الدهر تشكر

هدية عبد يرتجيك قبولها ... لسنة جود عن سليمان تذكر

وان كانت النزر القليل فانها ... لجملة ما لي والمقل ليعذر

ثم في آخر هذا الديوان كتب قصيدة ذكر فيها رحلته الى القوقاس وختمها بمدح الامير

فقال وبت اقرع الدنان على ... رغم الرزايا ونكبة كبرى

شربت ريث استفقت من كدر ... فتعشت وكانني كسرى

انشد مدح مولاي عبد القادر العربي معتبرا

واحد آحاد عصرنا شرفا ... ومجدا والصميدع البرا

ذو غيرة في العظام يسعد من ... به استجار ليغلب الدهرا

اكرم من يهب الكثير ومن ... ياوي اليتيم ويكشف الضرا

له الايادي التي تدوم على ... طول المدى والمكارم الغرا

لله حاب دماء انقذنا ... في جلق يوم قبلها غدرا

والناس تعلم انني رجل ... بلوت كل البلاد والزمرا

وقد عرفت الملا بانهموا ... في سوا تدبيرهم والوزيرا

ما ان مدحت فذا لمعرفتي ... حقا واني بحقكم ادرا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

وقد انشد ان نعمة وحقت ... لا لا نمتلق انظم الشعرا

ماحي للولد والدي بحث ... بالعيد ذا اصابة ذكرى

او جاد في مدح خلائقكم ... حسنون نظم بروضة ازرى

حرر في سنة سبع وستين وثمانمائة والف

وممن نوه بذكر الامير في هذا الخصوص من الافرنج الجمعية المعروفة بجمعية عمل الخير واعانة التائبين في البر والبحر وهذا نص ما بعثت به اليه ان جمعية التائبين المؤلفة من اعيان الامصار ووجوه المدن الشهيرة في فرنسا قد اتفقت كلمتها على ان يكون الامير عبد القادر رئيس شرف عليها وقد فعلت ذلك لتؤكد له عظيم ميلها اليه وجزيل تشكراتها الفائقة لما ابداه من اعمال الخير الجسيمة في سوريا سنة ستين وبناء على ذلك بعثت اليه هذا الرقيم كالشهادة عن عقد ما اتفقت عليه في باريز في اخر حزيران سنة ستين وثمانمائة والف وكانت الجمعية الامريكانية الشهيرة بالشرقية القائمة بتنظيم تاريخ العالم وتاليفه سبقت هذه الجمعية الى مثل ما فعلته وارسلت الى الامير نسخة مما كتبته هذه صورتها انه بناء على تقرير الرؤساء شارل دي لابارت والبروفيسور كاستيك وعلى قرار المجلس قد اعلنت الجمعية بتعيين السيد الامير عبد القادر بن محي الدين عضو شرف لها تتشرف به وبعثت اليه بهذه العريضة التي هي نسخة الاصل كشاهد على ما قررته في باريز في الثاني عشر من تموز سنة ستين وثمانمائة والف

ذكر ما نشرته الجرائد الاوربية من اخبار هذه الحادثة

ذكرت جريدة موندا بلوستري الفرنساوية تحت عنوان عبد القادر امير معسكر سابقا ما نصه ان حوادث سورية المحزنة قد اظهرت للوجود اسما كان محجوبا بغياهب الغربة وهو ذاك الاسم الذي طالما قرنته الالسنة الامة الفرنساوية بالرجفة والاضطراب هو ذاك الاسم المرسوم باحرف دموية من شواطي نهر شلف الى رمال الصحراء في الجزائر قد ابدت له قبائل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الدول ونشكر دمشق شكران الجميل بسوريه وانكشف بذلك من مزاياه الحجاب الذي كان ساترا
لها وغدونا جميعا نتبارك باسم عبد القادر وهو الذي لم يخش من اقتحام الاخطار لاجل خلاص
اولئك المساكين من ايدي سافكي الدماء ثم انه جمعهم في قصره واجاض عليهم سجال كرمه
وجوده وساعده فرسان المغاربة الامناء فبذلوا جهدهم في انقاذ المسيحيين وحمايتهم
من الدروز هوذا الرجل الذي كانت تلوح على وجهه من امارات الثبات وعلامات الحزم
والفطنة ما يدل على شرفه واتصال نسبه بالرسول هوذا الرجل الذي اقام في منفاه
سنين ولم يتغير عما كان عليه من المحافظة على الاوامر الشرعية واداء الحقوق الثابتة
للانسانية هوذا الرجل الذي كان عدوا مبينا لدولة فرنسا واقام مدة سبع عشرة
سنة ينادي بالجهاد فيها ثم ان ما نسبه اليه اعداؤه من الافعال الغير اللائقة كقتل
الاسرى والحنث في اليمين الى غير ذلك مما نسبوه اليه ويأباه طبعه الكريم قد كذبه تحريره
الشهير الذي ارسله الى لويس فيليب ملك فرنسا الدال على كرم اخلاقه ولطف جانبه وكانت
وقتئذ نيران الحرب مضطرمة بشدة لا مزيد عليها ومن جملة ما في ذلك المكتوب قوله اني اريد منك
الملك اجراء المعاوضة في الاسرى منا ومنكم فلم يجبه الملك ثم كتب اليه ثانيا وثالثا وفي كل ذلك لم يجبه
الملك بنفي ولا اثبات فحينئذ كتب اليه يقول اني قد حررت اليك عدة تحارير فلم ترد لي جوابا وانا
لا ارجع عن قولي وحيث انك اعرضت عن الاجابة الى المعاوضة فها اني قد اطلقنا سبيل اسراكم وجرنا
ننتظر ما تفعلونه انتم باسرانا ثم بعد سنين في اخر امره شاع في فرنسا ان جنودا منهم وقعوا
اسرى في ايدي العرب وانهم قتلوا شر قتلة وان ذلك كان بامر الامير وهذه الواقعة كانت في دائرة
الامير في بلاد مراكش حين كان هو غائبا عنها في الجهة الشرقية من بلاد الجزائر ولما بلغه خبر هذه
القضية واتصل به ما نسب اليه من الامر في القتل كتب في الحال الى حكام الجزائر يقول من العجب
انكم تنسبون الي ما وقع بالاسرى مع انكم تعلمون علم اليقين ومشاهدة عيني باني بعيد
عن الدائرة بمسافة مائة وثلاثين ساعة للراكب المجد انتهى فظهر من هذا ان الامير بار بقتل

ما كتبه

الاسارى

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الاسارى وان تأخره من قصاص الذين قتلوهم في غيبته بغير اذنه انما كان لعجز سلطته وقتئذ
وعدم طاعة العرب له وبالجملة فان اخلاق الامير ومزاياه كانت دليلا على شرف نفسه وتقومه
في الجزائر كما هو الان في سوريه وبرهانا قويا على طهارة قلبه وانظر الى خطابه للجنرال دموريسير
عند التسليم فانه قال له انني حاربتكم مدة طويلة والان يمكنني ان الحق ببلاد الصحراء واستمر
في قتالكم الا انني لما نظرت في امري ظهر لي ان العناية الالهية التي كنت اقاتلكم بها واصول
عليكم قد ولت ايامها فان كان فيكم ان ترسلوني الى الاسكندرية او الى عكا من بلاد
الشام فانا اسلم اليكم نفسي فاجابه الجنرال الى ذلك واعطاه فيه ميثاقا وعهدا بموافقة
ابن الملك حاكم الجزائر وقتئذ ثم اتفق للامير ما حصل لنابليون الاول فان نابليون لما انكسر
وسلم ذاته للانكليز عدلوا عن عهدهم وافكارهم ونفوه الى الجزيرة الغربية هيلانه وبها مات
والامير عبد القادر بعد ان استند الى عهد ابن الملك وسلم نفسه اليه اخذوه اسيرا الى طولون
ولكن الباري تعالى اتاح له احد سلالة نابليون الاول فبادر عند جلوسه على عرش الامبراطورية
الى تخلية سبيله وفاء بعهد فرنسا وحفظا لشرفها ثم نعود فنقول نحن نبذل الجهد
في اداء الشكر للامير على ما اظهره من العناية في حق المسيحيين ولحضرة الامبراطور نابليون
الثالث على حفظه لشرف الامة انتهى وتاريخ تحرير هذه الجريدة كان في رابع آب سنة ستين
وثمانمائة والف وفي جريدة اخرى انه يوجد في ذات عبد القادر شخصان احدهما امير الجزائر
العدو المخيف للفرنسيس من سنة ثلاثين وثمانمائة والف الى سنة سبع واربعين والثاني
الامير الموجود الان في الشام المخلص للنفوس الكثيرة في ايام حادثة دمشق المهولة سنة
ستين فالامير هو الرجل الوحيد ظهر في مكانين بعيدين بصورتين واضحى الفرنساويون
معه في تبين له بدين هم مجبورون على ادائه له الامير عبد القادر هوذا الرجل الباسل الذي
ابدى امورا واعمالا لم يكن احد يتصورها ولذلك كانت جديرة بان تدون في اجل تواريخ
العالم وفي اخر ما نقول ان عدونا القديم في الجزائر قد ظهر الان مخلصا للمسيحيين في الشام اهـ

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وفي جريدة اخرى ما نصه الامير عبد القادر هو رجل من مشاهير رجال العالم دافع عن وطنه وحريته ثم حكم عليه القدر بالنفي فسلم لاعدائه فنقلوه الى بلادهم على خلاف الشرط الذي اشترط عليهم وجعلته حكومتهم اي حكومة فرنسا اسيرا مدة طويلة غير ان فرنسا من ابناء ملوكهم كان يفاتحه في النباهة اعطاه برهانا وثيقا وعهدا امينا انه يخلصه ثم وفى بعهده وخلصه من تقلبات الايام وذلك عند انقلاب الحكومة وارتقائه هو على كرسيها فسلطة ذلك الرئيس ارجعت الى الامير حريته ثم اصبح ناصرا للاسلام وذلك بواسطة دوران دولاب سعوده واضحى في مركز قوي في العالم وركنا يبني عظمته وصار يخاطب من الملوك بالقاب يخاطب بها اعظم المشاهير واخيرا دافع عن الاسارى والذمة وحفظ مقام الوفا بالكرامة كما عمل في بداية امره في وطنه ولا ريب ان سيرته لا شبيه لها في التاريخ انتهى وقد رأينا هذا القدر من كلام الجرائد كفاية هذا وقد كان بين الامير والشيخ شمويل الداغستاني مواصلة ومراسلة ولما بلغ خبر الحادثة الدمشقية مسامع الشيخ شمويل كتب الى الامير يصوب فعله ويشكر فضله وهو اذ ذاك عند دولة روسيا محجورا عليه وهذا نص ما كتبه الى من اشتهر بين الخواص والعوام وامتاز بالمحاسن الكثيرة البهية عن جملة الانام الذي اطفأ نار الفتنة قبل الهيجان واستأصل شجرة العداوة قلعها كانه رام شيطان المحب المخلص عبد القادر النفع

السلام عليكم وبعد فقد قرع سمعي ما لا يمجه السماع وتنفر منه الطباع من انه وقع هناك بين المسلمين والمعاهدين ما لا ينبغي وقوعه في اهل الاسلام وربما يقضي الى امتداد الفساد بين العباد ولذلك عند سماعه اقشعر منه جلدي وعبست طلاقة وجهي وقلت ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس وقد تعجبت كيف عمي من اراد الخوض في تلك الفتنة العظيمة من الولاة عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من ظلم معاهدا او انتقصه حقه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة وهو حديث حسن ثم لما سمعت انك خفضت جناح الرحمة والشفقة لهم وضربت على يد من تعدى

حدود

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

حدود الله تعالى واخمدت فتنة المسيء في مطار الشام واستحقيت لذلك رضيت عنك والله تعالى برضيه يوم لا ينفعك مال ولا بنون لانك اجبت ما قال الرسول العظيم الذي ارسله الله تعالى رحمة للعالمين ومنعت من يعدو على سنته نعوذ بالله من تعدي حدود الله وتجاوزها ولكوني ممتلئا بالرضى عنك كتبت هذه الرسالة اليك اعلاما بذلك والسلام فاجابه الامير بقوله الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر اخوانه من النبيين والمرسلين انه من الفقير الى مولاه الغني عبد القادر بن محي الدين الحسني الى الاخ في الله تعالى والمحب من اجله الامام شمويل كان الله لنا ولكم في المقام والرحيل وسلام الله عليكم ورحمته وبعد فانه وصلني الاعز كتابكم وسرنا الالذ خطابكم والذي بلغكم عنا ورضيتم به من ناحية حماية اهل الذمة والعهد والذب عن انفسهم واعراضهم بقدر الطاقة والجهد كما في كريم علمكم مقتضى اوامر الشريعة السنية والمروءة الانسانية فان شريعتنا متممة لمكارم الاخلاق فهي مشتملة على جميع المحامد الموجبة للائتلاف اشتمال الاطواق على الاعناق والبغي في كل الملل مذموم ومرتعه وخيم ولكن

يعمى عن المرء في ايام محنته   حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

فانا لله وانا اليه راجعون على فقد اهل الدين وقلة الناصر للحق والمعين حتى صار يظن من لا علم عنده ان اصل دين الاسلام الغلظة والقسوة والبلادة والجفوة فصبر جميل والله المستعان ومنذ زمان بلغنا وصولكم عند ملك روسيا وانه جعل معكم ما هو اهله من الاحسان وانزلكم من الاكرام ارفع منزل ومكان وسمعنا انكم طلبتم منه تسريحكم الى الحرمين الشريفين فنسأل الله ان يجيب مطلوبكم ويبلغكم مرغوبكم وامبراطور روسيا من اعظم ملوك الارض شانا واحرصهم على تخليد المفاخر في بطون الدفاتر فنرجو لكم من حضرته العجيبة حصول الارب بلا نصب ولا تعب كما فعل معنا الامبراطور نابليون الثالث فانه فعل معنا من سني الافعال ما لم يخطر لاحد ببال والرجو في الحقيقة هو الله

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

لا معبود سواه والسلام عليكم اولا واخرا حرر في اول جمادى الاولى سنة سبع وسبعين ومائتين
والف وهي سنة اثنتين وثمانين كتب الى الامير ناصر الدين النسب الطاهر واللب الباهر
السيد عبد القادر عليكم السلام الاسنى ولكم الدعوات الحسنى اما بعد فقد بلغنا مكتوبكم الشريف
وفهمنا منه وحمدنا الله تعالى منكم حيث انكم لم تزل بخير ثم ان ما بلغكم من طلبي من الامبراطور
المعظم ان يأذن لي في زيارة الحرمين الشريفين والسكنى في الحجاز او القدس هو كما بلغكم واني مترقب
دائما حصول اربي هذا من جنابه السامي ومشتاق الى تلك المواطن المباركة طول عمري
وخصوصا الان حيث انني بلغت من العمر السبعين سنة وضعفت قوى نفسي وانا خائف
من حلول الاجل قبل حصول الامل مع انه ليس لي مقصود من الدنيا اعلى واهم منه لكن
ثم الموت عند الاياب في الحرمين مهبط الوحي والغفران واني ارجوكم بالدعاء لنا والسلام
حرر في بلدة كالوكه اخوكم في الله الشيخ الهرم الداعي لكم كثيرا محمد شمويل ثم بعث اليه مكتوبا
في الثاني عشر من رجب سنة ثلاث وتسعين جناب الاكرم الكرماء واشرف الشرفاء الحائز
لشرفي الحسب والنسب سلالة سيد المرسلين المختص بمزيد العناية من الملك المعين
الغازي السيد عبد القادر افندي السلام عليكم والرحمة والرضوان بحرمة سيد الانس والجان
آمين اما بعد فلما طال انقطاع مخابرتنا وعدم اطلاعنا على احوال ذاتكم العلية واخباركم
الشريفة ارسلنا هذا مستخبرين عن ذواتكم الكريمة عسى الله ان يحفظكم مما يوجب الحزن
مدى الدهور والاعوام بحرمة سيد الانام وكنا قبل هذا ارسلنا مكتوبا في مقابلة مكتوبكم
السامي الذي شرفنا بمجيئه في السنة الماضية فلعل الله يجمعنا عن قريب هذا وانا
نتوقع المحاربة بين الدولة العلية والروسية بالنظر الى القرائن الظاهرة فنسأل الله
برزق النصرة لاهل الاسلام لاحياء شريعة سيد الانام وان وقعت هذه المحاربة فعسى
الله ان يرزقنا اللقاء بالملأ الاعلى ويجعلنا من اهل الجهاد والسلام من الفقير الغازي محمد شمويل

ذكر توجه الامير الى حمص وحماه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

العساكر الاخشيدية قبل وصوله فدخل مصر في سابع عشر رمضان سنة ثمان وخمسين
وثلاثمائة واقيمت دعوة العبيديين فيها وخطب في الجامع العتيق في شوال
وكان الخطيب ابا محمد عبد الله الشمشاطي وفي جمادى الاولى من سنة تسع وخمسين
دخل جوهر جامع ابن طولون وامر بزيادة حي على خير العمل في الاذان ثم اذن بعد ذلك
في الجامع العتيق وجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ولما استقر جوهر بمصر
شرع في بناء القاهرة ثم سير جيشا مع جعفر بن فلاح الى فتح الرملة ثم اجتاز الى
دمشق فافتتحها بعد قتال شديد ونهب بعضها وكف عن الباقي واقام
الخطبة يوم الجمعة للمعز العبيدي لايام خلت من المحرم سنة تسع وخمسين
وثلاثمائة وقطعت الخطبة العباسية ثم لما توالت البشائر من جوهر على
المعز بفتح مصر والشام واقامة دعوته فيهما واستحثه جوهر للقدوم
اعتزم على المسير الى مصر وبدا بالنظر في تمهيد المغرب وقطع شواغله ثم استدعى
بلكين بن زيري من ثغر عمله فاستخلفه على افريقية والمغرب وانزله القيروان
وسماه يوسف وكناه ابا الفتوح واقبل هو على اصلاح شانه واستجماع لوازم
سفره ثم سار باهله وعساكره ولقيه اهل مصر واعيانهم بالاسكندرية
فاكرمهم وساروا معه حتى اتى مصر فدخل القاهرة خامس شهر رمضان سنة
اثنتين وستين وثلاثمائة فكانت منزله ومنزل الخلفاء من بعده الى اخر دولتهم
وانقراضها بموت العاضد ابي محمد عبد الله وكانت وفاته يوم عاشوراء سنة
سبع وستين وخمسمائة وكان على وزارته صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردي
وليها بعد موت عمه شيركوه فتمكن صلاح الدين في مصر وحكم على القصر وكان قبل
موت العاضد بايام قطع خطبته وخطب لبني العباس بامر من نور الدين
محمود بن زنكي المعروف عند اهل دمشق بالشهيد وهو الذي كان بعث

وبعث الهدايا والاموال الى ابن طغج [illegible] مصر وقضاتها وعلمائها [illegible] دولة الاخشيدية [illegible]

بنيه

نقلوها

صاحب الشام

[illegible] من الزمن

٣

وكانت ايام دولة العبيديين مائتين وستين سنة منها ما ثمان وثمانين سنة بمصر والثلثمائة وخمسين بالمغرب وافريقية وعدة خلفائهم اربعة عشر اولهم عبيد الله المهدي واخرهم العاضد لدين الله.

شيركوه وابن اخيه صلاح الدين باستدعاء من العاضد وبانقراضه وانقراضهم
انقرضت دولة العرب من مصر وافريقية والمغرب وانتقل الملك الى الاكراد بني ايوب
صلاح الدين واهل بيته ثم الاتراك بعدهم وانتقل ملك افريقية والمغرب الى البربر
فتداولوه طايفة بعد طايفة وجيلا بعد جيل تارة يدعون لبني امية بالاندلس وتارة
لبني العباس واخرى لبني ادريس ثم استقلوا بالدعوة لانفسهم فكانت دولة صنهاجة
منهم بافريقية ... واولهم ابو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي
استخلفه المعز لما سار الى مصر حسبما تقدم ثم استمرت الامارة والولاية في ولده
يتوارثونها خلفا عن سلف الى ان انقرضت باستيلاء الافرنج على المهدية سنة
ثلاث واربعين وخمسمائة زمن الحسن بن يحيى بن تميم وهو اخر امراء افريقية من ال زيري
ابن مناد الى بجاية فاجاره صاحبها يحيى بن العزيز من بني حماد الى الجزائر ونزل على
... ابن العزيز حتى ... الى ان فتح الموحدون الجزائر سنة سبع واربعين
وخمسمائة عند استيلائهم على المغرب الاوسط والاندلس فخرج الحسن الى عبد المومن شيخ الموحدين
فاكرمه وصحبه ... الى افريقية في غزاته الاولى ثم الثانية فنازل المهدية وحاصرها فافتتحها
سنة خمس وخمسين واسكن بها الحسن ووهب له اقطاعا خارجها ثم استدعاه يوسف بن عبد المومن
في ولايته بعد ابيه عبد المومن فارتحل باهله يريد مراكش ومات بتامسنا في طريقه سنة ... والبقاء لله
ثمان وخمسين

ثم الى افريقية والمغرب

ابن يحيى بن تميم

ذكر دولة المرابطين

هؤلاء المرابطون ويقال لهم الملثمون اصلهم من لمتونة من البربر (قبائل صنهاجة) كانت مواطنهم
بالقفر من وراء الرمل في الجنوب انتبذوا هناك عن العمران طلبا للعز
والبعد عن الغلبة والقهر واوغلوا في مجالات الاقليم الثاني وما يليه من الاقليم
الاول فيما بين البحر المحيط غربا الى بلاد غدامس قبلة طرابلس الى ريف الحبشة
واتخذوا اللثام شعارا تميزوا به بين الامم وكثروا في تلك البلاد وتعددت قبائلهم
... لاول الاسلام سبعين قبيلة ... مسوفة ولمطة ... ما بين البحر المحيط بالمغرب
الى غدامس من جنوب طرابلس ... الى ريف الحبشة واتخذوا اللثام شعارا تميزوا به وكانوا جميعا على دين المجوسية الى

هؤلاء المرابطون اصلهم من الطبقة الثانية من صنهاجة وهم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب منذ دهور قبل الاسلام ... انتبذوا هنالك عن العمران ايثارا للانفراد والبعد عن غلبة الملوك ... تلك البلاد وكثروا وتعددت قبائلهم ... واحد من الموحدين انهم ...

وكانوا جميعا على دين المجوسية ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات حتى كان اسلامهم
بعد المائة الثالثة وكانت الرياسة فيهم للمتونة واستوسق لهم ملك ضخم في تلك
الصحاري وجاهدوا جيرانهم من امم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به اكثرهم
وبقي الاخرون على المجوسية يعطون الجزية ولم يزل امرهم واحدا وكلمتهم مجموعة
الى ان قتل اميرهم تميم بن بلتان فتفرقت صنهاجة وتفرق امرهم وصارت رياسة
كل بطن منهم في بيت مخصوص فكانت رياسة لمتونة في بني ورتانطق وكانت
انتهت رياستهم الى يحيى بن ابراهيم فخرج الى اداء فريضة الحج في سنة اربعين واربعمائة
ولقوا في منصرفه الامام ابا عمران الفاسي المالكي فطلبوا منه ان يرسل معهم من
يعلمهم امر دينهم فبعث معهم الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي ووصل معهم يعلمهم
القران ويفقههم في الدين وكانت ... اثارها عندهم ثم مات الامير
يحيى بن ابراهيم وافترق امرهم واستصعبوا على الفقيه عبد الله بن ياسين وتركوا
الاخذ عنه فاعرض عنهم وتنسك معه يحيى بن عمر واخوه ابو بكر بن عمر من رؤساء
لمتونة وانتبذوا من الناس في جزيرة في بحر النيل ولحق بهم كل من في قلبه
ميل الى الاسلام وتكامل معه الف رجل فقال لهم الفقيه عبد الله قد تعين علينا
القيام بالحق والدعاء اليه ولمن تغلب الحق من قبله فاجابوه الى ذلك وخرجوا
وقتلوا من استعصى عليهم من القبائل حتى انابوا ورجعوا الى الحق واستقاموا
على الطريقة المثلى وسماهم المرابطين وجعل امرهم الى الامير يحيى بن عمر فتخطوا الرمال
الصحراوية الى بلاد درعة وسجلماسة فاعطوهم صدقاتهم ورجعوا ثم بلغهم ما نال
المسلمين من الظلم والعسف من بني وانودين امراء سجلماسة من مغراوة
فخرجوا اليهم سنة خمس واربعين واربعمائة في عدد كبير اكثرهم ركبانا على المهاري
وعمدوا الى درعة ونهض اليهم امير مغراوة صاحب سجلماسة ودرعة فتواقعوا فانهزمت

جيوش مغراوة وقتل اميرهم واستلحم عسكره ودخلوا سجلماسة وقتلوا من كان بها من مغراوة
واصلحوا احوالها واستعملوا عليها بعض رؤسائهم ورجعوا الى مواطنهم ثم هلك يحيى بن عمر
سنة ثمان واربعين واربعمائة وولي اخوه ابو بكر بن عمر وغزا بلاد سوس من سنته ومات
الفقيه عبد الله بن ياسين في بعض حروبهم مع برغواطة واستمر ابو بكر في جهادهم حتى استأصل
شأفتهم ثم بلغه ما وقع بين قومه من الخلاف والشقاق فخشي افتراق الكلمة وارتحل
من وقته راجعا الى قومه واستعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين ورمم ما كان
بينهم من الخلاف وشغلهم بجهاد السودان فاستولى على نحو تسعين مرحلة من بلادهم
واقبل يوسف على شأنه في دوخ المغرب وفتح امصاره وحصونه واختط مدينة مراكش — انظار ٣
سنة اربع وخمسين واربعمائة ثم انتقضت عليه فاس وقبائل زناتة فنهض اليهم
سنة اثنتين وستين ونازل فاس وحاصرها ثم افتتحها عنوة وقتل بها زهاء
ثلاثة آلاف من مغراوة وبني يفرن ومكناسة واصلح شأن فاس وحمل اهلها
على الاستكثار من المساجد وارتحل منها بعد سنة الى ملوية فافتتح حصونها
وفي سنة خمس وستين افتتح حصون غمارة وفي سنة سبع وستين افتتح تازا وبلاد غياثة
وفي سنة اثنتين وسبعين اغزى قائده مزدلي بن تيلكان في عساكر المرابطين الى
بلاد المغرب الاوسط فدوخها وجال في مواطن زناتة ثم رجع وفي سنة ثلاث وسبعين
بعدها نهض يوسف بن تاشفين الى الريف فافتتح سائر بلاده ثم افتتح مدينة تلمسان
واستلحم من كان بها من مغراوة وقتل اميرها العباس بن يحيى واختط تاكرارت
في مكان محلته وهو اسم المحلة بلسان البربر ثم افتتح وهران وتنس ومليانة
ووانشريس وغيرها من مدن المغرب الاوسط وانتهى الى الجزائر ثم انكفأ
راجعا الى مراكش سنة خمس وسبعين واربعمائة وكاتبه اهل الاندلس كافة — ثم عظم امره واستفحل ملكه وتلقب امير المسلمين
من العلماء والخاصة وملوك الطوائف يستنجدونه وهم في صريخ الاسلام فاهتز

للجهاد

للجهاد واخذ في الاستعداد ثم اجاز البحر في عساكر المرابطين وقبائل العرب ونزل الجزيرة
الخضراء سنة تسع وثمانين واربعمائة وجمع له الطاغية امم النصرانية لقتاله ولقيه
بالزلاقة من نواحي بطليوس وكان للمسلمين عليه اليوم المشهور سنة احدى وثمانين
ثم رجع امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى مراكش ثم اجاز ثانية سنة ست وثمانين
وتثاقل امراء الطوائف عن لقائه الا ابن عباد فانه بادر الى لقائه واغراه بالكثير منهم
فبطش بهم ورجع الى مراكش ثم اجاز الجواز الثالث سنة تسعين وزحف اليه
ملك الجلالقة فانهزمت جيوشه امام المسلمين وكان الظهور لهم ثم رجع الى مراكش
ثم اجاز الجيوش ابنه الامير يحيى بن ابي بكر بن يوسف سنة ثلاث وتسعين واربعمائة
وانتقلت اليه جيوش المرابطين الذين بالاندلس فتغلب بهم واخذ عامة الاندلس من يد
ملوك الطوائف ولم يبق منها الا سرقسطة في يد صاحبها ابن هود معتصما بالنصارى وانتظمت
بلاد الاندلس كلها في يد امير المسلمين يوسف بن تاشفين واستولى على العدوتين
وخاطب المستظهر العباسي الخليفة لعهده ببغداد وجاءه التقليد منه على ما لديه
من الاقطار والاقاليم وخاطبه الامام الغزالي يحضه على العدل والتمسك بالخير ثم اجاز
الجواز الرابع سنة سبع وتسعين واربعمائة وكثرت غزواته في بلاد النصارى
ثم مات على رأس المائة الخامسة رحمه الله تعالى وقام بالامر بعده ابنه علي واجاز
الى الاندلس فاثخن في بلاد العدو قتلا وسبيا ثم اجاز ثانية سنة ثلاث وخمسمائة
ونازل طليطلة واثخن في بلاد العدو وعظم شأنه واستفحل في ملكه وقسم شرقي
الاندلس على اعيان المرابطين وعقد لابنه تاشفين على غربيه سنة ست وعشرين
وخمسمائة ورجع الى مراكش ولاربع عشرة سنة من دولته كان ظهور الموحدين
ثم مات سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وقام بالامر ابنه تاشفين على حين عظم
امر الموحدين ثم اخذ امر المرابطين في الضعف والتلاشي ثانيا وغزو عبد المومن

ابن علي وجميع الموحدين حزابة الكبرى وخرج تاشفين بعساكر المرابطين بقفا بلاد الساحل

حتى نزل جبل تيطري فنازله الموحدون بيه وجاء المدد الى تاشفين من صنهاجة والقبايل

فقتلهم الموحدون واستلحموهم ونزل تاشفين الى وهران واتبعه الموحدون وضايقوه

في ساحتها فتردى به فرسه في بعض شعابها فمات سنة احدى واربعين وخمسمائة واستلحموا

لمتونة ثم بويع ابنه ابراهيم بن تاشفين وخلع وبويع عمه اسحاق بن علي بن يوسف ثم زحف

عبد المومن الى بلاد المغرب الاقصى والاوسط فخرج اليهم

عسكر اسحاق وخاصته فقتلهم الموحدون ودخلوا مراكش وانقرضت دولة المرابطين

بعد ان ملكوا المغربين الاقصى والاوسط وعدوة الاندلس ثمانين سنة

والملك لله يورثه من يشاء من عباده وكانوا اهل ديانة وصيانة ومحبة في الخير ولم يجري

وبعث البعوث الى الجهات وجميعها يرجعون اليه منهزمين وتوالت عليه الوقايع فاجمع الرحلة الى وهران وبعث ابنه ابراهيم ولي عهده الى مراكش وزحف عبد المومن الى وهران الى مراكش

ودخل اسحاق وخاصته الى القصبة ثم نزلوا على حكم الموحدين واخرج اسحاق بين يدي عبد المومن فقتله الموحدون وقتلوا خاصته

ذكر دولة الموحدين

القائم بهذه الدولة هو محمد بن عبد الله بن تومرت الشهير بالمهدي واختلف النسابون في نسبه

فقيل انه ينتهي الى الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وقال ابن مطروح في تاريخه هو رجل من

هرغة من بطون المصامدة من البربر ولد سنة خمس وثمانين واربعمائة وفي اول راس المائة الخامسة

ارتحل في طلب العلم الى المشرق وحج ودخل العراق ولقي جماعة من مشاهير العلماء وفحول

النظار وافاد علما واسعا ثم انطلق راجعا الى المغرب في ربيع الاول سنة عشر وخمسمائة

داعيا الى الله مجاهرا بتغيير المنكرات وكان ينتحل مذهب الاشعرية في تاويل المتشابه

من الايات والاحاديث وينكر على اهل المغرب اخذهم بمذهب السلف في اقرارها كما جاءت وذهب

الى تكفيرهم بذلك وكان من رايه القول بعصمة الامام على راي الامامية من الشيعة

وكان ينتحل الفضايل لاستقبالهم ويبشر بالحوادث الاتية ووقعت له الحالة

في بجاية وتلمسان وفاس ومراكش وفي ايام اقامته بنواحي بجاية اجتمع به عبد المومن بن علي الكومي

البربري فتفرس فيه النجابة فقربه وصاحبه الى المغرب الاقصى واستمر على ما هو عليه من الامر

والقرابة ابن مطروح وقال انه من رجل

بتلمسان

بالمعروف

بالمعروف والنهي عن المنكر ودخل مراكش فكثرت اتباعه واشتغوه العامة ولما اشتهر امره

احضره امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بحضرة الفقهاء فناظرهم فقطعهم ثم امر امير المسلمين

بنفيه والابعاد عن مراكش فلحق بجبال المصامدة ونزل على قومه هرغة سنة خمس عشرة

وخمسمائة وبنى رباطا للعبادة واجتمعت عليه طلبة العلم من القبائل فعلمهم التوحيد بلسانهم

على مذهب الامام الاشعري ثم دعاهم الى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين يعني المرابطين

واهل المغرب لاتباعهم مذهب السلف في اقرار المتشابه كما جاء وعدم تاويله وكان يذهب

الى تكفيرهم بذلك فبايعه عبد المومن بن علي في عشرة من الصحابة وبايعوه بعد ذلك وانه

المهدي المنتظر وعرفت الصحابة اتباعه واقبلت القبائل يبايعونه وعظم امره

ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبل ذلك الامام وترددت عساكر لمتونة اليهم

مرة بعد اخرى فيهزمهم ثم انتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تينمل فاستوطنه

وبنى داره ومسجده فيهم وكان يسمي الصحابة الموحدين تعريضا بالمرابطين ويسمون المرابطين

واستولى الملك وانتصر على المرابطين في جميع وقائعهم معه ثم توفي

الثالث عشر من شهر رمضان سنة اربع وعشرين واجتمعت كلمة الموحدين على صاحبه عبد المومن بن علي

الكومي الزناتي وكومة بطن من تراره من اعمال تلمسان فبايعوه يوم الجمعة

ثم تمم البيعة العامة يوم الجمعة الموفي عشرين

من ربيع الاول سنة ست وعشرين وخمسمائة وكانت سنتين من وفاة امامهم

بجامع تينمل بايعه العشرة ثم الخمسون ثم كافة الموحدين لم يتخلف عن بيعته احد منهم فقام بامرهم

ولما تمت بيعته اخذ في قتال المرابطين وافتتاح البلاد ففي الاستعداد وتجهيز الجيوش

في سنة ثمان وعشرين فتح سبدو تادلا ودرعة وبلاد تازا وفيها تلقب بامير المومنين

وفي سنة تسع وعشرين اخذ رباط الفتح وسلا وفي سنة سبع وثلاثين استولى

جيشه على شريش من بلاد الاندلس وخطب له فيها وفيها قام ابن زرين وابن حمدين قاضي

قرطبة من المرابطين واخرجوهم منها وفي سنة تسع وثلاثين جهز جيشا واجازه الى الاندلس فاستولوا
على شريش والجزيرة ونزعها من المرابطين وفيها فتح فاس وتلمسان ووهران واحوازها
وفيها جاءته بيعة اهل اشبيلية [illegible] اجازت من تلمسان وقصبتها وفي سنة
اثنين واربعين استولى على مراكش عاصمة المرابطين واغمات وبلاد دكالة وفيها وطنجة
وانقرضت دولة المرابطين من جميع المغرب والاندلس وفي سنة ثلاث واربعين فتح سجلماسة
وفيها غزى برغواطة وفيها وجه جيشه على قرطبة وقرمونة وجيان من الاندلس وفي سنة
خمس واربعين [illegible] الروم [illegible] ففتح مكناسة واحوازها وفي
سنة ست واربعين فتح بونة وقسنطينة وبلاد الجريد وسائر بلاد افريقية
وفيها تغلب جيشه على المرية وابدة وما يليهما [illegible] من الاندلس وفي سنة خمسين دخلوا
غرناطة ثم غدر بهم اهلها وبعد سنة نازلوها وفتحوها بعد حصار شديد وفي سنة ثلاث
وخمسين [illegible] استولى على سوسة والمهدية وصفاقس وقابس والقيروان وفتح المهدية
وطرابلس الغرب وفي سنة ثمان وخمسين اجاز الى الاندلس برسم الجهاد خرج من مراكش الى رباط
الفتح قاصدا الجواز الى الاندلس برسم الجهاد ولما استكمل تعبيته اخترمه المرض [illegible]
[illegible] ليلة الجمعة من جمادى الثانية من ثلاث وستين وخمسمائة وحمل الى تينملل ودفن
بجانب قبر المهدي وكانت ايام ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وخمسة اشهر وثلاثة وعشرين يوما
واخفى الخاصة موته [illegible] يوسف وكان باشبيلية والياعليها [illegible]
يوما وقام بالامر بعده ولده ولي عهده وكان [illegible] باشبيلية
والياعليها فاخفى الخاصة واظهر موت والده وبويع لوقته ولم يتخلف عن بيعته
وتلقب بامير المومنين
احد من اهل الحل والعقد وجمع الجيوش والحشود التي كان والده جمعها برسم
الجهاد [illegible] ثم رحل الى مراكش [illegible] وجاءته البيعة من جميع بلاد المغرب
وافريقية والاندلس وفي سنة ستين كانت وقعة الجلاب المشهورة بالاندلس [illegible]
ابي سعيد [illegible] مردنيش [illegible] وكانت الدائرة على ابن مردنيش وفي [illegible] اربع
وستين

وستين وفيه توفي [illegible] افريقية والمغرب والاندلس برسم السلم والمخالفة على احوال
تلك [illegible] وصبوهم الى بلادهم وفي سنة خمس وستين
الغزو [illegible] ابا حفص [illegible] على طليطلة وفي سنة ست بعدها اجاز بنفسه
ووصل الى اشبيلية [illegible] ففتح حصونا وقلاعا [illegible]
وانكفأ راجعا الى اشبيلية وفي سنة سبع شرع في بناء جامعها وقصبتها وفيها خرج الى
شرق الاندلس ففتح مدنا وحصونا ثم رجع الى اشبيلية وفي سنة ثمان وستين [illegible]
ابا زكريا [illegible] مدينة [illegible] فخرج [illegible] المعروف بابي [illegible] وكانت الحرب [illegible] القتل
بينهما ثم وقعت الهزيمة [illegible] جيش ابي [illegible] فقتل [illegible] ووقعت الهزيمة
بجيشه [illegible] المسلمين

ذكر دولة الموحدين

القائم بامر هذه الدولة هو محمد بن عبد الله تومرت الشهير بالمهدي وقد اختلف النسابون
في نسبه فقيل انه ينتهي الى الحسن السبط رضي الله عنه وانكر ابن مطروح ذلك في تاريخه وقال
انما هو رجل من هرغة من بطون المصامدة من البربر ولد سنة خمس وثمانين واربعمائة وفي اول
الخمسمائة ارتحل في طلب العلم الى المشرق ولقي جماعة من مشاهير العلماء وافاد علما واسعا
ثم انقلب راجعا الى المغرب في غرة ربيع الاول سنة خمس عشرة وخمسمائة واخذ في الانكار
على الناس والزامهم باقامة الصلوات واجتناب المنكرات وكان على مذهب الاشعري
في تاويل المتشابه من الايات القرآنية والاحاديث النبوية وينكر على اهل المغرب
اخذهم بمذهب السلف الصالح في التفويض واقرار المتشابه كما جاء ويذهب الى تكفيرهم
بذلك وكان يقول بعصمة الامام على مذهب الامامية من الشيعة وكان ينتحل القضايا
الاستقبالية ويخبر الى الحوادث الآتية وفي ايام اقامته [illegible] اتصل به
عبد المومن بن علي الكومي الزناتي البربري فتفرس فيه النجابة فقربه واستصحبه

الى المغرب الاقصى واستنزوا بما هو عليه في زهده من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودخل مراكش وكثرت
اتباعه والمتعلقون به من العامة ولما اشتهر امره استحضره امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين
الى مجلسه وناظره الفقهاء بين يديه فقطعهم ثم امر امير المسلمين باخراجه من مراكش فلحق
بجبال المصامدة ونزل في قومه هرغة وبنى رباطا للعبادة واجتمع عليه خلق كثير فجعل
يعلمهم التوحيد بلسانهم على مذهب الاشعري ثم دعاهم الى بيعته على التوحيد وقتال المرابطين
وانه المهدي المنتظر فتقدم عبد المومن في ذلك الجمع وبايعوه على ما قال ثم كثرت
جيوشه فارسل امير المسلمين علي بن يوسف اليه جيشا لقتاله فهزمهم وقويت نفوس
اصحابه واتباعه واقبلت اليه قبائل المصامدة وغيرهم من البربر يبايعونه وعظم امره وترددت
اليه عساكر المرابطين مرات فيغلبهم ثم ارتحل الى جبل تينملل واستوطنه وبنى فيه دارا
ومسجدا وسمى عامة اتباعه الداخلين في طاعته الموحدين ولم يزل امره يعلوا [وانتهى امره] الى سنة
اربع وعشرين وخمسمائة فجهز جيشا يبلغ اربعين الفا مع صاحبيه الونشريسي
وعبد المومن وسيرهم الى مراكش فحصروا امير المسلمين عشرين يوما ثم خرج اليهم
واقتتلوا فقتل الونشريسي واشتد القتال بين الفريقين الى الليل فانهزم عبد
المومن بجيشه الى الجبل ولما بلغ المهدي خبر هزيمة عسكره وكان مريضا اشتد
مرضه واوصى اصحابه باتباع عبد المومن وعرفهم انه هو الذي يفتح البلاد وسماه
امير المومنين ثم بعد ايام مات المهدي وسنه احدى وخمسين سنة وكانت ايامه
عشر سنين ودفن بمدينة الجابر في داخل مسجده وكتموا موته وعهده بالخلافة الى عبد المومن
خوفا من تفريق الكلمة واقاموا يدبرون الامور من غير ان يشعر احد سواهم بموت
امامهم ثلاث سنين ثم تقدم الشيخ ابو حفص الهنتاتي وكان احد العشرة ورئيس
قبيلته الى عبد المومن وقال له نقدمك كما قدمك الامام فتقدم واعلنوا بيعته
وامضوا عهد الامام بخلافته وحملوا المصامدة وغيرهم على طاعته ولم يختلف عليه اثنان

فاقام عبد المومن في تينملل يؤلف القلوب وياخذ في الاستعداد الى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة
فلما استكمل شئونه خرج الى بلاد تادلا ودرعة فاستولى عليها وانتقض البربر في سائر بلاد
المغرب على المرابطين ثم في سنة اربع وثلاثين غزى غزاته الطويلة التي لم يرجع فيها
الى تينملل الا بعد ان استولى على المغربين الاوسط والاقصى ودخل في دار الملك مراكش
سنة احدى واربعين وفي سنة ثلاث واربعين استولى جيشه على قرطبة وقرمونة
وجيان من الاندلس وفي سنة ست واربعين فتح افريقية باسرها وفيها فتح
جيشه مدينة المرية ويابرة وباجة من الاندلس وفي سنة خمسين فتحوا غرناطة
وفي سنة اربع وخمسين رجع الى افريقية واجلى جميع الثوار منها ونازل المهدية
وكان الافرنج استولوا عليها وفي سنة خمس وخمسين اخرجهم منها ولحقوا ببلادهم وراء البحر
ووصلت جيوشه الى سرت وبرقة فيما وراء طرابلس ثم ارتحل راجعا الى المغرب وفي سنة
سبع وخمسين خرج من مراكش الى سلا قاصدا الجواز الى الاندلس فمرض بها ومات
ليلة الجمعة الموفي عشرين من جمادى الثانية وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت مدته
ثلاثا وثلاثين سنة وخمسة اشهر وثلاثة عشر يوما وهو الذي جمع اهل المغرب
كافة على مذهب الاشعرية في الاصول وعلى مذهب الامام مالك في الفروع واوصى بالخلافة
لولده يوسف فبويع يوم موت والده وتلقب بامير المومنين واستوسق له الملك
واستقامت له الامور لحسن تدبيره ومتانة دينه واجاز الى الاندلس مرات وكانت له فيها
عدة غزوات استظهر في جميعها على الافرنج وافتتح امصارا وحصونا كثيرة وبنى فيها
مساجد وقصبات عديدة وفي سنة ثمانين وخمسمائة في شهر صفر اجاز الى الاندلس اجازته
الاخيرة فاحتل بجبل الفتح وسار الى اشبيلية فوافته فيها حشود الاندلس ووصل غازيا
الى شنترين فحاصرها اياما ثم اقلع عنها واسحر [الحشد] العسكر يوم اقلاعه وخرج النصارى
من الحصن فوجدوه في غير اهبة ولا استعداد فحملوا عليه فابلى هو ومن حضره واصابه

وكانت موقعة الثنتي وعشرين سنة

سهم في حومة القتال فحمله ابنه يعقوب وانهزم الى اشبيلية فمات في الطريق ثم بويع
ولده يعقوب في الحال ثم استكمل بيعته في اشبيلية ثم اجاز الى مراكش فقطع المناكر
وبسط العدل وباشر الاحكام وقام بالملك احسن قيام واقام راية الجهاد واحسن السيرة
وحصن البلاد وضبط الثغور وبنى المساجد والمدارس والمارستانات في جميع ايالات
المغرب وافريقية والاندلس واجرى المرتبات على العلماء وطلبة العلم وسائر العيال
وذوي العاهة واوقع بالافرنج عدة وقعات منها وقعة الارك في نواحي بطليوس
وبالجملة فقد كان يعقوب المنصور اجل ملوك الموحدين وابعدهم صيتا واحسنهم
احوالا واعلاهم همة وكانت ايامه ايام دعة ورفاهية ورخاء متصل وامن دائم
في جميع اقطار المغرب وافريقية والاندلس ثم في سنة اربع وتسعين طرقه المرض الذي
مات فيه وتمادى به الى سنة خمس وتسعين فمات فيها ليلة الجمعة الثاني والعشرين
من ربيع الاول عن اربعين سنة وكانت ايامه اربع عشرة سنة واحد عشر شهرا
واربعة ايام ومن المشهور عندهم واكثر البربر في المغرب الاقصى يعتقدون انه ترك الملك وخرج
الى المشرق ومات بالبقاع من ارض الشام والى الان يقصد حجاجهم عند مرورهم
بالشام الى الموضع الذي صحت لهم الشهرة فيه لاجل زيارته والتبرك به وطول المدة
عمت هذه الشهرة جميع القبائل واتبعهم فيها اهل البقاع وغيرهم من اهالي سورية
وهذا الموضع مشهور الى الان بمقام مولاي يعقوب المنصور في راس جبل بالقرب من
المجدل وبعد موته بويع ولده محمد ولقب بالناصر لدين الله وفي ايامه
قوي امر ابن غانية اللمتوني بافريقية واستولى على جميع اعمالها وخطب للخليفة العباسي
فلما اتصل خبره بالناصر نهض من مراكش سنة احدى وستمائة ثم فتك بشيعة ابن غانية
واقام بافريقية الى سنة ثلاث وستمائة فاستتاب ابا محمد بن الشيخ ابي حفص الهنتاتي
عليها ورجع الى مراكش ثم اجاز الى الاندلس فكانت وقعة العقاب المشهورة التي كانت العقبى
فيها على المسلمين ثم انكفا راجعا الى مراكش واقام بها وفي شعبان سنة عشر وستمائة

مات ← —

بين ما هو نوعي لها ومتنزهات تعرض عليه فيجيب اليها ما استطاع وقد قبل وزار
من استزاره واستجاب لمن دعاه واجل مزاره — وكان يخاطب الناس كل واحد بما
يناسبه فقواد الجند يذاكرهم في الفنون الحربية والعلماء في المسائل العلمية والوزراء
ومن ضاهاهم في الامور السياسية وهكذا حتى بهر العقول وملأ الصدور بمحبته
ومهابته وكان اكثر الزوار له يزوره بقصد التشكر له على جميل صنيعه معه في ايام مالكه
لا سيما الذين كانوا اسارى عنده فان زيارتهم له كان لها وقع عظيم في قلب من حضرها
وقد طلب بعضهم ان يكون في عدد خدمه واتباعه ايمانا ان نظرا لما شاهده في السابق
من كماله وعرفه من احسانه والحاصل ان ما راه الامير من رجال ونساء من حسن
المعاملة والمجاملة لا يصفه لسان ولا يحصره قلم وقد كان ذات يوم مارا في بعض
اسواق باريس والناس عن اليمين والشمال يحيونه بتحيات التبجيل والتعظيم
فقال له بعض الاعيان ممن كان في معيته هذا شعب فرنسا الذي كان يتمنى موتك
تراه يقدم لك جزيل الاحترام والاكرام وذلك لما علمه ~~العقلاء منهم من مقدار~~ تعليمنا
ما تحملته من الصبر في بلادهم على الظلم الذي نالك من حكومتهم السابقة والتي
كانت قبلها فانشرح لذلك صدر الامير وحمد الله تعالى وشكر فعله البرنس وحزبه معه
وفي اثناء اقامته توجه الى رئيس اساقفة باريس وشكره فيما قام به من الراهبات بخدمته
وخدمة من كان معه في امبواز مدة اربع سنين فارتاح الرئيس لحديث الامير
وهش له وبش وقال له ان هذا زاره من الواجبات الدينية ثم توجه الى قبر نابليون
الاول وبعد ان وقف عنده هنيهة من الزمان قال وان كان هذا الرئيس العظيم قد زال
فان ذكره لا يزال مستمرا ثم توجه الى البيمارستان فرءاه رجل مسن من المرضى
فتكلف الوقوف اليه فلما راه الامير على تلك الحال تقدم اليه رحمة به وشفقة عليه
فاخذ الرجل يد الامير وهزها على حسب عوائدهم فقال بعضهم لله هذا الرجل كان ممن

الأتى

يجل معاملته وعجز احترامه

المقدام

القبائل الاربع وعن حوله

احتلاله

١٧

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

حارب الامير ووقع اسيرا عنده وعفى باحسانه ثم توجه الامير الى المطبعة بعد ان رأى معمل الدرع وغيره من انواع الاسلحة وكان البرنس بعث الصك الذي قدمه اليه الامير الى رئيسها ليطبعه فلما جاء الامير اراد معلموها ان يظهروا مهارتهم في شيء يعد غريبا عجيبا بين يدي الامير فبادروا الى رسم الصك في مطبعة خط اليد فانطبع في الحال في هيئته الاصلية بحروف كاتبه ورسمها بحيث لا يعرف انه مطبوع فعجب الامير من ذلك غاية العجب برسم كاتبه

ثم اطلع على جميع اعمال المطبعة وقبل ان يخرج منها ساله بعض الاعيان كان في معيته عما رآه من بدائع المطبعة وغرائبها فقال له امس رايت معامل المدافع الذي تهدم بها القلاع والحصون وفي هذا النهار رايت الحروف التي تغلب اسرة الملوك وتهدم دولهم وبعد ان تمت المدة المعينة لاقامة الامير وهي خمسة عشر يوما استاذن في الرجوع الى امبواز ليتهيأ للسفر الى الاستانة فاذن له البرنس وطلبه الى الحضور عنده فتوجه اليه ولما دخل القصر تلقاه البرنس بالاجلال والاحترام وهش له ثم ساله عن احواله في الايام التي اقامها في باريس وعما شاهده فيها من احتفال اهلها به واكرامهم اياه ~~واجلالهم لمقامه~~ وعما رآه من المتنزهات العظيمة والصنائع الجسيمة فاخبره بما شاهده وروى وشكر واثنى ومدح ودعا ثم قال له اني كنت امرت ان يهيأ لك سيف يليق بمقامك وقد تبين لي الان انه لا يتم العمل فيه قبل سفرك الى تركيا فبناء عليه سيصلك في برسا على يد السفير في الاستانة واعلم انني اقدم لك هذا السيف وانا على يقين بانك لا تجرده على فرنسا فاجابه الامير انني الان ممن يستعمل القلم لا ممن يستعمل السيف فتبسم البرنس وقال حيث انك جئت الى الفرنسيس بسيفك احببت لك ان تخرج من بلادهم بسيف عوض سيفك فقال بالسرور هذه الهدية كانت عنوانا على ما في صدر البرنس من المودة للامير فلذلك تلقاها الامير بالقبول والاحترام والاكرام ونصل هذا السيف الهندي قديم من عهد العباسيين وقد رسم عليه هذه الكلمات

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده
وآله وصحبه وسلم

واستمر الامير سائرا في اجلال واعزاز الى ان وصل الى مرسيليه وفي الثاني والعشرين من الشهر المذكور ركب البحر في الباخرة الحربية لابارد ولما وصل الى مسينه وهي من صقلية الشهيرة تلقاه حاكمها واجل مقامه ثم خرج في جماعة من رفاقه الى المدينة وجال في ارجائها ثم سار الى جبل النار وصعد الى اعلاه فرأى النار من بحور فوهته امثال البخت الى اسفل الوادي فتذوب وتصير ماء جاريا وهذا من اعجب ما يرى ويسمع من اثار القدرة الالهية ثم جعل ينظر الى الجزيرة وسهولها الممتدة ومحارثها الواسعة العديدة وتذكر من سكنها مدة من المسلمين قرونا كثيرة فكانهم ما ازدهروا في رباها ولا تعطروا بنسيمها ولا تفيئوا بستانها ولا تريضوا في رياضها وتغدوا في رحب رياضها ولا تفيئوا ظلالها وتمتعوا بحسنها وجمالها وارب

وهذه الجزيرة واسعة الاقطار شاسعة الاطراف كثيرة المدن والقرى والحصون افتتح المسلمون كثيرا من مدنها وقراها بعد غزوات كثيرة وكان اول الغزو اليها زمن معاوية ابن حديج على افريقية في خلافة معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ولم يفتحها ثم تتابع الغزو عليها في زمن ولاية بني الاغلب من اول دولتهم الى اخرها وتملكوا اكثر الجزيرة ولم يزل الفتح فيها والغزو اليها الى ان انقرضت ولاية بني الاغلب من افريقية سنة مائتين وست وتسعين ثم تجدد الغزو اليها والفتح في ايام العبيديين الى ان اتم فتحها عاملهم احمد بن الحسن بن علي ابي الحسين سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة واستمرت هذه الجزيرة في ايدي المسلمين الى ان استردها الافرنج واخذوها من ايديهم وذلك انه لما ضعف امر الخلافة وركدت ريحها تفرقت كلمة امراء الجزيرة وحكامها وحاز كل جهة منها في يده متغلب عليها مستبد بامرها فوجد الافرنج بذلك سبيلا للاستيلاء عليها واخذوا ينتزعون تلك الممالك من يد المتغلبين مملكة مملكة الى ان بقي بيد المسلمين مثل بانه وجرجنت وماسونيتا ما عظمتها فحصرها الافرنج في سنة اربع وثمانين واربعمائة بجيوش كثيرة واتصل تضييقهم على المسلمين شهورا عديدة فلما اشتد الامر عليهم اذعنوا الى التسليم

المولد حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

فتسلمها الاونج منهم وصارت الجزيرة كلها بايديهم ولله الامر من قبل ومن بعد

وكان كتب الوزير الخارجيه في امور مجموع الجواب بما نصه

الجناب الامير الامجد قد بلغني كتابكم الكريم تاريخه ... من دونسمبر الموافق ... شعبان من صفر واعلم

انني لو بذلت جهدي [illegible] في حصول مطالبكم لا ارى نفعي انه وجبت

لما [illegible] حقه وعلى كل حال فاني الآن اخبركم بامور منها ان الاشياء التي اشرتم لها فقد اجابه

اليها الامبراطور [illegible] ما عدا تلك جميع لوازم السوس ... الى مرسيليه ومنها الى [illegible]

والكانوانت براسي [illegible] والترجمان بولاد والوقة والترجمان [illegible] فقد اجاز وزير الحرب ان يكونوا

في معيتكم [illegible] وافاريك الذين حضروا من طنجة الى مرسيليه واهلهم السيد مصطفى بوطالب والسيد

الطيب [illegible] وقد بعث الحاكم بمرسيليه يعودهم انه الان يجتمعوا بكم وفي

بينهم ان [illegible] الساعة لوالدة الترجمان بولاد فانه حاز القبول وامر الامبراطور

ان يعين لها في السنة ستمائة فرنك من خاصته [illegible] والكاتب التي بعثتم بها

الخادم الحاج الحبيب بن الهو [illegible] الان في تونس فقد وجهنا هو اليه واوعزنا الى قونصل

ونبا هناك ان يسعفوه ويحملوه من معه الى محل اقامتكم مجانا والغيبات مليلي الذي خدمكم هو

الثقة من كونه [illegible] وصرفه [illegible] والسبب بذلك [illegible] الانواز فقد بلغته الى وزير الحرب [illegible] رضاه ولا بد ان يعامله بما

ثم هو امير كان يحبون له [illegible] فقد تعينت في مدينة بروسه بامر السلطان وقد هيا لكم فيها

السيرة [illegible] وبالجملة جميع ما ذكرتم

ومن احزاب من الكاتب [illegible] حاز القبول [illegible] وكنت اتمنى ان الاسر الكم عند السرور ادعكم مشافهة

حضرة السلطان ولكن كثرة اشغالي قد حالت دون ذلك وحيث تعوقت عني اسباب الموده لكم احببت

فيها لكم في بروسه ان اخبركم اني احبكم وان مودتي لكم تستمر دائما [illegible] الان فلا تبرحون من بالي وسيسير

منزلا عظيما لا يليق بمقامكم [illegible] خاطري معكم سرا وجهرا حرر في مدينة باريس في ١٨ شهر ديسمبر سنة ١٨٥٢ الموافق

وستروون به هناك ما يسركم ٨ من شهر صفر سنة ١٢٦٩ دوراندولويس وكيل رئيس الساده ووزير الامور الخارجية

وينشرح بمعيتكم

المولد حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

نحن قوم نرى المحبة دينا — والتلاحي على الاحبة عارا
كل من فاز بالمحبة منا — هبته منه ترتجي الغفطارا
كيف اسلو المهاة لحظا وجيدا — والتفاتا وغنة ونفارا
ارقتني وفارقتني فعيني — ترسل الدمع بعدها مدرارا
دمع عيني اذا جرى خلت عبد ال — قادر الشهم اجرى البحارا
الطويل النجاد سمح الايادي — خير من ساد عنصرا ونجارا
باسم الثغر والزمان عبوس — والضواري من الخطوب ضواري
فاقد الند نجل روح المعالي — فاضل الجد اسنع الخلق جارا
نير الفكر لو الم بليل — صير الليل بالضياء نهارا
اكرم الصيد حل اكرم ارض — اطلعت من سماحه اجارا
ازهرت من علومه واضاءت — فكذا الشهب تبدو الانوار
بالة الله من سحاب سماح — بحباب الملال لن يتوارى
امطرتني مياه درا نقيا — صغته في مديحه اشعارا
فله الفضل لا آسى عليه — من بحار وكفه تتبارى
عالم عامل خبير خطير — في ميادين فضله لا يجارى
تخب السيف والبراع بكفيه خيولا الى المعالي تتبارى
نطقه حكمة وفصل خطاب — وصفاحاته تفيد اختبارا
عطر الشعر ذكره فملانا — بغوالي صوحبه الاقطارا
وسمعنا حديثه فغدونا — بغدير من السلاف سكارى
ماجد صير العفاف سوارا — ومن الخير قد تخير دارا
ساد اهل الزمان خلقا وخلقا — منهما الكون قد غدا معطارا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله
محمود دالي ... متسبي

فانك فاتح مغاليق رمز   بعلوم تحير الافكارا
ذاته النقطة التي ارتكزال   مجد عليها وثبت الانوار
آية الحسن والكمال عليها   ارسل الله لطفه زخارا
لم يزل خارق الزمان اران   شاه في الشام سيفه فتوارا
فل لمن فيه فوتبا الدجلا   ويك لا تشرق البدور سرارا
ذا الذي اشبع الوحوش لحوما   غضة من عداه والاطيارا
احرق البغي بالجهاد واورى   بقلوب العدا من الغل نارا
شيم محياه فهو ابن حسن   ابدعت من بهائه انوارا
ودع الحاسد الذي يتعامى   عن سناه البديع او يتوارى
لا تضر الشموس عين حسود   انكرتها تزخا وحوارا
ايها السيد الذكي الذي كا   د ذكاه يصير الماء نارا
والنبيه النبيل والحكم الاشهر   د الذي جل عن مقائل دارا
يا مريش الجناح مني بارض   لم يبلني سواك فيها قرارا
ان بعد المزار ابعد نومي   عن عيوني وارمد الابصارا
فازجر البين عني اعوذ منك   انه ظل كافرا فجارا
لا تدع غير سيل قربك يهمي   فوق هامي مدرارا مدرارا
فحيي جودك الاله بنوال   لبل سحاب من حماك نارا
وبقيت الدوام تزجي البلايا   عن ارقاك قادرا مغوارا
فانلت عبدك العيون فنادي   من مجيري من العيون السكارى
ذكر فضة المدرسة الاشرفية
المعروفة بدار الحديث المنوارية

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

والكتب تدرس والكتيبة بالبهي او اللباب
كم من مشاهد قامها   لله محفوظا مصاب
شبحا وكهلا في السوا   فع والصبا في العنفوان
لم يلق ورفع اذى فلا   نامت اذن عين الجبان
والبكها عربية   حوت المعاني والبيا ن
رقت بحسن صفاتكم   معنى فبانت الدنا ن
فاقبل بفضلك رقها   وافتح لها باب التوان
واعذر محبا عجزه   في مدح علياك اشتبا ن
ما اسطاع ذاك ولو له   في كل جارحة لسا ن
لا زلت في اوج الفضا   ئل والعلى بدر الزمان
ما امتد للاحسان في   ابواب جودكم بنا ن
او ما بنو الآمال الغوا   في جواركم الجرا ب
او انشدت دار الصفا   بشنا حلى الاوزان زاب
بسمو ابنه النار يخ في الحسنى على عقد الجمان
ان الوبار بيا حلبه   وربه بشرف المكا ن
سنة ١٢٨١

وللاديب الاريب عبد المجيد افندي الخاني مادحا ومهنيا ومورخا الغزاه المذكور
اوقاتنا بسعودكم اعياد   وسرورنا بشهودكم يزداد
يا سادة ملكوا العباد بفضلهم   وغدا الزمان لامرهم ينقاد
فد خصكم رب الورى بمناقب   حارت بوصف جمالها الامجاد
حلم وعلم محكم ومكارم   وسيادة وولاية وجهاد

ماذا أقول بنظم جوهر مدحكم … ما يفعل الانشاء والانشاد
لو اتفق المداح كل علومهم … في حصر قدس صفاتكم ما كادوا
لعبيدكم ورودنا لفنائكم … اذ حفنا الاقبال والامداد
فغدا وقد منحتنا الافراح فد … تلنا الحظوظ وعمنا الاسعاد
قصر بانواع الجمال مرونق … حاز النزاهة ما لها انفاد
لا زلتم شمس المعارف والعلا … يهدي الخلائق منكم الارشاد
ومقامكم حرم المراد وكعبة … يأوي الى امداده القصاد
ويفيضكم تحيي الانام وعزكم … تسمو به الانجال والاحفاد
ما لاح كوكب سعدكم بكماله … او فاح في روض الهنا الاوراد
او قال عبدك ارخوا عز اله … لا زال قصرا بالسرور يراد

٢٨ ٣٥ ٦٩ ٣٩١ ٤٩٩ ٤١٥

واتخذ الامير في دمشق من الماشية والابل ما لا بد منه واتخذ عربيات عديدة لركوبه وركوب بنيه وحريمه وتوسع في الدنيا توسعة لا مطمع فيها ولا فتنة معها وهمه كله في القيام بعبادة الله تعالى واصطناع المعروف واغاثة الملهوف واعانة المحتاج هذا ديدنه ودأبه مدة حياته قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه وتعقباته
وكان احب المنازه التي شادها خارج دمشق قصر دمر وهو من اجمل المباني وابهاها الذي
وموضعه من احسن المواقع لاطلاله على نهر بردى واشرافه على غياضه ومروجه واشتماله بالشجر من كل جهة فكان قدس الله روحه يرتاح الى الجلوس فيه والاقامة في ناديه ويجعل فيه انشراحه ويتخذ لسروره غبوقه واصطباحه فما يحول طرفه منه الا في حديقة او رياض انيقة وحاشيته
وكان علماء الشام واعيانها يترددون اليه فيه فيبدي لهم بالمبرة زنده ويفيض عليهم من احسانه ما عنده ومما وقع في ذلك انه كان يأدب مآدب كثيرة يدعو اليها الجبقلي

هو التوسم بسيما الفصحاء والدخول في سلك البلغاء وقد اجمع اهل الرتب ان الكلام في الادب مع كثيرا ما يتحج به منهج السالكين الى معرفة رب العالمين ولهذا المنهج القويم والصراط المستقيم بابان جليلان يلجهما من يسلك فيهما نجمان جميلان يطلعهما الفلوة والسماء ومسلكها العقول والخواطر وهما النثر الباهر والنظم الزاهر ومن المعلوم لدى اهل الحجا والاتقان ان ذلك دائر الاثر في هذا الزمان ولما اشرقت بوارق اسرار الحضرة القدسية وبزغت سواطع انوار الشموس الالهية المتجلية على هذا العالم الضعيف من الالاء ٢ الآلاء
غرة الملك الشريف المغترف من بحار اسرار قطب الملكوت الاكرم والمقتبس من حقائق مشارق انوار قدس اللاهوت الاعظم الاصل الطاهر بالكرم مظهر والفرع الباذخ من اطيب عنصر الطهر العارف بالله والمتمسك منه باوثق عراه في الاصل الباهر والبرهان الظاهر العريق من اطيب العناصر والمستعد بجميل الاثر الاصاغر والاكابر الشهم العاطر والنجم الزاهر السيد عبد القادر لا زالت سحائب بره مواطر وبوارق اخلاقه زواهر ملك في العلا وجمع الباس والندى باستنشاق الطلوع بنشق بهاه واستضاء الكون بلوامع ضياه وقد رأيت النفس تائقة الى الانشاء من مدحه راغبة في الاقتباس من انوار صبحه اردت ان اخدم مجلسه السامي بزبرجد قلائد شعري واتبعها بجواهر نثري مرتجيا من مكارم ذاته العفو عن تقصيري في حصر غرر لآلئ صفاته وان يدني بيد البشر ويتغافل من ربقة العسر اذ لا بحر يبتغي الا اليه ولا اعتماد في هذا العصر الا عليه فهو الخلاصة الصفاة من سلالة الانبياء والحضرة العلاء ميدي معارج الاصفياء ادام الله ايامه ونكس لشانئه اعلامه ما قول وارجو القبول الخ ما ذكره
ولنختم هذا الفصل بمكتوب العلامة الحجة الهمام الفاضل الكامل التقي الانبل الامام محمد القضيبي المصري تبركا به وهذا نصه حفظ الله وابقى واعان بمنه وارقى في مقام السعادة ومعرف الجود والسيادة سلالة الاشراف ونخبة آل عبد مناف

حامي حمى المسلمين حجة العلماء العاملين سيدي الامير عبد القادر بن محي الدين
رعى الله عينه سيادتكم ومتعنا والمسلمين بوجودكم امين وسلام عليكم تتوالى
نعمائه ورضوان الله الاعم وتحياته وبعد جائتنا بخير ونسئل الله ان تكونوا كذلك
ولما اراد ولدنا جلاه زيارة بيت المقدس وانبياء الله الكرام والتبرك بالمثول بذلك
المقام اريغته هذا الخطاب رجاء ان اظفر بدعوة شريفة من ذلك الجناب لعلي ابلغ
بها المرام وتحقق بها السعادة في المبدأ والختام اهـ وليعلم الناظر فيما نقلناه
من الرسائل والاجوبة اننا قد اثبتناها بحروف كاتبها بحيث لم نتعرض فيها بتبديل ولا تحويل

ذكر الارجاف بموت الامير

في سنة ست وتسعين اشاع المرجفون وفاة الامير وانتشر هذا الخبر في سائر الممالك
وابتدر اهل الجرائد والمعتنون باخبار العالم الى نقل ذلك ووردت علينا رسائل
الرثاء ورقاع العزاء تترى من جميع الجهات هذه بعد اخرى وفي الوقت نفسه
طارت رسائل التلغراف بتكذيب هذه الاشاعة الى سائر الآفاق ولما اتصل
هذا الخبر بالامير واطلع على ما ذكره اهل الجرائد وغيرهم من بهي كماله وسني خصاله
سر بذلك وقال ان الموت لا بد منه عند نهاية الاجل والحمد لله الذى اراني واسمعني
ما يقال فيّ بعد موتي ~~بعد مماتي~~ وهذا نادر الوقوع وغريب الاتفاق واول ما وصلنا من المراثي
مرثية الاديب الفاضل الاريب الكامل السيد محمد بن اسحاق افندي الادهمي الطرابلسي

هذا المصاب الذى قد كنت اخشاه	واحر با حيلتي فيما قضى الله
في ذمة الله احباب فجعت بهم	يا طيب عيشي بهم ما كان اهناه
ابلى النوى بعدهم جسمي فقلت له	يا بين حسبك ما قد رحت القاه
احبابنا ضاق في رحب الفضاء على	خطب الم بكم جرعت بلواه
يا عين جودي بصب الدمع وابكي على	من كان نور سنا عينيك مرآه

العمى

حصل فيما نبيه الاجوبة على حسب ما يكتبه ولما كان استيعاب ذلك متعذرا ظهر لنا
ان نقتصر على البعض منه ولا يخفى ان البلاغة هي الدلالة بالقليل من اللفظ على
الكثير من المعنى وكان للعرب في ذلك اليد الطولى والقدح المعلى فان للعجم منه
~~[illegible]~~ نصيب ومن اطلع على رسائلهم وكتاباتهم المختلفة الوجوه وجدها
على السنن العربي عارية عن فساد التعسف وقبح التكلف يشير الكاتب
منهم بالمراد فيرسم التوقيع على حسب الواقع ولا وصلة فيما يبغوا العرب في ذلك
غير ان العرب لتوسعهم في لغاتهم وتبحرهم في الفصاحة والبلاغة حازوا قصب
السبق في مضمار الكتابة فتجدهم يتنوعون الخطاب ويتفننون في اساليبه فيأتون
منه بما يسحر الالباب ويفتح كل باب وكلا الفريقين ينزلون الالفاظ على قدر الكاتب
والمكتوب اليه فلا يخاطبون وضيع الناس برفيع الكلام ولا رفيعهم بوضيعه الى
غير ذلك مما يطول ذكره ويخرج بنا عما نحن بصدده ومن المعلوم ان الامير من مشاهير
العالم واعيانه والناس على اختلاف مللهم ونحلهم لهم به تعلق ومواصلة فلا
يخلو يوم من ايام من كتاب وارد وجواب صادر والذى نذكره هنا هو بعض من كل
وغيض من فيض فمن رسائله التلغرافية الى الباب العالي في تهنئة بحيوية اسعد
الله ايامكم بهذا العيد المبارك سعادة تستمر استمرار الزمان وتعم جميع الرعايا
في ظل الامن والامان ومنها في عيد الجلوس هنا الله مولانا وايده بعيده الوارد
عليه واعاده كيف شاء اليه مقرونا بالعز والنصر والهناء وطول العمر ومنها
في التهنئة بالصدارة العظمى هنأكم الله بالمنصب العالي وقرنه باليمن والبركة
اقتران الايام بالليالي ومن اجوبة الباب العالي التلغرافية هذا تلغراف سامي
الحضرة الامير عبد القادر بالشام قد اخذت بكمال الممنونية تلغرافكم المتضمن
التهنئة بالعيد السعيد ومقابلة لهذا جعلت التشكر وردا بلسان المودة المخصوصة

عن التهاني بالعيد وتوجيه الصدارة لزوجها اليه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ومنها في ايلول سنة سبع وثمانين ان مزايا تلغرافكم العالي في التبريك بتوجيه مسند
الصدارة لعهدة داعيكم ارجبت محظوظيتي ومنها في تشرين اول سنة ثمان وثمانين
قد تشرفت بتلغرافكم الحاوي التبريك بامورية الجديده فحصل لنا غاية المحظوظية
والسرور نرجو ادعيتكم الخيرية ومنها في نيسان سنة تسع وثمانين قد اخذت
تلغرافكم العالي وعليه فاني اخدم الشاه والتشكر لهممكم الجليلة القائمة
بايفاء رسم التهنئة ومنها في كانون اول سنة اثنتين وتسعين اخذت تلغرافكم
العالي فاستلزم كمال الممنونية وتشكر لمعاليكم اكرر الدعاء بالزيادة في عمركم
ودوام عافيتكم وفي نقل هذا القدر من اجوبة الباب العالي كاف وعلى نمطه
يقاس باقيها ومما كتبه الامير الى حضرة شاه العجم في رسالة بعث بها اليه عندما
ارسل اليه النيشان العالي من الرتبة الاولى وكان الشاه وقتئذ زار المشهد الحسيني
المعظم في كربلاء ثم المشهد العلوي المفخم في الكوفة واب الى دار ملكه طهران
قد وافاني من حضرتكم السنية النيشان الاعلى من الرتبة الاولى صحبة وكيلكم المحترم
في دمشق فجلت انواره حنادس الهموم كما حلت نوازعه بوارس المفاخر في محفل
مشهود في يوم معلوم جمعتم لنا فيه انواع المبرة والكرامه وجعلتموه على ربعة
مفاخرنا عندكم علامه فلا عتب على علائكم من الشاه الجليل الجليلا واجعل دعائي
الصالح لكم بكرة واصيلا الى ان قال وقد حدثنا وكيلكم المشار اليه عما شاهده
من احوال المحفل الاكبر الذي حشر الناس اليه حشرا وحابت به الامال غربا وشرقا
وشاع امره وذاع وسار خبر محاسنه في ابدع الاسماع فالتذت بانبائه المسامع
وتعطرت بذكره الاندية والمجامع فليهنأكم الاياب والزيارة التي هي من اعظم القربة
واربح تجارة الخ ومن اجوبة وزير الشاه المذكور من تلغراف وصله من الامير قد اطلعت
على تلغرافكم العالي وقدمته لحضرة الشاه وشاهد منه ما اوجب ممنونية ارجو

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

رسمي منه الى الامير فاجابه برسالة منها ان ما بيننا من الود متين عرى الحقائق
فلا يحيله عن مركز ثبوته عائق فقد ازدانت في الله معاقده واسست على المحبة
لاجله قواعده ولقد والله قد اخلصتم وعرفتم حقوق الاخوة فاديتموها وبالغتم
فتممتم ثم تكرمتم فابديل على ذلك دلالة الروض على الزهر والشاطئ على النهر وهو
النيشان العالي الشان الذي تفضلت به الحضرة الصادقية ايدها الله على ولدي
الاكبر السيد محمد والمكونه من الرتبة الاولى فان شكركم عندنا من كل شكر احق واولى نسئله
تعالى ان يبقي تلك الذات السنية سامية الركاب عالية القباب بمنه تعالى وكرمه اهـ
ومن رسالة اخرى الى الوزير المذكور في عناية قد رفعتم للعدل الرايه وبلغتم من
الكمال الغايه حتى احبكم البعيد والقريب ودان بودكم المتوطن والغريب ولم
تزل السنة المهاجرين بقطركم تلهج بالكريم الخصال الحميده والمزايا العديده
وفي هذه الايام وردت علينا رسائلهم تترا طالبين ان نحدث لكم من ابرارهم ذكرا
فجعلنا هذه الصحيفة تذكرة حسنة لتعاملوهم بمقتضى معاليكم العاملة المستحسنة
على نحو ما سبق لهم من احسانكم والعهد من افضالكم متتابع ولا يخفى ان ذلك
من اسنى الاعمال الصالحه وابهى المساعي الناجحه وانتم ابقاكم الله بكل فضيلة
احق والى كل منقبة فاخرة اسبق فكتب اليه في الجواب قد بلغنا كتابكم الكريم
مبشرا بنعمة عافيتكم التي هي منتجع الامل ومنجح الرغبه ونستوهب الله تعالى
على ذلك من الشكر ما يكافي مزيد نعمائه ويوافي عظيم الائه وما سنح لخاطركم الشريف
من توكيد الوصية بمن لهم تعلق بجنابكم من المهاجرين القاطنين بالمملكة التونسية
فانهم لا يزالون بحمده تعالى في ظل نعمة مولانا وسيدنا دام عزه وعلاه وفي امنه ورعايته
مانوسين محروسين ثم الرجوا ان تبقى صلة المودة بالمكاتبة موصولة لتزداد النفوس
مسرة والعيون قرة اهـ وفي سنة ثمان وثمانين جاء خبر الرئيس الوزير الشهير الاستانة

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

في امور تتعلق بحكومته وعندما اتصل خبره بالامير كتب اليه رسالة منها ولما بلغنا خبر
مروركم الى دار السعادة علمنا لعل الاقدار الالهية تجذبكم الى هذه المواطن المباركة
الطاهرة لتفوزوا بمشاهدة المشاهد النبوية الزاهرة وتتنسموا عرف انفاسها
الزكية العاطرة وتتمتع بمشاهدتكم نواظرنا وتنشرح بطيب مذاكرتكم خواطرنا ونترقى
في معرفتكم من العلم الى العيان ومن مخاطبة القلم الى مشافهة اللسان وحينئذ
تتملى النفوس من جمالها والعقول من حل عقالها والانس من وصل مقالها فان
ساعد القدر في حصول هذه الامنية وحظينا بمشاهدة ذاتكم البهية فيا حبذا
والا فلله الامر من قبل ومن بعد وله الحكم في القرب والبعد فجاء الجواب غير مطابق
من كل وجه لهذا المكتوب وهو قد اتصل بنا عزيز كتابكم المتضمن التعريف بعافيتكم
وارتياح نفسكم الشريفة التي هي قرارة كل فضيلة ومحل كل مكرمة جليلة فحمدنا الله
على ذلك باللسان والجنان وعلى ما انعم به ايضا علينا واراناه اياه في وجهتنا هذه
المنتظمة في سلك مراحم الخلافة العثمانية ومرضاتها في تسهيل المصلحة العمومية
الاسلامية وتمهيد اسبابها وتثبيت دعائمها التي خلدت للاسلام مجدا وادامت له
من مكارمها ذخرا ونستوزع الله شكرا بما انعمت به السلطنة العلية خلد الله
عزها من الامور المرضية الشخصية التي كانت فوق الظن ونرجو دوام صلة المودة
اذ هي بين الاحبة مسئولة ولديهم مقبولة وما برحت منح الله تعالى تتابع جنابكم
وتزاوج بكل مكرمة ما يليق به وتعالى وازمد وفي سنة اربع وتسعين بعث اليه الامير
صورة سنية من التحف الدمشقية وذلك ايام وزارته الكبرى فاجاب بما نصه البقاع
الذي لمعت في الخافقين لالائه وسطعت فيهما انواره الامام العارف النبيل العالي
والعارف جناب الامير السيد عبد القادر الحسني لا زال العلاء سميره وعين المجد به قريره
اما بعد السلام الاتم ومزيد الثناء على ذلك المقام الاجل فقد تشرفت بعزيز كتابكم

الوارد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

الوارد وكرعت منه في اصفى الموارد مشتملا من الحسن بطراز منوه بما من الود بالحقيقة
لا المجاز وقد وقع مني ما تضمنه موقعا عظيما حتى انه لم يبق لزيادة الاستحسان
موضع ولا من طرق الاعجاب مضيع ورأيناها من اعظم المنح وان رآها جنابكم لجلالته
اقل من ان تمنح ولا سيما انها من بلدة مباركة ومن جناب مسلك الاكارم فكيف ان
تدوم لاحد معه مشاركة فالذي تذكار مع شقة البين وان كان نصب العين
نسئله تعالى ان يجعلها وسيلة يستجاب بها في قضاء الاوطار المحمودة باعتناء اهل بيته
نهج التي هي بالتوفيق محفوفة وبالهدى معقودة واني وان اجهدت نفسي في شكر مودتكم (بطره)
وعائد صلتكم بما اوفي حقها ولو اعارتني السماء مدادا وورقها وارجو من مكارمكم العديدة
وشمائلكم الوحيدة حسن الالتفات للمنتسبين لودكم بصالح الدعاء حتى ارى الاجابة تخرج
من خلاله وارتوي من زلاله فاني متعطش لذلك مديد وشوقي اليه شديد اه وكتب
الامير الى رستم باشا امير الامراء يوصيه باولاد سعد الله حين التجأوا الى المملكة التونسية
فاجابه بقبول وصيته والسعي في مراده وبغيته وكتب اليه ما نصه اما بعد فقد
ورد علينا كتابكم الاعز وخطابكم الالذ الاحر مشتملا على الفاظ فائقة ومعان رقيقة
رائقة ومخبرا بالتحية العنانية السنية الحادثة بالعتبة المتجلية المقرانية من
جميل احسانها وفيض امتنانها وانها انزلتهم فيما تخيروه من اوطانها ورغبوا فيه
من اعطانها فنسئل الله ان يديم رفعتها ويؤيد سطوتها ويبقيها للائذين ملاذا
وللعائذين معاذا هذا ونحن نعلم ان ما ابرزته مراحمها وجادت به مكارمها انما
وقع الا باشارتكم ولا ظهر للعيان الا بواسطتكم فجزاكم الله جزاء الدال على الخير واعاذكم
من كل فتنة وضير وادام توفيقه ايانا لمثل هذه الاعمال السنية والمزايا البهية
الله جواد كريم بر رحيم ولا نحتاج مع وفور فضلكم الى تجديد الوصية بكافة المهاجرين
وتكرار التذكرة بملاحظة الاولين منهم والآخرين والله تعالى يتقبلكم ومن كل سوء يقيكم اه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

فاجابه بقوله جناب العز العربي في الرياسة والسياده الحقيق بارتداء ملابس
المجد والسعاده الذي اربى عزيز جنابه على سائر اقرانه واترابه وتشرف مساعيه
الحسنه واتفقت على كمال رفعته الاراء والالسنه حضرة الامير الجليل الابر سيدي عبد القادر
ابن محي الدين لا زال وجه الايام بسناء سعادته ساطعا وضياء نورها بسيادته
لامعا اما بعد سلام يتمسك بذيل عرفه النسيم ورحمة يشملها سلام قولا من رب رحيم
فان كتاب جنابكم الاعلى وخطاب سيادتكم الاغلى ورد علي مكان اعظم وارد واكرم وافد
وانشرح صدري عند تناوله وقبلته قبول مبتهج الامال المرسله وشكرت الله تعالى على
تعطفكم علينا وحسن التفات سيادتكم الينا واعظم ما سرنا به عافية حضرتكم الشريفه
واخبارها السارة اللطيفه فالله تعالى يمتعنا منكم دائما بما يتعاظم به السرور وتزدهي
به الخواطر وتنشلج الصدور والمرغوب من الجناب العالي الزاهر المتلالي ان تمدونا في
صالح دعائكم والله سبحانه وتعالى يديم شموس سعادتكم مشرقه واغصان سيادتكم
مورقه بمنه وطوله ولما تولى حسين امير الامراء رئاسة مجلس الشورى سنة اربع
وتسعين كتب الى الامير يخبره بذلك ويذكر اعتناءه بامور المهاجرين في تلك المملكة
فاجابه الامير ان الالسنة المهاجرين لم تزل تلهج بكمالكم وتبتهج بجميد خصالكم
فاحببناكم على السماع وتمنينا ان يحصل بيننا وبينكم اجتماع ثم لما ورد تحريركم الكريم
علينا ثبتت محبتكم في قلوبنا بالوسائل المؤكده على ما يقتضيه حديث الارواح جنود
مجنده ثم انا نقدم لحضرتكم انواع التهاني بالمقام الذي ترقيتم اليه والمنصب الذي
دار فلكه بحركم عليه وفي الحقيقة التهنية للمنصب حيث انه بجمالكم تجمل وبكمالكم
تكمل لكن جرينا على اظهار المعروف وسلكنا في ذلك السبيل المالوف ونسأله تعالى
ان يديم ترقيكم ويديم فضلكم لما به ترقيكم امين وفي سنة خمس وتسعين كتب الى الامير
في عنايه باجو الجابه مانصه ادام الله تعالى عز الكهف الهمام مجمع الكمالات المتعرفة

التونسي

ونعيرهم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه وسلم

في الانام في المآثر المسطرة على جبين الدهر والحائز في مضمار التبريز غاية المجد والفخر
سيدنا ومولانا الوحيد سيدي عبد القادر لا زالت الابشورة تتنظم على وفوده
والاندية تتارج بشذا محبته اما بعد اهداء تحيه تزري قبول قبولها الارجيه
فان نور حظ العبد من مودة السيادة يسع مقترحي وهو ان حامل الكتاب
فلان عن له ان يزور مواطن الشام وربما يبلغ في سياحته الى بغداد دار السلام
فاشتمل من عبيدكم وشيعتي ودلكم ان يصحبه بمكتوب الى اعتابكم السامية ليتشرف
برؤيتكم ويكون تحت حمايتكم وعليه فالمرجو ان توصوا به سائر العرب الذين
يكون مروره عليهم في طريقه حتى يكون في حلوله وارتحاله امنا مطمئنا فاسعفه
بمراده لسابق وداده ولا زال حماكم المحمي مراح العاني ومطمح نظر القاصي والداني
آمين اهـ ولما تولى امير الامراء محمد المعروف بالبكوش وزارة الخارجيه بتونس كتب اليه
الامير يهنيه بها فاجابه بما نصه الجناب السامي مجاره الواضح ابتهاره المشرق
مناره الحميده في المكارم ايراده واصداره نخبة الاعيان اهل المعرفة والشان سيدي
الامير عبد القادر الحسني لا زال يملي بفضله شيئا اما بعد اداء ما يجب لعزيز
جنابكم من التعظيم والتكريم فقد بلغنا كتاب سيادتكم متضمنا الافادة عن نعمة
عافيتكم لا زالت ضافية الاذيال بادية الاجلال ومعربا بمسرة جنابكم بولايتنا
وزارة الامور الخارجية فشكرنا مكارم اخلاقكم الجليلة التي هي محل الشكر
وفرارة الفخر ونسأل الله عونا على مرضات حضرة سيدنا ادام الله عزه وعلاه كما
اننا نسأله تعالى ان يديم حفظ ذلك الجناب على ممر الاحقاب بمنه تعالى وكرمه امين
ومنه اليه مكتوب اخر بتاريخ سابع رجب سنة خمس وتسعين هذا نصه الجناب
الذي ضربت عليه العلياء قبابها ورفعت له المسرة نقابها وامتدت به شجرة
المجد اغصانا وكانت الالسنة على الثناء عليه اعوانا تعجز الاقلام على تعداد

وكتب له ايضا في عناية
اخرى تستقل
هي اللغة الصحيحه
الخ

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

محاسنه والانس من عوارف محاسنه المفرد العلم وحيد الشمائل والشيم الامير
السيد عبد القادر لا زالت الاسماع لمآثره واعية واجياد الزمان بفضائله حالية
والكمال من رياض معاليه يرتاد والانس بوجوده على الدوام يزداد اما بعد اهداء
تحية يطير بها الشوق الى ذلك النادي وليس له الا الكبد المحب حادي فقد بلغ كتابكم (السرور)
العزيز المنتهى حتى كدت اطير به مغرما وابتهاجا مبشرا بما عمكم من النعيم الكافي
والفضل الوافر ومقررا لما عليه هلال شكركم لناس الود الفائق والاعتناء الذي نحونا
المعهود لكم وشكرنا فضلكم لما صالكم والمطلوب من حضرتكم اللطيفة الشمائل البهيجة
الوسائل حسن الالتفات للعبد بصالح ادعيتكم التي هي للاجابة اسرع من هطل
سحابة والله يديم سيادتكم من غير اشتغال بفضله ما انتم من اهله امين اهـ وكتب الامير
في سنة احدى وتسعين الى امير مكة وشريفها الشريف عبد الله يعزيه في بعض اقاربه
فاجابه برسالة نصها بعد اهداء جزيل سلام اطيب من عرف النسيم واعذب من حبيب
مختوم ختامه مسك ومزاجه من تسنيم وازكى تحيات تبتسم بالمحبة ثغور سطورها
وترقم بصدق الاخلاص احرف منشورها الى الحضرة فريد الذات والصفات حميد الخصال
والسمات قدوة الافاضل والاكابر وعمدة ذوي المعالي والمفاخر الاجل الاكمل السيد
عبد القادر الحسني وبعد فاننا لم نزل نتطلب ورود الاخبار المسرة عنكم بما يطمئن به
الخاطر عليكم في اشرف الساعات وورد علينا مكتوبكم الشريف المشتمل على الخطاب اللطيف
المتضمن التعزية فيما جرى به القضاء المبرم والقدر المحتم بوفاة من تغمده الله
بالرحمة والرضوان واسكنه فسيح الجنان ولقد احسنتم فيما بلغتم من حسن العزاء
ولا زلتم موفقين لتسلية المحبين المخلصين فالله تعالى يجعلنا ممن يتلقى قضاه
برضاه والذي تم انه بلغكم ما حصل لنا من التأثر فله مزيد الحمد فقد تفضل المولى سبحانه
باللطف فيما قدر ودمتم سالمين في حفظ الملك المعين اهـ ومن رسائل الاديب الفاضل

ولما توفي الشريف عبد الله المذكور وتولى مكانه شقيقه الشريف حسين كتب اليه الامير يهنيه فاجابه بما نصه

الاديب ابي

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ابي الاقبال السيد حسن التجاني الحسيني الى الامير رسالة ودادية تشتمل على تهنئة
باحد العيدين سنة ثلاث وثمانين هذا نصها دوحة الشرف الشامخ وطود الفضل
الباذخ امام محاريب السادة الكرام مولانا الهمام سيدي السيد عبد القادر الحسني
احيا الله به المآثر بعد اهداء واجب الاحترام كما يليق بشريف ذلك المقام وبث
شوق يعجز الجبال حمله وثناء عليكم كما انتم اهله فقد مضت مدة مديدة ما حظينا
كالعادة بورود رسائلكم الحميدة مع انه لو علم المولى ما نجده بها من الاستئناس لتابعها
متابعة الانفاس هذا وان منتم علينا بالسؤال فنحن بحمده تعالى على احسن حال
لا نزال مقيمين على وظيفة الدعوات الخيرية في البكرة والعشية ثم نهني السيادة
بهذا العيد السعيد الميمون وكل عام وانتم سالمون ولا زالت تهني بكم الاعياد
ولا برحتم في مسرة واسعاد وسلامنا ودعاؤنا للاشبال والاحفاد ومن يلوذ
بشريف ذلك النادي لا ينقطعان مدى الازمان وما تعاقب الملوان اهـ ومن
رسائل فاضل زمانه وكامل وقته واوانه عبد الرزاق افندي اللاذقاني مفتي اللاذقية
الى الامير رسالة هذا نصها الحضرة التي تستجلب رضاها وتستجلي ضياها حضرة (السيد)
المكارم التي لا حد سواها وعطر الاكوان طيب رياها والدوحة التي تستظل الانام
ظليل جناها والروضة الغناء التي تفتحت ازاهر رباها وجرت جداول فيض
نداها لا زالت مخاير رتب المعالي بناها ولا برح الكون مبتهجا بحلاها امين
يعرض الداعي الذي لا يزال في مركز انتسابه ولا يتحول عن خصوصيته في ابتعاده واقترابه
انه تقدم فيما سلف الداعي عريضة لم يرد عنها جواب يشفي جوى حشاشة غدت
للبعاد مريضة مع ان الداعي على ما كان لا يخطر في محفل بافاضل الناس حافل ولا مجلس
مذاكرة ومساجل الا ويملأ الاسماع من جريان محاسنكم المعاني المرفقة في اواخر
المباني ويبرز من كواكب تلك المناقب ما يملأ ضوءه ما بين المشارق والمغارب

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

وبلى من مصابيح خلائقك الساطعة الانوار ما هو اذكى من عبير العنبر المعطار فله
بكل ديوان لسان شاكر لاحسانك وبكل لسان ديوان ذاكر لامتنانك يتلو من
آيات عرفانك ونيلك وبينات مجدك وفضلك ما يقرطه بدرره المسامع وتأخذ
بآثاره من القلوب المجامع بما من ناد الا وعطره بنفحات شذى اخلاقك الزكية
ولا من واد الا واتحفه برشحات ندى راحتك الندية ادام الله عماد المجد قائما
بوجودك وليل هذا الدهر مشرقا بنور سعودك آمين اهـ ومن رسائل صاحب
السماحة السيد ابي الهدى الصيادي نقيب اشراف حلب رسالة بعثها الى الامير في
صفر سنة ست وتسعين نصها الحمد لله رافع منار اهل البيت المحمدي على عالم
التقوى واشرف الاخلاق ومطلع كواكب سعودهم في سموات المعالي باسنى
المواقع واجل الاشراق والصلاة والسلام على جدهم باب الله الاعظم ووسيلة الخلق
على الاطلاق ورضي الله تعالى عن الصحابة نجوم الاقتداء الداخلين بغيوث شريعته
الحقة الاطلاق ورحمة الله وبركاته على ساداتنا اهل بيته وذريته المتحزبين
باتباعه والمنتسبين بسر الالحاق اما بعد فهذا رقيم من حضرة العبد محمد ابي الهدى
الى السيد الجليل في الشرف النبيل والمجد الاثيل والحسب الاصيل عنقاء مغرب الغرب
وصبح مشرق المشرق صاحب الفتوحات الباطنية ورب المنح المحمدية المتواضع لله
والمتمسك بسنة جده سيد انبياء الله مولاي وسيدي السيد عبد القادر الحسني
متع الله والمسلمين بدوام بقائه واعزنا الله بتأييده الخفي وحسن ارتقائه
آمين مولاي حياكم الله واحياكم لا عدمنا مجدكم عليا لكم ولا حضرنا قط في مجلس
مستحسن الا ذكرناكم وانما نستأنس بسماع مناقبكم الجليلة ونتذكر مناهج سياداتكم
الجليلة ولا برحنا نترقب جعل الوسيلة والذريعة لاكتساب توجهاتكم الشريفة الرفيعة
واذ بالنعمة المأمولة وردت بلا وسائل وقال لسان الحال هكذا تطلع الاماجد على

السائلين

٨ النجا ومن رسائل ... قولهم مقام الاخلاق والشيم

هذا يكتب بعد رسالة ... الشيخ ... الخ

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

إنا محمد
بنا ومولانا محمد وآله وصحبه

بعيد وامدكم بفضله المديد هذا وقد اجبت سؤالكم بعرضي عنكم لدى الحضرة
القيصرية تحية الاحترام والاخلاص فارتاح جنابه الرفيع الى ذلك بمسرة وتكرم
بالثناء عليكم واذن لي ان ابلغكم السلام من لدن حضرته العلية وان اعرفكم
بانه محب لكم وانه لا يزال تتنعم اعتابه اشرف مسرته بحسن صفاتكم وحميد سيرتكم
ولذلك اهنئ نفسي وافرح بالفرصة التي اتيحت لي لتبليغكم هذا التعطف من لدن
مقامه السامي وحيث اني اود ان ابث اليكم واظهر لديكم ما عندي من المودة
فقد ارسلت اليكم داخل هذا الرقيم صورتي لتكون تذكارا لي عندكم فاقبلوها
واحفظوها علامة على بليغ ودادي وصدق ولائي وسلاما مني مستمرا على
سموكم ولست ازال ابدا على مواطئ اتمنى لكم كل خير وغبطة حرره الروسي القيصري
نيقولاي وكان الوزير السياسي غورتشكوف الروسي رفيقا للغراندوق نيقولاي
في سياحته هذه ولما رجع الى وطنه بعث الى الامير مكتوبا ملخصه اعد نفسي
سعيدا حيث اني رأيت شخصكم المجيد وسمعت خطابكم اللذيذ ولم يزل فكري يجول
في رياض محاسنكم ويستنشق نسيم مكارم اخلاقكم ولا ابرح على ذلك مدة حياتي
وانحراف مزاجكم الشريف هو الذي عاقني عن وداعكم حسب السرور واوجب لنا
الاسف الشديد وقد اتصل بالامبراطور ما انتم عليه من الميل الى جانبه
الرفيع وبقي بذلك ممنونا متشكرا ارجو عدم ابراحي من الفكر الكريم حرره
غورتشكوف وكان بين الامير والحكومة التونسية مواصلة ودادية ومواصلات
قلبية ولما انجز الوزير الخطير خير الدين باشا تأليفه اقوم المسالك بعث الى الامير
نسخة منه واصحبها بمكتوب يبين فيه الاسباب الباعثة له على تصنيفه وذكر حاجة
اهل هذا الوقت الى مثله فاجابه الامير بمكتوب هذا ملخص موضع الحاجة منه قد
ورد علينا من حضرتكم كتاب سني يشتمل على خطاب لذيذ شهي فاستدعى شكري وحمدي

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

واستخلص في صفاء المودة ما عندي عرفتمونا فيه من خبر سلامتكم ما نرجو له الدوام وندعو
له بالحفظ والحماية من حوادث الليالي والايام هذا وقد اطلعنا مرافقوا المسالك فرايناه
يبهر العقول وادى الافكار الى الذهول واتفقت القلوب على تفضيله واختلفت الالسن
في تمثيله اما نحن فقد تركنا التشبيه وقلنا ما في قصده من مثيل ولا شبيه قد اراناه في الرجال
بقايا وفي الزوايا خبايا فتنفس الدهر به تنفس الروض في الاسحار وتبسم من ثغور
النور والازهار يزري بتاج لاجين الاعيان وكانه مرآة انعكست فيها اخبار الملوك الزمان
والافاضل الاجلاء فاتخذته مرتع ناظري ومنتعش خاطري ولا يخفى ان لكل عصر من رجال
يقومون باعبائه ويصيبون في اودية انبائه وبالجملة فقد اثبتم في هذا التاليف
من كلامكم العالي المنيف ما يحق لكل عاقل ان يتخذه سميرا ويجعله على كل كلام اميرا
فلقد ابتدرت ايها الوزير الخطير الى احراز المعالي وسبقت وحزت قصب السبق في مضمارها
وجزت واحييت للوزارة ما اندرس من فضيلة العلم ومحاسن الشيم فلله درك ودر
ما به المعت وحسن ما قربت من فنون المعارف وتفوقت ثم حميت ذمار الشرع المحمدي
وعضدته وقطعت عنه ضرر المحروب وخضوته وذلك بما قررتموه من ان الشريعة المطهرة
لا تعتبة بكل زمان صالحة الحكم بها في كل اوان وان بعض من خالف الحكم المحمدي بتاخر
من نسب جنايته اليه وما احتشم ولا تبقى ولم يعلم انه انما أتي من قبل نفسه واصيب
في حين بصيرته من جهة اساءته والشمس ان تخفى على ذي مقلة نصف النهار فذلك لخفي العمى
نسئل الله العافية وقد تكرم علي صاحب تونس بالنيشان العالي من الرتبة الاولى
المحبة وزيره الاكبر مصطفى المعروف بخزندار بمكتوب رسمي منه الى الامير جاء به
الامير برسالة منها ان ما بيننا من الود متين عرى الحقائق فلا يحيله عن مركز ثبوته
عائق فقد ارتبطت في الله وليه معاقده واسست على المحبة لاجله قواعده ولقد والينا
باخلاصنا في الولا وعرفتم الله فقد تم بحقوق الاخوة فيه على الولا ثم تكرمتم بما يدل على ذلك

سلالة الاشراف ونخبة ال عبد مناف حامي حمى المسلمين حجة العلماء العاملين
سيدي الامير عبد القادر بن محي الدين رعى الله بمنه سيادتكم ومتعنا والمسلمين
بوجودكم امين وسلام عليكم تتوالى نفحاته ورضوانه الاعم وتحياته وبعد
فاننا بخير ونسئل الله ان تكونوا كذلك ولما اراد ولدنا فلان زيارة بيت المقدس
وانبياء الله الكرام والتبرك بالمثول بذلك المقام ارفقته هذا الخطاب رجاء
ان اظفر بدعوة شريفة من ذلك الجناب لعلي ابلغ بها المرام وتحفني بها
السعادة في البدا والختام انتهى ومن امعن النظر فيما نقلناه من الرسائل
علم اننا اثبتناها بحروف كاتبيها بحيث اننا لم نتصرف فيها بتبديل ولا تحويل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليما

تذكاري مع شقة البين وإن كان نصب العين نسأله تعالى أن يجعلها وسيلة يستحق
بها عز الأوطار المحموده باعثة على نتائج الطرب التي هي بالتوفيق مدعمة وبالهدى
معضوده وإني وإن أجهدت اليراع في شكر مودتكم وعائد صلتكم بما أوفى حقها ولو
أعارتني السماء للكتابة ودفها وأرجو من مكارمكم العربيه وشمائلكم الرشيده
حسن الثبات جنابكم للتنسم بودكم بصالح الدعا حتى أرى الإجابة تخرج من خلاله
وأرتوي من زلاله فإن تعطشي لذلك مزيد وشوقي اليه عتيد وكتب الأمير إلى أمير الأمراء
رستم باشا يوصيه بأولاد سفراء حين التجأوا إلى المملكة التونسية فأجابه بقبول
وصيته والإجابة للإراده وبغيته بكتب اليه ما نصه أما بعد فقد ورد علينا كتابكم
الأعز وخطابكم الألذ الأوجز مشتملا على ألفاظ فائقه ومعان رقيقة رائقه ومخبرا
بأن تجمعه العناية السنية الصادقه بالعينة المتجلة الغزائيه من عميم إحسانها
وفيض امتنانها وأنها أنزلتهم بها تخيروه من أوطانها فنسأل الله أن يديم رفعتها
ويؤيد سطوتها ويبقيها للأقربين ملاذا وللعائذين معاذا هذا ونحن نعلم أن
ما أبرزته مراحمها وجادت به مكارمها ما وقع إلا بإشارتكم وما ظهر للعيان إلا
بواسطتكم فجزاكم الجزاء الدال على الخير وأعاذكم من كل فتنة وضير وأدام توفيقه
إياكم لمثل هذه الأعمال السنيه والمزايا البهيه إنه جواد كريم بر رحيم ولا
نحتاج مع وفور فضلكم إلى تجديد الوصية بكافة المهاجرين وتكرار التذكرة
بملاحظة الأولين منهم والآخرين والله تعالى يحفظكم ومن كل سوء يقيكم
فأجابه بما نصه جناب العز العريق في الرياسة والسياده الحقيق بارتداء ملابس
الفخر والسعاده الذي أربى عز جنابه على سائر أقرانه وأترابه وشكرت مساعيه
الحسنه واتفقت على كمال وصفه الآراء والألسنه حضرة الأمير الجليل الأسعد
سيدي عبد القادر بن محي الدين لا زال وجه الأيام بحسنات سعادته ساطعا

٢١

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

وضياء نورها بسيادتكم لامعا اما بعد سلام يتمسك بذيل عرفه النسيم ورحمة
يشملها سلام فوق امر رب رحيم فان كتاب جانبكم الاعلى وخطاب سيادتكم الاعلى
ورد علينا فكان اعظم وارد واكرم وافد وانشرح صدري عند تناوله وفهمت له قبول
مبتهج الامام المرسله وشكرت الله تعالى على تعطفكم علينا وحسن التفات سيادتكم
الينا واعظم ما سررنا به عافية حضرتكم الشريفة واخبارها السارة اللطيفة جعل الله
تعالى عنكم دائما ما يتعاظم به السرور وتزدهي به الخواطر وتثلج الصدور والمرغوب
من الجناب العالي الزاهر المتلالي ان يمدوني بصالح دعائكم والله سبحانه وتعالى
يديم شموس سعادتكم مشرقة واغصان سيادتكم مورقة بمنه وطوله ولما تولى امير الامراء
حسين باشا التونسي رئاسة مجلس الشورى سنة اربع وتسعين ومائتين والف
كتب الى الامير يخبره بذلك ويذكر اعتناءه بامر المهاجرين في تلك المملكة فاجابه
الامير بما نصه ان السنة المهاجرين لم تزل تلهج بكمالكم وتبتهج بجميل خصالكم
فاحببناكم على السماع وتمنينا ان لو حصل بيننا وبينكم اجتماع ثم لما ورد تحريركم
الكريم ثبتت محبتكم في قلوبنا بالوسائل المؤكدة على ما يقتضيه حديث الارواح
جنود مجندة ثم اني اقدم لحضرتكم انواع التهاني بالمقام الذي ترقيتم اليه والمنصب
الذي دار قبلا بحركم عليه وفي الحقيقة التهنية للمنصب حيث انه بجمالكم تجمل وبكمالكم
تكمل لكن جرينا على ظاهر المعروف وسلكنا في ذلك السبيل المالوف ونسئله تعالى
ان يديم ترقيكم ويوفقكم لما به يرقيكم امين وفي سنة خمس وتسعين كتب الامير في
عناية باحد الصحابة ما نصه ادام الله تعالى عز اللهمد الهمام مجمع الكمالات المتفرقة
في الانام ذو الشارة المسطرة على جبين الدهر والحائز في مضمار التبريز غاية المجد والفخر
سيدنا ومولانا الوحيد الشهير سيدي عبد القادر لا زالت الافئدة تتفطر على وده والالسنة
تتارج بنشر امجده اما بعد اهداء تحية ترغب قبول قبولها الاريحية فان نور حظ
العبد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

العبد من مودة السيادة بيسع مفتخر وهو ان حامل الكتاب فلان عن له ان يزور
مواطن الشام وربما يبلغ الى بغداد ان ساعدته الايام فامل من عبدكم وشيعتي
ودكم ان يصحبه بمكتوب الى العشائر السامية ليتشرف برؤيتكم ويكون تحت حماية
سيادتكم العلية بالله تعالى وعليه فالمرجو ان توصوا به خيرا سائر العرب الذين
يكون مروره عليهم حتى يكون في حلوله وارتحاله امنا مطمئنا اينما نزل فاسعفته
بمراده لسابق وداده لا زال حاكم المحمي مزاح العاني ومطمح نظر القاصي والداني
ولما تولى امير الامراء محمد المعروف بالبكوش وزارة الخارجية بتونس كتب اليه الامير
يهنيه بها فاجابه بما نصه الجناب السامي نجاره الواضح اعتباره المشرق
مناره الحميدة في المكارم ايراده واصداره نخبة الاعيان اهل المعرفة والشاف
الحسنى الامير السيد عبد القادر لا زال يحل بفضيلته شيئي اما بعد اداء ما يجب لعزيز جنابكم
من التعظيم والتكريم فقد بلغني كتاب سيادتكم متضمنا الافادة من عافيتكم
لا زالت ضافية الاذيال بادية الاجلال ومعربا بمسرة جنابكم بولاء بيننا وزارة الامور
الخارجية فشكرنا مكارم اخلاقكم الجليلة التي هي محل الشكر وفرارة العجز
ونسئل من الله عونا على مرضاة حضرة سيدنا ادام الله عزه وعلاه ونسئله تعالى
ان يديم حفظ ذلك الجناب على ممر الاحقاب بمنه تعالى وكرمه ومنه اليه مكتوب
اخر تاريخ سابع رجب سنة خمس وتسعين هذا نصه الجناب الذي ضربت عليه
العلياء قبابها ورفعت له المسرة نقابها واستندت به شجرة المجد اغصانا وكانت
الالسنة على الثناء عليه اعوانا تعجز الاقلام عن تعداد محاسنه والالسن
عن عد احاسنه المفرد العلم وحيد الشمائل والشيم الامير السيد عبد القادر
لا زالت الاسماع لمآثره واعية واجياد الزمان بفضائله حالية من الكمال
من رياض معاليه يرتاد والانس بوجوده على الدوام يزداد اما بعد اهداء

المرحوم حسوه ومن الدين كي ... (٢)
محمود الحمد ...

تحية يطيب بها الشوق الى ذلك النادي ولا يبرد بها الا كبد الحب حادي مغرد بلغ
بكتابكم العزيز المنتهى حتى كدت اصبر به مغرما ولها حبا مبشرا بما عمكم من
النعيم الكافي والفضل الوافر ومغردا بما عليه حبل الثقة لناس الود العاشق
والاعتناء الرائق فحمدنا الله على ذلك وشكرنا فضلكم بما هنالك والمطلوب من
حضرتكم اللطيفة الشمائل نتيجة الوسائل حسن الالتفات للعبد بصالح ادعيتكم
التي هي للاجابة اسرع من هطل سحابه والله يديم ما دمتم من خزائن فضله
ما انتم من اهله امين وفي سنة احدى وتسعين كتب الامير الى اميركة الشريف عبد الله
يعزيه في بعض اقاربه فاجابه بما نصه عقب اهداء جزيل سلام اطيب من عرف النسيم واعزه
من رحيق مختوم ختامه مسك ومزاجه من تسنيم وازكى تحيات تبتسم بالمحبة ثغور
سطورها وترقم بصدق الاخلاص احرف منشورها الحضرة فريد الذات والصفات
حسيب الخصال والسمات ذروة الافاضل والاكابر عمدة ذوي المعالي والمفاخر
الاجل الاكمل السيد عبد القادر الحسني وبعد فانا لم نزل نتطلب ورود الاخبار
المسرة عنكم بما يطمئن به الخاطر عليكم وفي اشرف الساعات ورد علينا مكتوبكم
الشريف المشتمل على الخطاب اللطيف المتضمن التعزية فيما جرى به القضاء
المبرم والعذر المحتم بوفاة من تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه فسيح
الجنان وقد احسنتم فيما بلغتم من حسن العزاء ولا زلتم موفقين لتسلية
المخلصين فالله تعالى يجعلنا ممن يتلقى قضاه برضاه وامدتم عما بلغكم مما
حصل لناس الاثر فله مزيد الحمد فتفضل المولى سبحانه باللطف فيما فقد رددتم
سالمين في حفظ الملك المعين اهـ ومن رسائل الاديب الفاضل الاريب الكامل
العالم العامل ابو الاقبال السيد حسن سليم الرجاني الى الامير في سنة ثلاث وثمانين في تهنيه
رسالة ودادية تشتمل [illegible] وجهة الشرف الشامخ وطود الفضل الباذخ امام

محاير

المرحوم حسوه ومن الدين على سجادنوم ٧
ود اليه محمد بسيم

ان لا تنسوني من صالح دعائكم ولما ان امر سلطان التوجيه باشا بتونس سنة تسع وسبعين
وثمانمائة والف بعث اليه الامير تلغرافا يهنيه بذلك فاجابه اني اقدم تشكراتي عما
تكرمتم به من التهنئة بمناسبة ارتقائي للسلطة الخديوية ومن رسائل الامير الى
لويس نابليون الثالث امبراطور فرنسا رسالة بعثها اليه من دمشق منها قوله
ولو اعطيت نفسي مناها وسوغتها هواها لا وردت على حضرتك في دور كل يوم جديد
وابو الشكر وجددت لكم مع كل خاطر جميل الذكر وحسبي من ذلك ان اخبارا تواترت وانفاسا
تظاهرت باطفاء سلطان اليابسة على ذكر مزاياك الباهرة ونبذ افعالك الزاهرة
ونشر نتائج عدلك وشكر وابر فضلك حتى لقد صار للناس فيما اجريته معتاص
الخوارق محافل تعقد ومشاهد تشهد ولم تزل مستمرة الى الان وبهذه الحال ذلك
التي طاب سمعها ولذ موقعها استعرنا برد الارتياح وصوب الانشراح ان بعث
هذه الرسالة نهنيك بالتوفيق الذي قسمه الله لك في شأننا والتيسير الذي
اظهره الله على يدك لنشر محبنا والاحسان الينا اهـ ومن عادة الامير مع الامبراطور
المذكور انه في كل سنة بعد خروجه الى بلاد الاسلام يبعث اليه يهنيه بدخولها كما ٢٣
انه يهنيه بعيد جلوسه على تخت الامبراطورية في امثال اليوم الذي تعين له فيه
ذلك ولكثرة الرسائل ووفرة الاجوبة في هذا الخصوص اقتصرنا منها على بعض الاجوبة
للامبراطور حيث ان مؤدى الجميع واحد من اجوبته جوابه عن تهنئته بخمس وخمسين بسنة
وثمانمائة والف مسيحية وهو قد وصلني تلغرافكم معبرا عن صادق المودة وموضحا
شدة ارتياحكم لتهنئتي بالسنة الجديدة فحصل لي بذلك سرور عظيم وبمثل هذه
التهنئة اهنيك واؤكد لك اني احبك وارجو لك الخير وعن التهنئة بعيد
الجلوس اطلعت على تلغرافك ومحبة الامير فرحا فيها رائقة وصادف هنا
غاية الارتياح والقبول وعن سنة ستين قرأت رسالتكم واهتززت سرورا بها

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

لكونها جاءت نائبة بالاشرف عن شخصك الكريم لدينا وعن سنة احدى وستين
حين اطلاعي على رسالتك في التبريك بالسنة الجديدة انشرح صدري وانبسط
فكري وانبعث شكري وعن سنة اثنتين وستين سرني بلغرافك جدا لحتي جيده
دائما اتذكر واتعلق في محاسنك ومزاياك وعن سنة ثلاث وستين تعفنيتك
حازلها في قلبي موقع عظيم جدا كما يقع في قلوب الاحباب بمثلها وعن سنة اربع
وستين وردت علينا التهنية من حضرتك فتلقيناها بالقبول والسرور وهكذا
في كل سنة دخلت رغيد للحلول من تجدد الان عرض للامبراطور ما عرض في حرب بروسيا
من الاسر ثم الموت بعد خلاصه منه في بلاد الانكليز وكان الغراندوق قسطنطين
شقيق الاسكندر الثاني امبراطور روسيا جاء الى الارض المقدسة ودخل دمشق
واجتمع بالامير وعند سيره كان الامير منحرف الصحة فلم يتيسر لهما اجتماع لاداء
سنة الوداع وبعد وصوله الى بطرسبرج عاصمة ملكهم بعث تلغرافا للامير يخبره
بوصوله فاجابه الامير تلغرافيا ايضا سرني جدا وصولكم بالسلامة لغركم صحتي
جيده دائما اذكر ما انتم عليه من الاخلاق الحسنة ان حسن عندكم قدموا
اسنى تحياتي الى حضرة الامبراطور واقبلوا تهنئتي بالسنة الجديدة وهي سنة
اثنتين وسبعين وثمانمائة والف وفي شباط منها جاء الجواب من الغراندوق عن
هذه الرسالة ونصه ايها الامير الماجد المعظم قد سررت كثيرا بتلاوة الرسالة
التلغرافية التي اتحفتموني بها وجاءت شاهدة على دوام ذكري عندكم وكانت من
احسن الوسائل لدي لتجديد انبساط قلبي بتذكر اجتماعنا في دمشق الفيحاء وما
كان من سياحتي في المشرق التي لا يتطرق اليها عندي نسيان وما كان لبعد الشقة
ولا لطول المدة ان ينسياني ما رايت في ذلك القطر الكريم من اكرام النزل وحسن اللقاء
ومن جملته ما بدا لي منكم ومن جميع اهل دمشق ثم ان من محاسن تبغتكم هذه

وانا شاهد ... عند موته بعث الامير

على

التحاني

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه

التحاني بخبر تخلصكم بحصولكم على كمال العافية والصحة فان لسلامتكم شانا عظيما
لدي لما اعلمه من انبعاث الفضل والفضائل من افعالكم واقوالكم فاحيا لكم الله
الى امد بعيد وامدكم بفضله المزيد وقد اجبت سؤالكم بعرضي عنكم لدى السدة
القيصرية تحية الاحترام والاخلاص فارتاح جنابه الرفيع الى ذلك بمسرة
ثم تكرم بالثناء عليكم واذن لي ان ابلغكم السلام من لدن حضرته وان اعرفكم
بانه يحبكم وانه لا يزال تنشرح اعطافه لنشوة مسرته بحسن صفاتكم وحميد سيرتكم
ولذلك اهنئ نفسي وافرح بالفرصة التي اتيحت لي لتبليغكم هذا التعطف
من لدن مقامه القيصري وحيث اني اود ان اثبت لكم واظهر لديكم ما عندي من
المودة فقد ارسلت اليكم داخل هذا الرقيم رسم صورتي لتكون تذكارا لي عندكم
فاقبلوها واحفظوها علامة على بليغ ودادي وصدق ولائي ومني سلام يقرر
على سموكم ولن ازال مبلغا عواطفي اتمنى لكم كل خير وغبطة اهـ وكان الوزير الفرنساوي
[illegible]
بعث الى الامير مكتوبا ملخصه اعد نفسي سعيدا حيث اني رايت شخصكم المجيد
وسمعت خطابكم اللذيذ ولم يزل فكري يجول في رياض محاسنكم الفاخرة ويستنشق
نسيم ازهار اخلاقكم ولا ابرح على هذا مدة حياتي وانحراف مزاجكم الشريف
هو الذي منعنا من وداعكم عند السفر واوجب لنا الاسف الشديد والان نحمد الله
على اعتدال مزاجكم وكمال صحتكم وقد اتصل بالامبراطور ما انتم عليه من الميل الى
جانبه الرفيع وعد بذلك ممنونا متشكرا ارجو عدم اعراضي من الفكر الكريم
اهـ وكان بين الامير والحكومة التونسية مراسلات ودادية ومواصلات 8
قلبية ولما انجز الوزير الخطير خير الدين باشا تاليفه اقوم المسالك بعث
الى الامير نسخة منه واتحفه بمكتوب بين فيه الاسباب الباعثة له على تصنيفه

[illegible]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ثم ذكر حاجة اهل الوقت الى مثله فاجابه الامير بكتوب هذا ملخص موضع الحاجة
منه وبعد ورد علينا من حضرتكم كتاب سني يشتمل على خطاب لذيذ شهي فاستدعى
شكري وحمدي واستخلص في صفاء المودة ما تحتوي عليه ضمائرنا فيه من خبر سلامتكم
ما نرجو له الدوام وندعو له بالحفظ من حوادث الايام هذا وقد اطلعنا على اقوم
المسالك فرأينا فيه ما بهر العقول وادى الافكار الى الذهول من قضايا المعقول
والمنقول بما تعجز القلوب على تفصيله واختلفت الالسنة في تمثيله اما في فقد
تركنا التشبيه وقلنا ما له في فنه من مثيل ولا شبيه فقد ارانا في الرجال بقايا
وفي الزوايا خبايا تتعيس الدهر به تتعيس الروض في الاسحار وتبسم عن ثغور كتاب
النور والازهار تزري بتاج التراجم الاعياب وكأنه مرآة انعكست فيها رسوم كتاب
اخبار الملوك وافاضل الزمان فاتخذته مرتع ناظري ومنتعش خاطري ولا بد لكل
عصر من رجال يقومون بأعبائه ويهيمون في اودية انبائه وبالجملة فقد اثبتم
في هذا التاليف من كلامكم العالي المنيف ما يجب على كل عاقل ان يتخذه سميرا
ويجعله على كل كلام اميرا فلقد ابتدرت ايها الوزير الخطير الى احراز المعالي وسبقت
وحزت قصب السبق في مضمارها وجزت جلبه وركوده رعاية الملك وما فوقه من
فنون المعارف ويعوث ثم انك حميت ذمار الشرع المحمدي وعضدته وقطعت عنه
ضرر المحروب وخطوته وذلك بما قررتموه من ان الشريعة المطهرة لا تغير بكل زمان
صالحة للحكم بها في كل اوان وذكرتم ان بعض من خالف الحكم المحمدي فشامخ نسب
حاجته البيرما احتشم ولا ابتكر ولم يعلم ذلك المخذول انه انما أتي من قبل مخالفته
واصيب في عين بصيرته من جهة اساءته والشمس ان تخفى على ذي مقلة نصف
النهار فذاك تحقيق العمى نسأل الله العافية اه ولما تكلم على صاحب تونس على
بالنيشان العالي من الرتبة الاولى عزيزه ووزيره الاكبر مصطفى الشهير بخزنه دار بمكتوب

الحي

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وآله وصحبه وسلم

السالمي بغتة والرقيب غافل وقد خفق جناح النجاح ولمع باذن الله بارق الفلاح
ولاح وظهر من مطوي الودائع الغيبية منشور عنايتكم الباطنية الحسنية وقد قيل
ان حياة العوّاد • رجال الحب على الغفلة تكلوته اذ اخفته منعجبا من حسن توجهاتكم
علي بلا استحقاق مني معتقدا ان مثلكم يرعى مثلي من الليل الا بلونيكم عني اخلصت
فيك سرائري والتخلص من خطره وصبرت لكي يحي ان الصبر عقباه الظفر
فنظركم في الداعي السالمي منعكس من مرآة قلبكم الطاهر ولا شك العارفين فاجوكم
ان تلاحظوني برقائق رابطتكم في خلواتكم السعيدة وان تمدوني بمددكم العالي حالة
حلوتكم في شطحات سوانحكم الحميدة جعلكم الله سلما للوصال ومحجة الى بلوغ الآمال
ولا ريب انكم معادن الكمال والى الشرع حرثومة والى رجال اذا الدنيا دجت
اشرقت بهم وان امحلت يوما بهم ينزل المطر وان وطئوا قفرا زهت بربيعه
واخضر واديها واعشوشب القفر ايد الله بثبات اقدامكم شوكة الشريعة
الطاهره وجعلكم المولى منهجا للوصلة الخالصة في المسالك الباطنة والظاهره
والصلاة والسلام على ملجئي الانام ورب السلام والحمد لله مسك ختام المبدا
والختام اه ومن رسائل الشيخ محمد الدرابزلي المعروف بالشيخ المنتظر هذه الرسالة ٣٥
الحمد لله اخرج حروف الكلم من نور الجمع الذاتي الاقدم بالفيض الاقدس الاقوم
وفتق من الرتق الاحدي والجمع العماوي الابهم صور الاعيان المعدومة في العلم
بنفسه الرحماني المقدس الاحكم فظهر انتظام صور كلمات الحقائق العلمية وصور
تعينات الاسماء الالهية بحروف الاعيان الثابتة في العدم احمده حمدا يكشف
لي به عن حقيقة ذاتي وعن استعدادي وعن اي اسم كنت محلا له فاتحقق بحقيقة
حقي واعرف نفسي فاعرف ربي وصلى الله على النور الاعظم المسمى بالنون والقلم
سيدنا محمد من اوتي جوامع الكلم ومن هو نقطة حروف الوجود واحدي كلمات

او تحت تأتي عن بعض الحكم رفع البالغ ويعود تمامها الى الاخير يكتب مكتوب الي الهدى ثم يكتب بعده مكتوبه الثاني المنقول ومن اجوبته ايضا قوله

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليما

الرسل صلاة الامام صلى الله عليه وعليهم وسلم اما بعد فاني اهدي سلاما ابهى من النسيم
وارق من النسيم واضوع من عرف المسك الشميم صدر من صميم الفؤاد ممتزجا
باكيد المحبة والوداد معطرا من عطر شذى البيت المعظم الحرام والحجر والملتزم
الحضرة مولانا الكامل منبع المجد والفضائل الحبر الذى سما بجده واشرق في سماء
العالي بدره الغني بشرف ذاته عن تسميته بالتصريح لما حازه من بدائع الثناء
وكمال المديح ادام الله تعالى اجلاله ويسر بفضله وكرمه مقاصده وآماله وامني
اما بعد فالباعث لتحريره والداعي الى تسطيره اولا كثرة الاشواق الى مشاهدة
الذات العليه والطلعة السنيه وثانيا ان حامل هذه الاسطر الاخ في الله الشيخ
فلان من اعظم مشايخ الطريقة العلية الرفاعيه ومن اكابرها المنتسبين بحب تاج العارفين
الشيخ الاكبر سيدي محي الدين توجه من هنا قاصدا الى الشام ليتشرف بزيارة من
هناك من الانبياء العظام والاولياء الكرام وقصده ايضا ان يتشرف بتقبيل الاعتاب
وينيخ نجائب آماله بفسيح الرحاب فالمامول من هممكم العليه ملاحظته بالانظار
الاكسيريه وشموله بالنفحات العرفانيه والفيوضات العرفانيه اذ هو المقصود منا
وسكرتير ابن عمنا السيد الطيب بن المختار ضاعف الله تعالى اشارته الى ما قال البدر اهل الجزائر
من الجهل بفنون العلم والسياسه واسناد الاحكام الى غير اهل الرياسه وهي كما ترى
سيدي الذي استند في جميع اموري بعد الله تعالى اليه ومولاي الذي اعتمد بعد الاعتماد
على الله عليه في المحاسن التي صورها على منصة النبويه تجلى والاحاديث التي لا تمل
على كثرة ما تملى .. لسنا نسميك اجلالا وتكرمة ومدرك الفضل عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وما شوركت في صفة فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا
عبيدكم الداعي الى الله سبحانه ان يذلل لخدمتكم وطاعتكم انف الاسد المهصور ويبقى
العز في عقبكم وعقب عقبكم الى يوم ينفخ في الصور

يسلم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه وسلم

يسلم مشتاقا الى ذلك الحما سلاما تمسير العاطرات بسير
سلاما على قدر الجلالة والعلى وانى في جنب العلى ليسير
سلاما يفي بالمكرمات وبالنهى وكيف يفي والمكرمات كثير
سلام امرئ يشكو الصبابة والنوى ويهوى المزار والمزار عسير
يكاد يطير عند نشر كتابكم واني يطير والجناح كسير
فيثنى عنان العزم نحو جنابكم وماذا عسى والباع منه قصير
لذا صورت من طيب ينوي طيبها مدادها مسك الفضا وعبير
ومورودها المختار من آل مختار كما العذب ساغ والمقام كبير
وان تكن من وصف الفصاحة قد خلت فبالعذر حال الارتجال بشير
على ان بسط القول بالصدق مفتقر الى اهل الالباب والامر خبير
اما بعد حمد الله الذى بحمده تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بالايات
البينات والمعجزات الباهرات فانا كتبنا هذا عن ود صادق وقلب خافق جوابا
عما صدر من حضرتكم العليه وسمحت به نفسكم الشريفة الطاهرة الزكيه مفيدا انا مولاي
عليه من الصحة والعافيه والنعم المتواليه الضافيه وذلك اسنى مقاصدنا ومبلغ امالنا
ومقصود لو يناس حالنا اما لنا شهد الله علم الله اذ صلاح حالك صلح الله احوالنا
ونحن بخير ما بقيت لنا وان سال المولى عن حال عبده فاكثر عباد الله وزرا واثقلهم
ظهرا واخسرهم خصوصا لمجالسة الجهال تجرا والحال انه ذهب من العمر اكثره ولم يبق
من العمر الا يسيره اشكو بثي وحزني الى الله وردنا فنعتذر الصور واخطانا وما اخطا
العذر ولمه فينا علم غيب نحن صائرون اليه فمن استعاذ من شي فليستعذ مما نحن فيه
كيف وقد اسند الشي لغير اهله ووسد الامر الى غير اهله وجرت الصفة على غير الموصوف
مع فقدان الشرط بجاه الامر على غير المعروف وقد نتصور من هذا الجنس العربي اقوام

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه

لا لحاق الغريم وصيهات باطله ووضع الشي ولست شعري في محله معوموا التوفيق وحادوا عن سواء الطريق لتعاطيهم الرواية وما رووا ودعواهم الدراية وما دروا وراوا اقامة الجمعة في غير الجامع وراموا القياس بقطع النظر عن الامر الجامع فكان الاخذ عنهم ضلالا والاقتداء بهم وبالا ومعالجة الداء بهم تنجح في غير ضريم والعدول عمن سواهم اليهم غسل دم بدم والتعزز بهم ذلة في عز ذلة والاستكثار بهم قلة على قلة والجناب الكريم بصير بان كل عزلم يوطس بعلم مالى ذل يصير ولا زال ينسج على هذا المنوال ويبرز الاحوال بلسان ٣ هذا السيد
الفال الى ان قال ولربا ساق الحوث بعض ما :. لعبس البنئ اليه بالمحتاج ثم الاجابتي اعلم ان هذا النحو مما يشتى على سبيل سماعه وتمجه اسماعه لكل الاني طبع المتالم والكلام صفة المتكلم وما في الانسان يظهر على فيه والاناء يرشح بما فيه ولا بدمن النعث للمصرور والله عليم بذات الصدور اهـ وجمع بعض الادباء ديوانا مما نظمه في مدح الامير ثم ارسله اليه والحقه بهذه الرسالة من نثره احمدك يا من منحت عبادك ارافة البيان وذللت لهم ما تصعب من الفصاحة والبلاغة حتى اقبلتا وهما منقادتان بأمتن عنان والصلاة والسلام على البدر التمام النبي العربي المكي المدني شفيع الامة ومنير الظلمة سيد المرسلين والمبلغ ما انزل اليه من رب العالمين بلسان فصيح ودين صحيح محمد المصطفى صاحب الصدق والوفا صاحب الوجه الانضر والفضل الاظهر والوجه الاقمر والحرم الانور وعلى آله الغر الميامين وصحبه الذين شادوا دعائم الدين السالكين مناهج الحق الصاعدين معارج الصدق الراضين بما يرضى به والمستمسكين بحبل جنابه ومن كانت هذه الصفات صفاتهم فهم المؤمنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اسأل الله العظيم بحرمة نبيه الكريم وآله والصحابة النجباء اهل الفضل والوفاء ان يمدنا برشائش اسرارهم ويجعلنا من الفائزين بجوارهم والمغترفين من بحارهم والمقتبسين من انوارهم اما بعد فان اكرم الاخلاق واكمل اوصاف اهل المذاق

هم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وقال ابو المعالي الطالوي الدمشقي من قصيدة غراء وهو اذ ذاك في بلاد الروم

ما الهوى غير اجفان مسهدة تهمي بقلب بنيران الاسى شعلا
ولا الغرام سوى وجد يكابده الا الحمى يا سقى الله الحمى نهلا
حمى دمشق سقاها غير معصرها صوب الغمام وروى روضها غللا
حتى تظل به الارجاء باسمة ويضحك النور في الكمام حين لا
وخص بالجانب الغربي منزلة لبست فيها الشباب الروض مقتبلا

ثم قال

ديار كل مهاة كم اقول لها والصبر ينحل في جسمي كما نحلا
يا بعينيك من سحر حلي دنفا يهوى الحياة واما ان صددت فلا
ما كنت لولا طلاب المجد اهجرها مجرا مراء مغرم بالراح كاس طلا
ولا تخيرت ارض الروم لي سكنا ولا تعوضت عنها بالصبا بدلا

وله من اخرى

ذكر العقيق فسال من اجفانه فاشتفه وجدا الى سكانه
واشتم في ريح الصبا ارج الصبا فصبا حليف جوى الى اوطانه
وشجاه مسجور الهوى دار الحمى ورق سواجع فجعن من اجزانه

الى ان قال

تمسي وتصبح في اراك ايكها مع الهبا والعرف في ريحانه
نزنا دار الشام اخصب منزل حيث العرار صبا الى حوذانه
حيث الغواني مشرفات بالدمى والغانيات يلعبن حول معانه
في ظل منبجس اللجين جرى به ذهب الاصيل يسيل من فيضانه
احوى الظلال كان سمرته لمى عذب المراشف تدعى غزلانه

٢٧

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ولده من اخرى

حمى الشام جاد الغيث ماحل تربه　　مغاني الهوى فيها مجال احبتي
وباتت باعلى النيربين مع الصبا　　تطارحها ذكرى عهود بربوة
على نهر حصباؤه الشهب قد جرى　　خلال سما روضاته كالمجرة
يجاوب سجاع الحمام خريره　　فتصغي له الورقاء من فوق ايكة

ولده اخرى ٣

شام برق الشام بالروم هلوعا　　فانبرت اجفانه تذري الدموعا
هب من علياء دمشق موهنا　　هبة المصباح في الليل ذريعا
جزعم الاجفان في هبته　　واتى الروم سرى الايم جزوعا
خفقت رايابة في افقه　　خفقان القلب فد امسى مروعا
وقعت شعلته وسط الحشا　　ونشأ طارئ الجو رفيعا
ليس يدري وقعها غير شج　　فارق الاوطان مثلي والربوعا

ثم قال معرابيات

والذي هاج الهوى قرنيه　　بالضحى تهتف بالايك سجوعا
كلما ناحت غراما نحن　　هاجت الصب غراما وولوعا
واذاعت لم غنت لسر　　ذكر الشام فزاد ته صدوعا
ياسقى الله حماها وابلا　　مسبل الطرف من الغيث هموعا

ولا زال ينسج على هذا المنوال الاجمال

ايها الظاعن والقلب على　　اثره مذ سار مازال هلوعا
لا تكن للعهد بعدي ناسيا　　ياحبابي واعطف نحوي رجوعا

ويعجبني قوله في اخر قصيدة قالها في الشعبي

حمص

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

1 فقام الروس يحامون عن حقوق الروم والفرنسيس يحتشدون للاتين ويتشكون لهم وورفع الباب العالي في حيرة من ذلك ثم تداخل الانكليز في حل هذا المشكل واطفاء نار الفتنة ورسموا لهم ما يؤلف بين الطائفتين المختلفتين فقبلته فرنسا ورفضته روسيا لان المقصود لها في الحقيقة امر اخر طالما اجتهدت في الحصول عليه وبذلت وسعها في الوصول اليه وهو والعياذ بالله تعالى ابعاد الدولة العلية عن قارة اوروبا فلما حدثت هذه النازلة راى امبراطورها نيقولا فرصة مناسبة للمطلوب فعمد الى انتهازها وارسل سفيرا الى الاستانة يعرض على جلالة السلطان مطالب رسمها له سيره في المسائل المتعلقة بالاماكن المذكورة وزاد فيها ان جميع الروم الذين هم من تبعية الدولة العلية يكونون تحت حمايته وان بطريرك الروم القسطنطيني وباقي اساقفة الطائفة الرومية يكون امر توليتهم وعزلهم منوطا به وان الشكايات التي تتوجه عليهم للاهالي تعرض عليه وهو ينظر فيها فوجم السلطان لذلك واستعظمه ثم رفض قبوله وانقلب السفير راجعا الى سيره فاعلمه بواقعة الحال فاستشاط غضبا وامر بزحف عساكره التي كانت معسكرة بالغرب من نهر الطونه على بلاد الدولة فاجتازت النهر وشنت الغارات على ولايات الافلاق والبغدان واستولت عليها فلما بلغ الباب العالي ذلك جهز عمر باشا المجري في الجيوش الاسلامية وبعثه ليقف في وجه العدو الى ان ينظر راي الدول في هذه النازلة ثم ان الانكليز وبروسيا والفرنسيس والنمسا انتدبوا الى عقد مؤتمر في ويانا للنظر فيما يوفق بين الدولتين وعرضوا هذا الامر عليهما فبعثت كل دولة منهما معتمدا من طرفها وبعد اجتماع الجميع عقدوا مجلسا للمذاكرة ولاول وهلة اظهر سفير روسيا نفورا وامتعاضا فكان ذلك سببا لتفرق المؤتمر من غير طائل وصدر الامر العالي السلطاني الى سليم باشا قائد الجنود العثمانية بالزحف الى حدود الروس حيث عساكرهم معسكرة هناك فزحف اليها وانتشب القتال بين الفريقين واتصلت ايامه ثم كانت الهزيمة الشنعاء على عساكر الروس وتقدم عمر باشا في جيوشه الى بلاد الافلاق والبغدان وجرى بينه ٢٨

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده محمد وآله الكرام
...

وبين الروس حروب مشبوبة كانت الدبرة فيها على الروس وارتدوا الورا فاتبعهم حتى
اخرجهم من ارض الافلاق والبغدان واجتازوا نهر الطونة ثم ان الانكليز والفرنسيس
انتدبوا لاعانة الدولة العلية واحتشدوا لها واعلنوا الحرب الروس واشهروا اعداوتهم
لها وقطعوا اعتراها وشتتوا النفر منها وفي سنة احدى وسبعين ساقوا عساكرهم ونقلوا بقي
مهماتهم الحربية الى ساحة القتال واضطرمت نيران الحروب في بلاد القرم التابعة للروس
واشتعلت الوغا ثم برا وبحرا وحمي وطيسها وفي اثنائها مات الامبراطور نيقولا وتولى مكانه
ولده ولي عهده اسكندر الثاني ودخل الوهن والفشل من جيوشهم واختل نظامهم
ودب ذلك فيهم شيئا فشيئا الى ان كانت الدائرة عليهم واستولت جيوش الدول الثلاث
المحاربة على سباسطبول بما فيها من الذخائر والمهمات وانهزمت الروس في كل جهة عساكر
وحينئذ اخذت الدولة التي كانت متحايدة عن الحرب وهي النمسا والمانيا وايتاليا
في مخابرات الصلح وعقده ثم اتفقت كلمة الجميع على عقد موتمر عام في باريز فانعقد
وذلك سنة ثلاث وسبعين ومائتين والف وتقرر الصلح فيه على شروط رضي بها
الجميع ثم انسحبت العساكر من بلاد الروس ورجعت الى اوطانها وانتهت الحرب
التي كان سببها الاعتداء وعلى الظالم تدور الدوائر ولنرجع الآن الى ما كنا بصدده
فنقول كان الامير كثيرا ما يجامل اهل بروسا بحسن مجالسته ويعاملهم بلطف
مؤانسته ويفيض عليهم غزائر سجال احسانه ويمطر على الاغنياء والمتوسطين
سحائب افضاله وامتنانه وفي ايام اقامته بينهم اجرى ختان اولاده واحتفل
له احتفالا لم يسبق اليه في تلك البلدة على ما ذكره اهلها فاقام اياما عديدة
يطعم الطعام ويكرم الوارد والصادر اي الكرام والتمس من ائمة الاحياء والحارات
ان يقيدوا له اولاد الفقراء المحتاجين للختان فقيدوا له نحو الخمسمائة فامر باختتان
الجميع على نفقته قال تشرشل المورخ في تاريخه وعندما كان ختان اولاد الامير تعجب

اهل

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده
محمد وآله ...

اهل بروسا وذلك ان من عادة اعيانهم وكبرائهم يحتفلون للختان وسائر الافراح
بجوق الموسيقه والطبول والزمور والامير احتفل لختان اولاده بكثرة الصدقات
والمبرات فترى جماهير الفقراء والمحاويج محدقين بداره الواسعة الرحاب يتناولون
انواع الاطعمة والالبسة والدراهم علاوة عن ذلك وكانوا على كثرتهم يرفعون اصواتهم
بالدعاء له وهو يقول لهم ارفعوا على انفسكم واشكروا الله تعالى انتهى وبينما الامير
واهل البلد في دعة وراحة فكر وارغد عيش اذ نزلت بهم طامة الزلزلة فاستولى
الحريق والهدم على البيوت والمساجد والاسواق فخرج الامير باهله ومن معه
من المهاجرين الى ارض كان اشتراها للزراعة قريبة من البلد وابتنى فيها الخيام
له ولسائر من معه وكثر الهرج والمرج وتفاقم الامر وخرج اكثر الاهالي الى البساتين
والقرى المجاورة للبلد ومنهم من ابعد السير وكان خليل باشا والي بروسا وما اليها قد توجه
الى الاستانة وتولى غيره على الولاية فكتب اليه الامير يتشوق اليه لما كان بينهما من المواصلة
والمجاملة في المعاملة

الا ابلغ خليلي خليل باشا — سلاما طيبا عبقا نفيسا
وقل له يا شقيق الروح مني — علام هجرت بلدتنا بروسا
لقد كانت تفاخر كل مصر — وتطلع من شمائلكم شموسا
فعادت بعدكم شمطا عجوزا — وكانت تجتلي بكم عروسا
وكانت سوحها بالوفد ملأى — فاضحت بعدكم خلوا دروسا
وكنت لنا بها غيثا مريعا — وكهفا مانعا ضرا وبوسا
وكان لنا الزمان بكم ضحوكا — فصار لنا بفقدكم عبوسا
لئن اعتاض عنك بغير نفسي — ولست بغيركم يوما انوسا

وكان علماء باريز عقدوا مجلسا ذكروا فيه علماء الاسلام المتقدمين والمتاخرين واحدا بعد واحد

مشاهير

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الآن انتهى بنا الحديث الى ذكر الامير ومآثره التي اتصلت بهم ومواعظه التي كان يلقيها
على من يجتمع به منهم واجوبته على اسئلتهم التي كانوا يبعثونها اليه ثم وقع اتفاقهم على
ان يثبتوا اسمه في ديوان العلماء المشاهير في كل ملة ونحلة من اهل الغرب الماضين فاثبتوه
وكتبوا اليه وهو في بروسا بذلك فكتب اليهم رسالة حمّلها علوما جمة ذكر في خطبتها ما نصه
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورضي الله تعالى عن العلماء العاملين
اما بعد فانه بلغني ان علماء باريز كتبوا اسمي في ديوان علماء الاسلام المشاهير ونظموني
في سلك العظماء الفخار فحمدت الله على ستره علي حتى نظر عباده بالكمال اليّ وقد
اشار علي بعض المحبين منهم ان اكتب اليهم بعض الرسائل فكتبت هذه العجالة سميتها
ذكرى العاقل وتنبيه الغافل ورتبتها على مقدمة وثلاثة ابواب وفي كل باب فصل
وتنبيه وخاتمة اما المقدمة ففي الحث على النظر وذم التقليد واما الباب الاول
ففي فضل العلم والعلماء وفيه فصل في تعريف العقل الذي به ادراك العلوم وتكملة
في القوى الاربع التي اذا اعتدلت في الانسان كان انسانا كاملا وتنبيه في فضل ادراك
العقل على ادراك الحواس وفصل في صور كائنة على صور كائنات وخاتمة في انقسام العلم الى محمود
ومذموم واما الباب الثاني ففي العلم الشرعي وفيه فصل في اثبات النبوة التي هي منبع
العلوم الشرعية وفيه تنبيه في معرفة النبي وما يتعلق بالنبوة وخاتمة في المكذبين
للانبياء واما الباب الثالث ففي فضل الكتابة وبيان عدد كتابات الامم وفيه
فصل في الكلام على كتابة الامم وواضعيها وما ينجر الى ذلك وتنبيه في بيان حروف
الكتابة العربية وخاتمة في احتياج الناس الى التصنيف وما يتعلق به ثم شرع
في تفصيل ما اشار اليه ورتبه فاجاد واجاد وبلغ ما يرومه الطالب للعلم ومايرتاد
ولما نفاقم امر الحرب واتصلت ايامها قال مستغيثا ومادحا لمولانا السلطان عبد المجيد خان
بارب يارب يارب الانام ومن   اليه مفزعنا سرا واعلانا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

اني وان كنت مني نازح البلد   ارضى بطيف خيال ملك لا يجدي
ثم توجه من مرسيليه الى باريز فتلقاه الامبراطور ورجال الدولة بالاحتفال
الكامل والابهة التامة والزينة الباهرة ووقع بمجيئه الى باريز بعد ان وصل الى
بلاد الاسلام وتمكن من الاقامة فيها موقعا حسنا عند شعب فرنسا واحزابها
واتفق انه اول وصوله الى باريز جاء خبر فتح سيواسطبول وانتصار جنود الدول
المتحابة على الروس فعظم السرور وكملت اسباب الازدهاء والحبور ثم في ١٠ اخر
ايام اقامته عرض على الامبراطور امره في الانتقال من بروسا الى دمشق الشام واعتذر
اليه بما ذكرناه ١٠ انعا فقبل الامبراطور اعتذاره واستحسن لسكنى دمشق وانقلب
راجعا الى الاستانة العلية ورفع الامر الى الدولة فوافقته على ما اراد وصدرت
اوامرها الى والي دمشق بالاستعداد لملاقاة الامير واعداد محل لائق لسكناه
وفي ايام اقامته بالاستانة كتب الى ابنة عمه ام البنين

اقول لمحبوب تخلف من بعدي   وحيدا باوجاع الفراق وبالبعد
اما انت حقا لو رايت صبابتي   لهان عليك الامر من شدة الوجد
وقلت ارى المسكين عذبه النوى   والغله شوقا الى منتهى القصد
ومسا لكم ما قد ...   وقلت جا للشوق اضناكم بعدي
فاني وحق الله دائم لوعة   ونار الجوى بين الجوانح في وقد
غريب اسير السقم مكلوم بالحشا   حريق بنار الهجر والوجد والصد
غريب حريق هل سمعتم بمثل ذا   ففي القلب نار والمياه على الخد
حنيني انيني زفرتي ومشرقي   دموعي خضوعي قد ابان الذي عندي
ومن عجب صبري لكل كريهة   وحملي لاثقال تجل عن العد
ولست اهاب البيض للاولي القنا   بيوم تصير الهام للبيض كالغمد

ولا هالني زحف الصفوف وصوتها ... بيوم يشيب الكهل فيه مع المرد
وارجاؤه اكتنت ظلاما وبرقه ... سيوف واصوات البنادق كالرعد
وقد هالني بل قد اباض مدامعي ... واضنى فؤادي بل تعدى عن الحد
فراق التي اهواها كيملا وبا رجا ... وقلبي خلتي من سعاد ومن هند
محلت محلا لم يكن حل قبلها ... وهيهات ان يحلل به الغير من بعد
وقد عرفتني الشوق من قبل الهوى ... كذا والبكا يا صاحبي بالفطر والمد
وقد كلفتني الليل ارعى نجومه ... اذا نامت الرتاع بالبعد والصد
ولو حملت رضوى من الشوق بعض ما ... حملت لذاب الصخر من شدة الوجد
الا هل لهذا البين من آخر يفتدى ... تطاول حتى خلت خال من الحد
الا هل يجود الدهر بعد فراقنا ... بجمعنا والدهر يجري الى القصد
واشكو كما قد نلت من الم وما ... تحمله ضعفي وما الجم جهدي
لكي تعلمي ام البنين بانه ... فراقك نار واقتراب من الخلد

ثم ان بروسا واخذ يتهيأ للانتقال وفي خامس ربيع الثاني خرج منها بمن معه
وكانوا ما ئتي نفس وركبوا باخرة فرنساوية الى بيروت وبعد وصوله اليها اقام بها اياما
لاخذ الراحة واهتزت بيروت باهلها لملاقاته واحتفلت له لذلك احتفالا عظيما
وطار خبره في جهات سورية فاحتفل امراء الدروز لاستقباله في جبل لبنان ولما بلغهم
خبر خروجه من بيروت قاصدا الى دمشق جمعوا جموعهم وجعلوا صفوفا على الطريق
الجادة التي يمر فيها ولما قرب منهم اقبلوا يهرولون اليه واكبوا على يده الكريمة يقبلونها
ثم اخذت تلك الجموع في اطلاق البنادق بما يخاله السامع انه صواعق وساروا عن يمينه
وشماله وبين يديه يتحزبون وينشدون المدائح بموجب اصطلاحهم الى ان جعلوا به
الى محل الضيافة التي اعدوها له وبات الامير عندهم يحيي معه تلك الليلة في غاية الاجلال

والاحتراز

والاحتراز وطلبوا منه ان يقيم عندهم اياما فاعتذر اليهم وشكر صنيعهم معه ودعا لهم
وعند الوداع تقدم اكبر امرائهم الى حضرته وقال ايها الامير الجليل ان صيتك الحسن ملأ صدورنا
منذ زمان طويل وكانت نفوسنا ترتاح عند سماع اخبارك وذكر حروبك ووقائعك والان
لله الحمد قد ابتهجت قلوبنا برؤيتك وعظم سرورنا بمشاهدتك فشكرهم الامير واثنى
عليهم الثناء الجميل ثم سار وسار في خدمته امير منهم في شرذمة من فرسانهم علاوة
على العسكر الخيالة الذين عينهم حاكم بيروت للسير في خدمته الى دمشق ولم يزل الامير الدرزي
في خدمة الامير الى ان انتهى البقاع فحينئذ ودعه ورجع الى وطنه واستمر الامير سائرا الى دمشق
ولما وصل الخبر اليها بيوم وصوله خرج الوالي والمشير ومن دونهما من اهل المناصب والمأمورين
والاشراف والعلماء والاعيان والوجهاء الى الصحراء الى ان وصلوا على مسافة اميال من البلد
وهناك استقبله الجميع بالاجلال والاحترام والعساكر مصطفة في الابهة والزينة
وانثالت الجموع من اهل البلد وقراها من ذلك الموضع الى الصالحية وسار الامير بذلك
الموكب العظيم بين تلك الجموع التي يفوت البصر دونها الى ان نزل في المحل المعد له
واقامته موقتا قرب جسر نوره فيما بين البلد والصالحية وبالجملة فقد دخل الامير
الى دمشق في يوم اخذت زينته من حسنه ولم يبق احد الا والمهابة قد حلت في عينيه
وقد ذكر بعضهم انه لم يدخل دمشق امير عربي مثل ذلك الدخول منذ مضي من السنين
وكانت الدولة العلية صدر امرها كما قلنا سابقا الى والي دمشق ان يبالغ في الاحتفال
يوم دخول الامير اليها ما استطاع وان يتخير له دارا لاقامته لائقة به فلما وصل الامير
اخذ الوالي ينظر في الدور الشهيرة في البلد اياما ثم وقع اختياره واختيار الامير على
محل الحكومة وهو يشتمل على دارين احديهما لصق الاخرى وبينهما باب من داخلهما
وبعد انتقال الحكومة سكنها الامير والتي في دمشق عمارتها له وجعلها دار اقامته
في حاله واستقباله وحمد الله تعالى الذي انعم عليه وجعل مآله الى الشام الفيحاء

واسكنه منها دمشق الغراء وغوطتها الزاهرة الارجاء بلدة خيم الاسلام فيها
[illegible] ول وحله واستوعب من موردها العذب نهله وعلله واباح حماها واسكنها اهله
بلدة جمالها يدخل على القلب السرور ويذهل العقل حتى كانه من نشوة الروح مخمور
قال بعض الادباء فيها حبيب واهل حل بنادي اما دمشق فهي غرة البلاد وبغية
الرواد وهي في الدنيا جنة وساكنها له من الهم وقاية وجنة ذات سرور وحبور
وقصور ونهور ورياض وحياض وفاكهة ذات الوان ووجوه حسان هي
اعلى منتزهات الدنيا الاربع يطيب في العيش لمن في ربوعها يرتع ويستلذ لكل
روض فيها للقصب مقطع يرى احسن مرأى ويسمع اشهى مسمع

وقيل له اهلا وسهلا ومرحبا — بهذا مبيت صالح ومقيل

عندئذ يتبرع باله وتنفسح آماله ويطيب باجتلاء التهاني واقتبال الاماني
بكوره واصاله وتتراءى له تلك القصور التي عليها الحسن مقصور والمنازل الفسيحه
والمنازه المليحه والاراضي السندسيه والمناهل العذبه والرياض المونقه والجنان
المحدقه والثمار اليانعه والازهار المتناسقه والغدران المتدفقه والوجوه
المشرقه

تلك المنازل والملا — عب لا اراها الله محلا
حيث التقينا وحيث ما — نسابحا وسكنت ظلا

فالمتردد في تلك السوح التي نسيمها بعطر شذاها يفوح يطيب صبوحه وغبوقه
ويحمد غروبه وشروقه ويرى عنوان الجنان في هذا المكان من حور وولدان وجواهر
وعقبان وارائك كلها اسعار وجنات تجري من تحتها الانهار

اقول لسكان وادي الحمى — هنيئا لكم في جنان الخلود
افيضوا علينا من الماء فيضا — فنحن عطاش وانتم ورود

وقال

تعاجلهم من مراجعتها الرماح الاسلامية والسيوف [illegible] ولا غرابة بان العرب يلبون الحرب او يبحثون عنها
من الطلوع المتكرر ومما علم من كتب التواريخ القديمة ان العرب يبتهجون في معامع القتال كما يبتهج العريس
ليلة عرسه فلا غرابة بالقول انهم يتجرعون منها ويذكرونها من ذات انفسهم مادامت الاقدار الالهية مساعدة
لهم فان حكمت عليهم بغير ذلك فالله هو المعلوم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلا معقب لحكمه
ولا راد لقضائه جل وعلا وبناء على ذلك فيكون هو تعالى قد صنع واعطى [illegible] من بالغ شجاعتهم وبناء على ذلك فلا مزية
لاهل حيث الكفر ولا نتيجة باقدامهم وحده بسبب [illegible] وقوة مواقعهم بل [illegible] الله عز وجل يولي من يشاء
والسعادة لمن اتبع الهدى انتهى محررا واخرنا [illegible]

ذكر [illegible] مسير [illegible] الملك [illegible]

بعد رجوعه من وقعة عقبة خدة المستغانم اخذ الهبة و[illegible] والتنقل بقبيلته
وخرج الشمالي [illegible] عسكر بمجال عن نواحي في بلاد اولاد خليفة [illegible] ونقل الزاحفين وكانوا
ذا الشيئين بطاعته [illegible] لما امر ببلادهم الى [illegible] بطاعته
توجه الى الجهة الجنوبية واستمر سائرا الى ان انتهى الحد انتهى الى بلد سعيدة وكان امير المؤمنين
اختطها واسكن فيها مهاجري مستغانم ووهران [illegible] تاريخ خرج اهلها منها وجعلوها
خالية بجرها ولاذ اهل تلك الناحية [illegible] بالطاعة وكان امير المؤمنين [illegible]
سار غازيا وعول امير المؤمنين على ملاقاة قتاله وسار غازيا [illegible] على الدواوير
والزمالة في ساحة وهران فصبحهم واكتسح اموالهم وانخنى فيهم بالقتل وكان من هنالك
[illegible] ولما اتصل الخبر [illegible] رحل راجعا من الجهة الجنوبية الى وهران
مستغانم ومنها الى وهران [illegible] وفي هذه الايام ارسل رئيس اساقفة الفرنسيس
في الجزائر الى السيد محي الدين خليفة مليانة [illegible] يستاذنه في الحضور عنده ليتوسط له
[illegible] في الاجتماع بامير المؤمنين فاجابه الخليفة [illegible] ان امير المؤمنين في نواحي
الصحراء وهي على مسافة ايام معدودة فان كان يكتفي بملاقاته نيابة عن امير المؤمنين فهو مسعد
بقبول زيارته فاجابه الرئيس الى ذلك وحضر عند الخليفة فاكرم وفادته واحتفل الخليفة لملاقاته واكرم
وفادته وسعد ان قضى لمهمته وعزم على الرجوع الى الجزائر [illegible] الخليفة [illegible] من جياد
خيله هدية وكان عنده من اسرى الفرنسيس جماعة امر باحضارهم بين يديه ليسلمهم
[illegible]

والسهر والة الموسيقية ثم قال حيث انه لم يقترحنا على سيدي السلطان وكنت انا من جملة
اتباعه وخدمه فعلى حسب استطاعتي اجريت بعض ما يجب اجراؤه مع امثالكم وهنا خمسة
عشر اسير من عساكركم بسلاحهم واثاثهم قد سمحنا لكم باطلاقهم تكرمة لكم تجدونها معكم
ولو ساعدوا الغدر واجتمعتم بسيدنا السلطان لكنتم شاهدتم من احسانه ما تستقلون به
اعمال الملوك العظام ثم انقلب الامير بالاسرى الى الجزائر وكان دخوله اليها يوما مشهودا فان
هذه المعاملة الحسنة مع معاملة بيجو السيئة فانه بعد رجوعه من غزوة بلد تسعيدة والجهة
الجنوبية الوهران كتب الى رؤساء القبائل عدة رسائل يدعوهم الى الطاعة ويتهددهم ان هم ابوا ذلك
وهذا جوابهم [illegible] اليه من الحشم المزافة والغرابة ومن اليهم كبني شقران وبني [illegible]
الى [illegible] بيجو السلام على من اتبع الهدى وبعد فقد وصلنا خبرك وعلمنا ما فيه
من كونك تخبرنا انك عازم تدعونا الى الطاعة وتخبرنا انك عازم على ان تجعل بلادنا سعيدة
بالكلية مباركة [illegible] سعادة احب الينا من سعادة الجهاد وحماية البلاد وثباتنا
امام عدونا ولو بدون محاربة فان الله تعالى جعل لنا ثوابا عظيما [illegible] اذا نحن
التجأنا [illegible] الانكليز [illegible] فاهم شديد النكال [illegible]
فعلى قدر تعبهم يجعل لنا الاجر والثواب وكونك تدعونا بالمجد والافتخار اذا نحن اطعناك
فهذا لا نلتفت اليه ولا نعده الا من باب المحال [illegible] اطاعوك من اهل
وطننا فهم عندنا لا دين لهم ولا خلاق لهم بل لا يعرفون من الاسلام الا اسمه فلا تغتر
بكلامهم فانما قادهم اليك الطمع [illegible] ونحن فلا نبيع ديننا ولا نبيع
انفسنا الا الى الله فهو الذي بشرنا بالجنة ورضاه ومن الواجب عليك ان تنظر الى عظمة
سلطاننا كي تنظرها نحن واي عظمة يسير بها كل [illegible] العقلاء مثل عظمته فانه يقاتلكم
ويكيدكم المشاق من غير كبير مدد ولا ذخائر مؤثلة ولا خزائن فائضة واما انتم
فلا عظمة لكم فلا مزية لكم [illegible] العظمة والمزية لمن يمدونكم كل يوم بالعساكر والذخائر [illegible]
[illegible] دولتكم قديمة [illegible]
من العاصمة تجمعت الاموال الطائلة [illegible] الجيوش الجرارة من الحروب [illegible]
فاذا هو الان غلب [illegible] سلطانا حديث العهد [illegible] قد انهكتها الحروب الاهلية
والاجنبية من منذ [illegible] فاي مزية لدولة كدولتكم في تغلبها على [illegible] دولة
كدولتنا [illegible] انك [illegible] اخرجتنا من بلادنا واحرقت [illegible]

اما علمت انك جئت بجيوش ملأت السهول والجبال ونحن لا نعد مقابلتها بالعساكر عشر عشر عشرها
مكررا ثلاث مرات فلو جئت بجيوش تزيد على جيوشنا وفعلت بنا ما فعلت كان يحق لك ان تبتهج بفعلك
ولكن حيث انك [illegible] جلبت الينا جيوشا [illegible] جنودا لا يزيد عددها على عدد انعامنا وكراعنا
وشجرنا وحجرنا فلا محل لك للسرور لا من غلب لكثرة لا مزية له ولا فخر انما الفخر العز والمزية لمن غلب
من يكافئه عددا وعددا [illegible] فلة عددنا [illegible] وقيامنا بصورتكم وادفاعنا [illegible]
الحرب مدة احدى عشر عاما [illegible] ولا نزال ان شاء الله كذلك [illegible] كبيرا وصغيرا وعلى كل
حال فلا تتعب نفسك فانك لا تحصل على [illegible] على ملوك الارض كما هو بالك لان ذلك انما [illegible]
دولة قديمة عظيمة مؤثلة من كل شيء [illegible] الجزائر وافقارها وهل [illegible]
[illegible] بالظلم والاعتداء حاشا وكلا انما العز في تركهما [illegible] العدل [illegible] التخلق
بهما وجميع ما [illegible] من محصولاتنا لا [illegible] لوجود عزها عندنا [illegible]
الاضيه فانه نعود بالطرق لجلب ما نقتات به من [illegible] منتزهه فلا [illegible]
البتة ولكنا [illegible] البحرية [illegible] عليكم [illegible] متحركة بالاقوات والذخائر
[illegible] الجبال [illegible] اشغالنا [illegible] ما نحتاج البعض [illegible]
[illegible] ومن الواجب عليك ان [illegible] الذخائر
[illegible] والشرف [illegible] وما خرج منها [illegible] الكثيرة التي [illegible] ما بلغتنا لنا من [illegible]
واعوانا لا [illegible]
ولو [illegible] احطت [illegible] فابلغتم [illegible]
لك [illegible] انك لم تحصل على [illegible] والمكافاة لا تنقضي بالحرب لا [illegible]
فانها [illegible] لنا [illegible] دولتكم [illegible] هذا جوابنا فاعلم [illegible] الاحرار
سنة ١٨٤١ ونص جواب [illegible] اخرى في ٢٠ حزيران ١٨٤١ من كافة الحشم وغيرهم من
القبائل المتمسكين [illegible] الاسلامي الوثيق الى الجنرال بيجو قد وصلنا [illegible] الذي تركته في
[illegible] باخلاء [illegible] واطلعنا عليه فوجدناك تطلب منا ان [illegible]
[illegible] الحاكم علينا [illegible] مع اننا [illegible]
وسعنا في اقناعك [illegible] فلم تقنع [illegible] على ما انطوت عليه [illegible] التمسك بديننا
وطاعتنا لسلطاننا [illegible] وعلى كل حال فهذا اخر جواب [illegible] المذكور [illegible]
[illegible] الينا [illegible] الدين [illegible] وتخلى عن سلطاننا الذي هو [illegible] سلطان [illegible]
[illegible] عاقل [illegible] والذي [illegible] الحاج [illegible] العائلة [illegible]
تحت رايتك [illegible]
[illegible]

الذي تجرهم الى ذلك ودور ظهر انما هو حب المال الذي يسر لهم سبل الطمع في الوصول اليه ولم تعلموا انهم كما جاؤوا بهم

تركوا [illegible] ديبهم وطاعتهم لا من نصرة السلطان لا يوثق به وانت لضعف عقلك وثقت بهم واتبعت

اشاراتهم وارائهم وبالجملة فبقي في وطننا واسم الاعراب ممتد القاصية الى الحدود [illegible] غربا وشرقا جنوبا

وشمالا وانتم تتبعون اثارنا فلا تلحقون ولا تدركون شأونا وانما غاية كم تبغي [illegible]

[illegible] تنقل او تنتقل [illegible] فالاولى لكم ان تعمروا البلاد التي وجدتم

[illegible] نشأ [illegible] فيها وبها نشأ اباؤكم من اجيال متطاولة واما بلادنا فليس لكم في الاستيلاء عليها وجه

شرعي [illegible] انكم استوليتم عليها والفتن فيها ثلاثمائة عام فشمل من ملكه فبلغكم ما انتم لا بد ان تخرجوا منها كما خرجوا

[illegible] والايام دول [illegible] ناصر الزاهد والدهر [illegible] ناهب [illegible] ان تنظر في بلاد الله اذا [illegible]

استوليت على وطننا ان [illegible] فعلك ملكا قدس بطاعتك فهيهات هيهات ان انت [illegible] تعيش على [illegible]

ولم تستعبدنا [illegible] انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا والذي غركم من العرب بطاعتهم هم لا يعبؤوا

بهم وانما الذين [illegible] عبيدهم انما هي كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وغاية

امرهم [illegible] الذي [illegible] لا يطلبون اليه وانما [illegible] كبار [illegible]

[illegible] نسال الله العافية ومن العجب انكم تعلمون اننا لا [illegible] طاعة سلطاننا

[illegible] العلم [illegible] لا طاعة له [illegible] فكيف الان [illegible] ما [illegible] ولا [illegible]

[illegible] المغرب الاقصى [illegible] حدود تونس [illegible] شمالا وجنوبا من البحر الى [illegible] في غاية [illegible] الراحة

وقد قتلنا من عساكركم اكثر مما قتلتم [illegible] وما قتلناه من عساكركم واسرناه

اكثر مما [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] عساكر [illegible] في الحقيقة [illegible]

[illegible] الجنود الذين [illegible] في بلادنا [illegible] واتعاب [illegible] من العساكر

[illegible] ومن [illegible] الاعمال [illegible] بالوبال وبالجملة

[illegible] والارض ارضه والبلاد بلاده [illegible] فيها [illegible]

[illegible] وان اخرجنا منها [illegible] يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد انتهى ثم ان [illegible]

من غزاوة [illegible] الختم التي اشرنا اليها [illegible] الى وهران [illegible]

[illegible] الجنود التي كانت قبله في الجزائر والتي حضرت معه [illegible] وكان عددها خمسا

وثمانين الف جندي بين راكب وماش [illegible] فوافى التلف على اكثرها فكتب الدولة بذلك

[illegible] بالعسكر والذخيرة واقام مشتغلا بالاستعداد من اوائل [illegible] سنة احدى

واربعين وثمانمائة والف مسيحية الى [illegible] سنة اثنتين واربعين وكان في اثناء [illegible]

[illegible] عن الحرب [illegible] والعشائر يدعوهم الى الطاعة [illegible] ويبالغ في [illegible]

الحمد لله وحده [illegible] سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

ان يقيم فيها [illegible] في المدن التي تحت ادارة دولة فرنسا وحررت هذه قال

الشروط في تافنة في اخر يوم من شهر مايس سنة سبع وثلاثين وثمانمائة والف

مسيحية [illegible] هذه المهادنة في نسختين كل منهما على شطرين عربي وفرنساوي

وكتب الامير اسمه بخط يده على الشطر العربي وختم عليه بختم الملك وكتب الجنرال [illegible]

اسمه بخط يده على الشطر الفرنساوي وختمه بختم [illegible] عن دولته في وهران واخذ كل منهما نسخة

انتهى ثم قال [illegible] المذكور وبعد امضاء هذه المهادنة التمس الجنرال من الامير ان

يجتمع به [illegible] بالمطلوب وتعين بينهما الموضع الذي يحصل فيه

الاجتماع [illegible] ركب الجنرال في ثلاث [illegible] من جيشه وسار الى المحل [illegible]

[illegible] تاخر حضور الامير عن الوقت الذي كان عينه [illegible] الجنرال [illegible] الجنرال

عسكره [illegible] الى المعسكر [illegible]

[illegible] الامير [illegible] العسكر [illegible] الجنرال في الموضع [illegible]

وبعد ساعة [illegible] الامير في جيوش العرب على غاية ما يكون من الابهة

[illegible] الخليفة السيد محمد البوحميدي [illegible] الامير [illegible] في موكب

عظيم ولما قرب من الجنرال [illegible] بجيوشه عن [illegible] الطريق وظهر الامير بعده

[illegible] في الزينة الكاملة والجنرال واقف على فرسه ينظر الى الابهة العربية [illegible] عقله

ولازال الامير سائرا على جواده الادهم الشهير حتى قرب من الجنرال فحينئذ تميز [illegible]

عن الموكب ليعرفه الجنرال فلما وقع نظره عليه تقدم [illegible] ومد يده نحوه يريد

المصافحة فصافحه الامير ثم نزل كل منهما وجلسا على فراش اعد لهما في ذلك

الموضع واخذ الجنرال يتحدث في امور المهادنة فقال للامير [illegible] في وقتنا

هذا من يتجاسر على اجراء مثل هذه المهادنة معك وذلك انني لم اخش من العوارض

[illegible] للمقصود [illegible] بانك تسعى في تحسين احوال العرب واصلاح خللهم وهذا لا يكون

الا [illegible] على اجراء المهادنة معك ولم اخش من العوارض [illegible] للمقصود [illegible]

وترغب في تحسين احوال العرب وما فيه اصلاح خللهم وهذا لا يكون الا بعقد السلم مع دولة فرنسا ودوامه [illegible]

ان الامر [illegible] وعليه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

بالطرفين ولما استكمل الحصنة عقد مجلسا حربيا في وهران جلب اليه قواد الجيوش الفرنساوية
بسائر الجزائر وقسنطينة ومستغانم وما والاهم في اختيار موقع من المدن التي استولوا عليها يجعلها مركزا
للعساكر ومخزنا للذخائر فوقع اختيار الجميع على معسكر وفي الحال خرج بسائر الجيوش الفرنساوية
والمتجهة الى معسكر ورتب بها الجنود وحصنها واتخذها اول مركز للغزاة والبعوث

قال المؤرخ روا وبهذه الواسطة تيسر الهجوم على القبائل التي كانت من دابها سلب الراحة عن الجيش
الفرنساوي حامية معسكر وغيرها وبها توصل المارشال بيجو الى اخضاع عدة قبائل ودخولهم تحت
اللواء الفرنساوي وذلك ان اهل الوطن لما راوا ما نزل بهم من الجائحة التي لا دواء لها ولا سبيل
لزوالها تحيروا في امرهم وسئموا من الغارات الكثيرة العيائية الفجار وهلكت ماشيتهم وفني كراعهم
فيقل الظهر عندهم وراوا ان امير المومنين لا قدرة له على تحقيق حماية الوطن من سائر جهاته لا سيما
وقد تهافتت قبائل البربر الذين ليس عندهم من الدين الاسلامي الا النطق باسمه على اداء الطاعة للفرنسيس
والبواغين التباعة ما يؤدونه لهم من الذهب والفضة ونالوا منهم ما لم يكن في حسابهم بل ولا طرق مسامعهم
ولم يعلموا ان ذلك السم في ذلك الدسم فبذلوا نفوسهم في نصرتهم واعلاء كلمتهم واعانوهم على المسلمين
المتمسكين بدينهم وطاعة سلطانهم وكثروا عدد العدو اضعافا مضاعفة ودلوهم على الطرق
التي يتوصلون بها للاستيلاء على الوطن وصاروا يكاتبون الناس في الجهات ويرغبونهم في اللحاق بهم والدخول
في زمرتهم هذا الذي سبق القضاء به والدهر في الانسان ذو دول ولا راد لقضاء الله ولا معقب
لحكمه

ذكر مسير بيجو الى تلمسان
والاستيلاء عليها وغير ذلك من الحوادث

في الثامن والعشرين خرج بيجو من معسكر في الثامن والعشرين بجيش كثيف الى تلمسان وطار الخبر
لوقته الى امير المومنين وهو في تلك النواحي فامر باخلائها ونقل سائر المهمات الحربية التي كانت فيها فارتحل
الناس وتعطلت المهمات الا ما كان منها ثقيلا يعسر حمله كالات معمل المدافع والكلل الكبيرة
وامثال ذلك وفي اوائل اشباط وصل ودخلها العدو قال المؤرخ روا ان بعض اهالي تلمسان الذين ارتحلوا
عنها رجعوا اليها من الطريق ودخلوها خفية وقدموا طاعتهم الى المارشال واخبروه ان جيوش الامير قد سئمت
الحروب ولانت قوتها فبعد ان كان عزم المارشال انه يتركها عقد النية على الاستيلاء عليها والبقاء فيها
والاستيلاء الدائم عليها وشرع في تحصينها وتشغيف سورها خشية ان يسترجعها الامير منه واقام
بها حكومة وسلم ادارتها للجنرال بادوا ثم ارتحل امير المومنين من نواحيها
الى ندرومة فاجتمعت عليه هناك قبائل تزارة وولهاصة وسائر القبائل الساحلية في تلك الاطراف
وبايعوه على الموت ومن هناك اغزى خليفته السيد مصطفى التهامي الى الدوائر والزمالة في ساحة وهران
فبقضى ما تخفى جبهتهم وغنم غنائم كثيرة ورجع واستنزل سائر [illegible] مطمئن الجيرة ومنها انتقل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه

الريف واما امير المومنين فانه بقي بما عنده من الجيوش في نواحي تلمسان ينتظر الفرص الواقعة
لحرب العدو ولما اتصل الخبر بيانات بيجو في معسكر واريل سرية من جنده لتتابعة الخليفة
محمد بن علال بوصلة سيرها الى ان رات الخيام المضروبة لهلال سيدي جم فتوقفت فانوها
من الهجوم لما لحق العسكر من التعب وخشي ان يتورط في ورطة الالجاء لرمينا وبعد ان استراح عسكره حول
من الخيام ومرة محاربي اخرى في غاية الهدوء والسكون فعطى حرس العسكر بهم وظنوا انهم من اهل المسلمين
جاء ونجدة لهم ثم اقتفوا اثرهم ولما طلع الفجر وعرفوا انهم من العدو حملوا عليهم ولما سمع الخليفة
البارود ركب في سائر جيوشه ولحقوا بالعدو وعظم الامر واشتعلت نار الحرب واتصل ذلك من طلوع
الفجر الى الزوال وفي الظهر انهزم العدو واستولى المسلمون على سائر مدافعه وذخائره واثقاله
ثم اجتمع العدو ورجع الكرة عليهم فازاحهم عن مراكزهم واسترد جميع ما كان في ايديهم الا كجديد لجواعي
سوى العسكر النظامي وحافظ على مراكزه وحمل على العدو حملة رجل واحد وصار القتال من امر باوام
الراس الجلاد بالسيوف والحراب واستمر ذلك الى ان غربت الشمس وانتشر الظلام وبت العدو
استمر عسكر الفرنسيس سائرا الى وهران والخليفة انتقل بعسكر النظامي ومن بقي من الجيوش
المتطوعة الى الجبل

ذكر رجوع بيجو الى القلعة سعيدة
وما اجراه هناك في نواحيها
من الاعمال

لما استولى بيجو على تلمسان كما سبق ذلك انفا رجع الى معسكر وخرج وجعل طريقه على الخط الفاصل بين
قبائل الصحراء وقبائل التل فوصل الى القلعة سعيدة وقد كان خربها من قبل بعدم الجماعة ومن
قبائل تلك النواحي وغنائمها حروب متتابعة كانت للزينة فيها عن القبائل بقدوم الزمالة العليا
اليهم من القبائل الصحراوية مع القبائل الطاعة فقتلها منهم وولى عليهم عمالا من اعيانهم واقام فيهم
العطاء كعادته جلب لقلوبهم لغيرهم ثم ارتحل الى معسكر ومنه خرج الى الجهة الغربية
وحين بلغ عائلتنا اختطها حيرنا السيد مصطفى بن المختار سنة ثلاث ومائتين والف واتباعها
واستفع جميع ما كان في احويتها وابارها من انواع الحبوب واقام عليها اياما ثم حرقها الى محلة
نارا وسعيدة وهي محلة الشمالي عن معسكر تبعد عنها بيوم واحد مرحلة واحدة

ذكر مسير بيجو الى جهة مدينة الجزائر
الى النواحي مليانة وقبيلة بني مادون في جنوب الايام

وخرج جيش من مدينة الجزائر غازيا على قبيلة بني مادون في نواحي سرشال
على حين غفلة منهم وهم على غير استعداد والامر فاوقع بهم والحق بهم وكان وصوله اليهم
والاقدام بمكان عظيم ولما رات قبائل تلك الجهات ما حل بجيرانهم لاذوا بالطاعة وما لهم من الشجاعة
الجزائر ليعقدوا الميثاق مع نائب بيجو بها ولما اتصل الخبر بالمارشال بيجو الخبر لذكر فرحا
وسار بجيش كثيف الى الجهة الغربية وجال في نواحي العطاف وسنجاس وغيرهما من قبائل شلف وقطعة له
الطاعة في تلك الجهات قال مؤرخهم روا

ولما توجه المارشال بجيوشه الى ناحية شلف مر بجنايته على اطراف الجبال التي هي ملجأ القبائل التي كانت لم تزل
تناوشه الحرب وبادرها قاتلهم انتشر الامن في سهول متيجة الى الجزائر نوعا ما وعادت المواصلات بين المدية
ومليانة وشرشال فلنبلة الخط انتهى واما امير المؤمنين فانه سار بجنوده الى الصحراء والجهات الصحراوية
وسائر القبائل التي كانت اذنت بالطاعة للعدو ولاذت بطاعته فعفا عنهم وانتظموا في سلك جنوده
وجعل معسكره بمعبر الاطلس وصوحنص جيعي من المعاقل العزيزة بحرز جيوشه بامتداده ومنذ كان يغزوا
على العدو ومن دان بطاعته ويتابع شن الغارات عليهم ويبث السرايا الى الجهات فاعاز وكثر
المنتشرة الى الكرف وخلت البلاد من اهلها وانحطت العمارة في الصحراء للسلب والسواحل وما قاربها
للتعرض للعدو ومن تبعه قال بالمارات الامير راى من الواجب عليه ديانة انه يؤدب القبائل
التي خرجت من طاعته ولحقت بعدوه وانضوا تحت رايته قطعا للعلائق والعباد ومع ذلك استشال
قطعا للعلائق العباد وحفظ الشعار الديني ومحامات عن الوطن فصار يتابع الغزو
والغارات عليهم فاجلوا من مواطنهم ولحقوا براضم الامن ولكن ذلك لم يجد الامير نفعا
حتى ان جاب الناس توجهت قلوبهم لطاعة عدوه طلبا للراحة من مشقات الرحال والانتقال
من موضع الى اخر وكان في ابريل سنة اثنتين واربعين وثمانمائة والف مسيحية غزا في عامر والغسل وتلك
النواحي فلم يحصل منهم على طائل بل استعصوا عليه والمارشال بيجو وان كانت فتوحاته متوالية
وانتصاراته متتابعة فانه يتلمس حكمه لم يثق بذلك كل الثقة لما هو معلوم من حال العرب والبربر قديما
وعلاوة على ذلك بان فرسان الحشم الزائد والغرابة المشهورين بالشجاعة والجراءة والاقتحام في الشدائد
لم يقبلوا الطاعة بل لم يفارقوا سيدهم وسلطانهم الاول كانوا يتبعونه على الموت معه وارتحلوا
باهليهم واولادهم معه وخيموا حيث خيم باهله واولاده وجنوده في معبر الاطلس بين حوزه
الجهة تراه دائما يخشى الوقوع في محذورات لا خلاص منها ولم تهدأ افكاره قال ولا سيما انه
والقبائل التي كانت بذلت طاعتها البه ان رات سيدها الامير هرعت الى اعتابه تطلب العفو وتعتذر
بعجزها عن الحرب ومنع العدو وقوته هو عليها فلذلك فوضت اليه طاعتها بهذا الحال اذ ان
المارشال الى الحكم بان جميع ما يراه من العرب من اظهار الطاعة والقتال معه انما هو مجرد تمويه وتحيل
للامور الوهمية التي لا اساس لها وفي شهر ايلول من السنة المذكورة آنفا عقد في معسكره مجلسا
حربيا تكلم فيه ~~بل حصل من الرائة انه ابرم حربا ثاني مع الامير~~ وقال لهم ان الامير كما تعرفون
قد نزل بجيوشه في جبال الونشريس دار سنسيس غرب التل وسائر بلاد الشلف الجنوبية وهو يبعث
الخيوبية باقيته معه من يجاذبه من القبائل العظيمة تحت طاعته فالاولى اننا نجمع سائر الجنود العربية
التي في الترف الغربي والجزائر ووهران ومستغانم والى هناك نجمع جيوشنا ونخرج لها دفعة واحدة
من الجزائر والى مليانة ومن مستغانم الى تلك ووهران ومن هناك كلما يليه فاجاب اهل المجلس
ان هذا فصل الشتاء قد دخل ولا نتمكن مما ذكرت فقال بيزهم ان ترتقبوا العود الان وبعد مضي هذا
الفصل نجري ما يقع عليه اتفاقكم فاجابوه الى ذلك

ولما مغرى بورمنت في مدينة الجزائر واثبت فيها بجنوده فرمنة اضطرب العرب لاجل ذلك
بمساكنهم واشتعلت نواحيه بنار الفتنة وانتقض اهله اجمع على الحكومة الجزائرية واعتصم عمالها
بمعاقلهم وبمسوت السابقة كما اشرنا الى ذلك من قبل ثم لما ان الامر الى الجنرال كلوزيل في مدينة
الجزائر ودان اهلها بطاعة الجمهورية الفرنساوية طمحت عينه الى غيرها من الامصار فخاطب حاكم
قسنطينة وهران ليدعوهما الى الخضوع والتخلي عن المدينة فاجابه الى ذلك عزان بومنه
وجلبه في اهله وخاصته الى الاسكندرية فبادر الجنرال الى قبول مطالبه وبعث لوقته ولده
الاكبر في عدة مراكب حربية الى وهران فسلمها البه صاحبها ودخلها بجيشه في رابع كانون
الثاني فاتح سنة احدى وثلاثين وثمانمائة والف مسيحية وست واربعين ومائتين والف
هجرية وكان معظم اهلها خرجوا منها وتفرقوا اوزاعا في القبائل واستولت ايدي الغوغاء
على اموالهم وبعد ايام من دخولها جاء الجنرال الامر من فرنسا بعزل حسن بك ومن معه
الى الجزائر ثم حمل منها الى الاسكندرية ولما سمع بها ارباب الحجاز فادركه الاجل في
الطريق ولم يبلغ مراده اثناء ذلك كتب الجنرال كلوزيل الى صاحب قسنطينة احمد بك بدعوه
الى الطاعة البه صاحب وهران فكان جوابه ان قتل الرسول ومزق الكتاب فاستشاط له الجنرال
غيظا وجهز الكونت مريبون في عدة مراكب حربية وسيره الى بونة وهي من اعظم اسكلة ولاية
قسنطينة وكان العامل عليها احمد بن عيسى ~~ترك~~ بالظلم والتعدي على اهلها بسطوه
وتبرمت قلوبهم منه ولما اطل عليهم مراكب فرنسا اظهروا اشارة السلم وفر العامل
ومن معه من الحامية ولحقوا بقسنطينة وتقدم مريبون الى البلد فدخلها بجنوده واستولى عليها
وانتقض ابو مزراق والي تيطري ونكث طاعة فرنسا وجاهر بالحرب فاعتزم
كلوزيل على الخروج اليه ثم استكمل تعبيته ونهض من الجزائر الى البليدة ثم سار منها يعوا الى
برقة من عسكره قاصدا الى المدية مركز ولاية تيطري وزحف اليه ابو مزراق في جموع البربر
والعرب فالتقى الجمعان بثنية موزاية واشتد القتال بين الفريقين ثم كانت الدبرة على ابي مزراق

[illegible]

بالثاني

فانهزمت جموعه واستمر كلوزيل سائرا الى مدينة المدية فدخلها وتلقاه اهلها من الاتراك والعرب
وادوا له طاعتهم بتفتيحهم منهم واصلح خللهم وولى عليهم مصطفى بن عمر الجزائري وفي اثناء اقامته
بالمدية استامنه ابو مزراق على نفسه فامنه ولما حضر عنده اعتقله وكر راجعا الى الجزائر
ومر في طريقه بالبليدة فوجد القبائل المجاورين لها دهمتهم الحمية فدخلوها واستاصلوا
حاميتها ونهبوا الذخيرة فاستمر سائرا الى الجزائر وعلم انه لا طاقة له على اخضاع القبائل
وان جيوشه الموجودة في الجزائر غير كافية لحمل الناس على الطاعة لدولتهم هذا مع ما عليه
فرنسا وقتئذ من الارتباك واختلاف الكلمة بين الملكيين والريبوبليك فاستجلب
فرقيون وجنودهم يونية خوفا عليهم من هجوم صاحب قسنطينة ووقع بخاطره انه لا يجلب
الناس الى طاعة فرنسا الا امراء منهم او من الاتراك فبعث الى صاحب تونس حسين باشا
ابن محمود باشا يطلب منه بعض المترشحين للامارة من عائلته ليقلده امور العرب
في داخلية الجزائر فاجابه الى ذلك وبعث اليه من اختاره من اقاربه لهذا الامر فولاه على
مدينة وهران في اوائل شهر شباط سنة احدى وثلاثين وثمانمائة والف مسيحية
بعد ان اشهد على نفسه انه فرنساوي وادى يمين الامانة ثم لم ينشب ان عزل
كلوزيل عن سخط من دولته وولي بونسا وتولى مكانه الجنرال برتزين وتعين الجنرال بوبيه
حاكما على وهران ولاول وصوله اليها رجع التونسي الى اهله من غير طائل وكان ابن ابي
مزراق بلغه ان كلوزيل حمل والده الى الاسكندرية منفيا اليها فثار في محله من تيطري
ودعا الناس الى الجهاد وجمع الجيوش ونازل المدية وعاث في نواحيها وضيق على اهلها
وطار الجنرال برتزين فيمن جيشه واوا لانقاذ عاملهم مصطفى بن عمر فتعرض لهم ابن ابي مزراق
بالقرب من البلد وناوشهم القتال ثم تمكنوا من دخولها وبعد ايام انقلبوا راجعين الى الجزائر
بعاملهم ومن معه ولما وصلوا المضايق في جبال موزاية احاطت جموع القبائل تحت راية
ابن ابي مزراق واستمر القتال بين الفريقين في خلال سيرهم وافا منهم الى قرب الجزائر ووقع

الفشل

فدخل في اول كانون الاول سنة [illegible]
ومع اول كانون الثاني كان دخول [illegible] الى وهران ومرحبون الى [illegible] فكتب [illegible] ثم انه [illegible] ما طاقة له على [illegible] العرب [illegible] الجزائر وان جيوشه الخ
[illegible]

الفشل في عساكر فرنسا فقتل الكثير وانتهبت اثقالهم ولم يصل الى الجزائر منهم الا القليل فدخلوها
على اسوا حال ثم تغلب ابن ابي مزراق بجموعه الى المدية فاستولى عليها وخلا له الجو فتمكن
منها وكانت هذه الواقعة نزلا للجنرال برتزين في الجزائر وبعد ايام منها ظهر الحاج علي بن
السعدي في جبال زواوة ودعاهم لمبايعته على الجهاد فبايعوه واجتمعت عليه كلمتهم وكان
الجنرال برتزين بعد واقعة المدية جمع اعيان الجزائر وامرهم ان يختاروا منهم من يصلح للامارة
على العرب ويكون واسطة في جلبهم (ميلهم) الى طاعة فرنسا فوقع اختيارهم على السيد محي الدين بن السيد
علي مبارك لشهرته في تلك النواحي فولاه الجنرال ولقبه اغا العرب على اصطلاح الحكومة
التركية فخرج الى البليدة القليعة على مسافة قريبة من الجزائر فاقام بها وبث رسله في القبائل
يدعوهم لطاعة فرنسا على يده وبينما هو كذلك اذ عظمت ريح ابن السعدي وقوي شانه
وشاع امره وبلغه انه انحدر من جبال زواوة بجموعهم الى السهل متوجها فاضطرب امر (الاغا) وعلم
انه لا يحصل على طائل فلم يسعه الا اتباع ابن السعدي فتوجه اليه بمن معه من القبائل
فاكرم نزله ثم زحف ابن السعدي بجموعه الى الجزائر وخيم بوادي الكرمة على مسافة ساعتين
منها وعاث جيشه في الضواحي واضطرب الجنرال في داخلها ثم جمع امره وخرج بجنوده اليهم
فاوقع بهم اولا ثم رجعت الكرة عليه فانهزمت جيوشه افجع هزيمة وارتدوا على ادبارهم الى
المدينة واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى ان ادخلوهم اليها وامتلأت ايديهم من الاسلاب والذخائر
والمهمات الحربية ثم رجعوا الى مخيمهم بوادي الكرمة ثم زحفوا الى البلد ثانية فخرج اليهم احد قواد الجنرال عن اللقا
وانقلبوا راجعين الى اوطانهم تحت راية اميرهم ابن السعدي ثم اخذ الجنرال برتزين يتلطف
في استمالة القبائل فجعل على السنة واظهر الاغضاء عما وقع منهم فجنحوا للمهادنة معه وقدموا الاغا
السيد محي الدين بن السيد علي مبارك اغا العرب في عقدها فدخل الجزائر وعقدها مع الجنرال
ثم رجع الى القليعة ووضعت الحرب اوزارها وانفتحت ابواب الجزائر للوارد (والصادر) من القبائل
المجاورين لها والحضر وراجت اسواقها ثم عزل الجنرال برتزين في ١٠ ايار سنة اثنتين

وثلاثين وثمانمائة والف مسيحية وسبع واربعين ومائتين والف هجرية وتولى مكانه الجنرال
دوك دي روميغو واحضر معه ستة عشر الف عسكري لردع القبائل وحملهم على طاعة فرنسا
ولما علم ان هذه السياسة لا تنفع في الوقت عدل عن التعسف الى اللين والتلطف فاحسن السيرة
واستمال الناس اليه واقام مدة على ذلك ثم ان فرحات شيخ بسكرة وما يليها في ايالة قسنطينة
اظهر الجولية وبين الحاج احمد بك حاكم قسنطينة فنزع الى الفرنسيس واوفد جماعة من اقاربه
على الجزائر فتلقاهم الجنرال دوك روميغو بالاكرام واحتفل لقدومهم فرحا وتعللا لطاعة
شيخهم ولما انقلبوا حملهم اليه انواع الهدايا النفيسة من تحف فرنسا وفي اخر سهل متيجة
انقض عليهم جيش من الجبل فاستاقوا ما معهم وارتدوا الى الجزائر عراة فعظم ذلك راجعين
على الجنرال وبعد ان اخذ خبر الجيش الذين فعلوا هذه الفعلة الشنيعة في ايام الهدنة من اي قبيلة
حمله الغضب على الانتقام منهم فاغزاهم فانذهب ليلا فصبحهم واكتسح اموالهم من قبائل الجبل
وقتل من لم يفر منهم واخذ شيخهم اسيرا الى الجزائر واول وصوله اشهروا قتله في السوق
وشاع خبر هذه الواقعة فاستنكرها الناس وحسبوها نقضا للهدنة من حاكم الجزائر
وعملوا بمقتضى ذلك فعادوا لما كانوا عليه من شن الغارات على ضواحي الجزائر والتعرض
للوارد اليها والصادر وتحرك ابن السعدي سعيد سكونه ونادى في تلك الجهات بالجهاد
وتجددت الحروب بين المسلمين وجيوش فرنسا ووقعت بينهم عدة وقائع كانت
الحرب فيها سجالا ولما استحر القتل في اهل متيجة دخل الكثير منهم في طاعة فرنسا
وارتحلوا الى قرب البلد ونزح الباقون الى الجبال واخذ المسلمون حذرهم وعلموا
ان الفرنسيس لا يكترثون بنقض العهود ولا يعبؤون بالوفاء بها وهذه الحوادث
كلها كانت في ايالة الجزائر وايالة تيطري واما ايالة وهران فلم تنقطع الحروب فيها مع حاكم
وهران منذ دخلها جيش فرنسا في ايام ... الجنرال الكلوزيل ... ثم ان اغة العرب
لما راوا ان الامر متفاقم بين حاكم الجزائر والقبائل وعلم انه لا طاقة له بتلافي ذلك بنفسه ارتحل

من بلده

[illegible]

واسباب العمران ومن شاهد اثارهم وما شيدوه من الحصون والمعاقل وراى معارف وطالع
اخبار حروبهم وسيرهم علم ان هذا الجيل من الخليقة مرهوب الجناب شديد الباس وافر
العدد والعدد لا يراهنون بذل ولا يبالون بمن استطال عليهم فهم الذين قهروا امم
العالم من العرب والفرس واليونان والروم اجيالا عديدة فيها الشرق وتتابع
الدول فيهم وعليهم الى ان انتهى بهم الى تلاشي امرهم وفناء قوة عشائرهم وذهاب الملك
والدولة منهم وصاروا خولا وعبيدا للجباية وعوامل الخراج

ذكر دولة بني مرين

لما هلك الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة عشر وستمائة مرجعه من غزاة
العقاب وبويع بالامر من بعده ابنه يوسف المستنصر وكان غلاما لم يبلغ الحلم وشغلته
احوال الصبا عن القيام بالسياسة وتدبير الملك واستبد ارباب الدولة بالامور ... وتهاونوا
بامر ... وكان هذا الحي ... الحلال ...
هذه العرب انتهزوا فيها الفرصة وتخلصوا اليه ... ودخلوا ... اليه وتعرفوا
في جهاته واجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم واثخنوا بالقتل والنهب وسائر ...
والجاء الناس الى ... من الجبال ومعاقلها وتخلص الحرب بينهم وبين الدولة فاذنوهم
بالحرب واهتز الخليفة المستنصر ... ولد عبد الواحد ... بالعساكر والحشود
من حضرة مراكش واوعز الى ... ان يخرج بهم الى غزو بني مرين
واتصل الخبر بهم وهم في جهة ... من الريف فتركوا اثقالهم وصمدوا اليهم فالتقى
الجمعان بوادي نكور ... الظهور لبني مرين وانهزم الموحدون وامتلات ايدي بني مرين ...
من اسلابهم واستغنوا ... بنو مرين بعدها ... فجعلوا ... ثم
اختلفت كلمتهم ... عسكر ... من استقلال ... دونهم

استجاشوا ايضا لرياح من العرب الموطنين بالهبط بالريف وحمدوا الى قتال عبد الحق
وقومه سنة اربع عشرة ودارت بينهم حرب هلك اشتد باسها وهلك فيها عبد الحق
[illegible] والكبر ابنه ادريس ثم انكشف رياح اخرا وانهزم جمع بني عسكر وقتل منهم ابطال
وبويع عثمان بن عبد الحق لوقته مكانه وانتهز في هزيمة رياح واثخن فيهم وثار بابيه
واخيه حتى شفى نفسه منهم ولاذوا بالسلم فسالمهم على مال يحملونه اليه كل سنة ثم عظم داء
بني مرين بعدها على الموحدين وكثر الثوار بالمغرب وفسدت السابلة وامتنعت الطلبة
من ذوي العمال والامراء من السلطان [illegible] بالامصار وغلب بنو مرين على الضواحي — وتنقصوا ملك الدولة
وتنقصوا اطراف الدولة ومدوا ايديهم للبلاد وسار فيهم اميرهم عثمان بن عبد الحق يتقرى
مسالكها وشعوبها ويضع المغارم على اهلها حتى دخل اكثر الشعوب والقبائل في امره
فبايعوه وفرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال من قومه ثم فرض على امصار المغرب كفاس
وتازى ومكناسة وقصر كتامة ضريبة معلومة يؤدونها اليه على راس كل سنة على ان
يكف الغارة عنهم ويحمي سابلتهم ثم اغزى ضواحي زناتة سنة عشرين واثخن
فيهم حتى اذعنوا وحمل بعضها من رياح ثار بابيه واخيه ما اثخن فيهم ولم يزل
دابه ذلك الى ان هلك باغتيال علجه سنة سبع وثلاثين وقام بامر قومه من بعده
اخوه محمد بن عبد الحق فتقبل سنن اخيه عثمان في [illegible] بلاد المغرب واخذ الضريبة من امصاره
وجباية المغارم [illegible] من ضواعنه وبدوه وسائر رعاياه وبقي بنو عبد المؤمن
اثناء ذلك في مرض من الايام [illegible] الى ان هلك الرشيد بن المامون وتولى
وولي اخوه علي السعيد فجمع الجيوش من الموحدين والعرب والروم ونهض سنة
اثنتين واربعين من مراكش وزحف اليه بنو مرين والتقوا بوادي [illegible]
[illegible] وهلك محمد بن عبد الحق [illegible] زعيم من زعماء الروم وانكشف بنو مرين واتبعهم
الموحدون الى جبال غياثة ولحقوا بجبال غياثة فاعتصموا بها اياما ثم خرجوا
الى الصحراء وولوا عليهم ابا يحيى بن عبد الحق فقام بامرهم وقسم بلاد المغرب وقبائل
جبايته [illegible] بين بني مرين وانزل كلا منهم بناحية سوغها لهم وسالت الخليفة

واجتمع بنو مرين لقتالهم وتقلدوا الاعمال ثم مدوا ايديهم الى تقلد الامصار فنزل ابو يحيى بجملته جبل زرهون ودعا
اهل مكناسة الى بيعة الامير ابي زكريا بن حفص صاحب افريقية لانه كان على دعوته ووالى بنيه وحاصر مكناسة
واخذ بمخنقها وشد على اهلها الى ان اذعنوا للطاعة ثم احس الامير ابو يحيى منهم الاستبداد فلم يخش الله
وبلغ الخبر الى السعيد بتغلب ابي يحيى على مكناسة وخروجه الى ابي حفص [illegible]
[illegible] الامر فيهم شيئا [illegible] ابا حفص فانقطع [illegible] افريقية وبقي يغمراسن بن زيان وقومه بنو عبد الواد [illegible] استقلوا بعمال المغرب
الاوسط وابن هود انقطع عنه الاندلس وابن الاحمر بالجانب الاخر [illegible] وهم بنو مرين قد تغلبوا على ضواحي المغرب الاقصى
ثم سموا الى تقلد امصاره واجتاح اميرهم ابو يحيى مكناسة وجاهر بالاستبداد [illegible]
[illegible] الواقعات ان [illegible] الامر وتنقرض الدعوة [illegible] وتوافقوا الحرب فجمع السعيد جيوشه واحتشد
عرب المغرب وقبائله ونهض من مراكش سنة خمس واربعين يريد مكناسة وبني مرين اولا ثم تلمسان وبني عبد الواد ثانيا
ثم افريقية وبني ابي حفص ثالثا ثم وصل الامير ابو يحيى الى العسكر متوسلا [illegible]
له بلافات السعيد وجيوشه خارج من البلاد وفاذ بنو مرين [illegible] فلحقوا واجتمعوا اليه بتازا [illegible] بلاد
الريف ونزل السعيد بمكناسة وخرج اهلها بالطاعة [illegible] في اتباع بني مرين ورجع [illegible]
[illegible] اميرهم ابو يحيى [illegible]
ثم راجع نظره في مسالمة الموحدين والفيئة الى امرهم ومظاهرتهم على عدوهم يغمراسن وقومه [illegible]
[illegible] السعيد بتازا [illegible] في الجرائد [illegible] واسرهم بالعسكرة [illegible]
ابو يحيى بجماعته من قومه وخرجوا تحت رايات الخليفة السعيد [illegible] تازا يريد تلمسان وما وراءها
ثم هلك السعيد وانكفت عساكره [illegible] الى مراكش وجمهورهم مجتمعون الى عبد الله ابنه [illegible]
[illegible] الى الامير ابي يحيى بن عبد الحق وهو بجهات بني يزناسن فانتهز الفرصة [illegible] عساكر الموحدين [illegible] الطريق
[illegible] واستلبت ايديهم بنو مرين من اسلابهم [illegible] كثرة الروم والناشئة من الغز
واتخذ المركب الملوكي [illegible] الامير عبد المومن السعيد [illegible]
وقومه الى بلاد المغرب [illegible] واحاط [illegible] بفتح حصونه [illegible]
[illegible] ثم رجع [illegible]
[illegible]
وحضر الامام ابو محمد الفشتالي [illegible]
العفوة [illegible] اربعة اشهر [illegible]
[illegible] يعقوب بن عبد الحق [illegible]
اهل مكناسة [illegible]
[illegible] دعوة [illegible] الامير ابو يحيى [illegible]
[illegible] بني ابي حفص [illegible] بملك المغرب الاقصى وبنو عبد الواد بملك المغرب الاوسط
[illegible]

وبعد ان استولى ملك الامير ابو يحيى على عامة بلاد التلول من المغرب الاقصى اعتزم على الحركة الى الجهة القبلية ففتح سجلماسة ودرعة
وما اليها سنة ثلاث وخمسين (منتزعا لها من ايدي الموحدين ورجع ثم بلغه ان يغمراسن يقصد سجلماسة ودرعة لمواخلة
من بعض (جموعها) فاغذ اليها السير بجموعه ودخلها قبل وصول يغمراسن اليها معا على مكانه ... من البلد ...
في يده ... ودارت بينهما حروب ... فيها وانقلب يغمراسن الى ... وسعد ابو يحيى الى سجلماسة ودرعة
لبعض ... وانكفأ راجعا الى فاس فاقام بها ايام ثم نهض الى ... مستعيدا الثغور ... منها عليها
... ثم توفي ... سنة ست وخمسين ... للقيام بالامر ابنه عمر ومال اهل الحل
والعقد الى عمه يعقوب بن عبد الحق ... ثم اجتمعت الكلمة على يعقوب بن عبد الحق ودخل
فاس ... سنة سبع وخمسين ... الطاعة له في بلاد المغرب ... من شأنه الخوارج عليه من عشيرته الجمع
لمنازلة المرتضى والموحدين في مراكش ... واستقل ... وسار سنة ستين وسار
دار الخلافة ثم نزل ... وعقد المرتضى لحربهم ... المكنى بابي دبوس ... ولواء حبيس
ابن ... فعبأ كتائبه ... مصافه ... بينهم حروب قتل فيها عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق
فعظم حزنهم عليه ... واعترضهم عساكر الموحدين بوادي ام الربيع فاقتتلوا ... الوادي وانهزمت
عساكر الموحدين ثم اظلم الجو بين الخليفة المرتضى وابن عمه ابي دبوس فلحق ابو دبوس بالامير ابي يوسف يعقوب
من ... فاس ... سنة اخرى وستين ... اليه ... وسأل منه الاعانة على امره ...
~~...~~ بالرجال والمال وسار ... حتى
... حتى ... الحضرة ... من الموحدين ... بالمرتضى ... باز ... مستنجدا ...
ودخل ابو دبوس الحضرة في المحرم فاتح سنة خمس وستين وتقبض ابن عطوش على المرتضى ... امير الايدي ...
فبعث ... ففتك ... في طريقه واستقل ابو دبوس بالخلافة ثم بعث اليه الامير يعقوب ...
... فاستنكف ونقض العهد واساء الخطاب فنهض اليه في جموع بني مرين وعساكر المغرب ...
... بمراكش ونازله الامير ... ثم سار في الجهات والنواحي ...
الافواه ... ابو دبوس ... يغمراسن بن زيان ليشغله عما وراءه فبعث اليه ...
... بلاده ... يغمراسن الغارات على اطراف المغرب ... فانصرف يعقوب من مراكش ونهض
... الحرب ... واكمل استعداده ورحل ... سنة ست وستين وتزاحف الفريقان
بوادي تلاغ ... وتولى النهار انكشف بنو عبد الواد واميرهم يغمراسن ... العدو ... وقتل كبير
اولاد يغمراسن ابو حفص عمر واخذ يغمراسن ... الى بلادهم ... من ... مبادئ سنة
ورجع الامير يعقوب الى ... الى ... مراكش ... السرايا ... الغارات على جهاتها حتى ...
~~...~~ ... عامر ثم نهض اليه ابو دبوس ... واستجره ابو يوسف يعقوب بالفرار امامه
ثم ... القتال فاختل مصافه ... واحتز ... راسه ودخل ابو يوسف الى مراكش

مراسلات ودادية ومواصلات قلبية

وكان بين الامير والحكومة التونسية ~~مراسلات~~ ... ~~...~~
مراسلة متنوعة الاغراض ~~...~~ تتعلق بالاغراض ~~...~~ وكما انجز
الوزير الخطير العالم الفاضل خير الدين باشا تاليفه اقوم المسالك بعث الى الامير
نسخة منه فحبا المكتوب منه ... الاسباب الباعثة على تصنيفه فاجابه
الامير بالمكتوب التهنئي هذا ملخص موضع الحاجة منه قد ورد علينا من حضرتكم
السنية كتاب استدعى شكري وحمدي واستخلص في الصفاء والمودة ما تحوي
عرفتونا فيه من حسن ... ما نرجو له الدوام بالحفظ والحماية من حوادث الليالي
والايام وفيه من الاخلاص ناظرة الشكر ولسان القبول مسلم عليكم وقد اطلعنا
على اقوم المسالك ورأينا فيه ما بهر العقول وادى الافكار الى الذهول وانعقدت القلوب
على تفضيله واختلفت الالسن في تشبيله ... التشبيه وقلنا ماله في بعضه
من مثيل ولا شبيه
~~...~~ ~~...~~ الوزير المذكور جوابا في عناية ... ~~الوزير ...~~
~~...~~ قد رفعتم للعقل الراية
وبلغتم من الكمال الغاية حتى احبكم البعيد والقريب ولهج بمدحكم الموطن والغريب
ولم تزل السنة المهاجرين ... تشير الى ... الخصال الحميدة والمزايا العديدة
... بالغيب ارسالا وفي هذه الايام وردت علينا رسائلكم
راغبين ان نعلمكم ... من الانقطاع الى جنابكم والتحيز الى ... وان نذكركم بهم
تذكرة حسنة لتعاملوهم بمقتضاها المعاملة المستحسنة جريا على ما الفوه من
احسانكم وابقاء لما اعتادوه من افضالكم وامتنانكم ولا يخفى ان ذلك من اسنى الاعمال
الصالحة واربى المساعي الناجحة ... بكل فضيلة احق ... الكل ... الاسبق
و

ولما اتصل بالامير ان خير الدين باشا وصل الى الاستانة وسولا من قبل حضرة الباي صاحب تونس كتب اليه

وفي سنة ثمان وثمانين ومائتين والف توجه خير الدين باشا الى الاستانة العلية في امور سياسية تتعلق بحكومته ولما اتصل خبره بالامير كتب اليه ما نصه ~~قد كما قال العلم النحرير~~ رسالة مخاطبة

مناوهبت رزجرت اطيار الميمون للقائكم ~~لكم~~ بلغنا خبر مروركم الى الاستانة العلية فلنا لعلكم ان تتفضلوا لنقل الاقدام الهمة الباكرة تجريكم الى هذه المواطن المباركة لتتميز ان الطاهرة فتشرفوا بالمشاهد النبوية وتستنشقوا عرف انعاسها ~~الزكية~~ العاطرة وتتمتع بمشاهدتكم نواظرنا وتنشرح بطيب ~~مجالستكم~~ حديثكم منوالارنا نترفع بمعرفتكم من العلم الى العيان ومن مخاطبة القلم الى مذاكرة اللسان وحينئذ تتملى النفوس من صفائها والعقول من حل عقالها والالسن من وصل مقالها ومنتهى ما يساعد القدر بحصول هذه الامنية وحظينا بمشاهدة ذاتكم البهية فيا حبذا وانا جالس فلله الامر من قبل ومن بعد وله الحكم في القرب والبعد وعلى كل حال فنبرودكم ~~لا تجبر الدنيا الجواهر~~ والله تعالى يبقيكم على ~~عرش الاجلال~~ ويبقيكم في مقام الاقبال فاجاب قد بلغنا عزيزكم بكم المنظم التعريف بنعمة ما يليكم العالية ~~ذلك الجناب المعظم~~ ودلنا وارتياح نفسكم الشريعة التي هي قرارة كل فضيلة وبقل مكرمة كفيلة مجدنا الله عز ذلك باللسان والجنان وعرمنا انعم علينا وارانا اياه في وجهتنا الى ~~الاستانة العلية~~ هذه الاسلامبول المنتظمة في سلك مراحم الخلافة العثمانية ومراضيه في تسهيل المصلحة العمومية الاسلامية وتمهيد اسبابها وتوطيد دعائمها التي ~~ابدعتها~~ خلدت للاسلام مجدا وادامت له من مكارمها ذخرا ونستوزع الله شكرا مبوا في ما انعمت به السلطنة العليه خلد الله عزها من المراضي الشخصية التي كانت فوق الظن ونرجو من دوام صلة المودة بعائلتكم الكاتبة موصولة اذ هي بين الاحبة مسؤوله ولديهم مقبوله وما برحت منح الله نتائج جنابكم وتتراوح بكل مكرمة منايح منه وكرمه

مشاهدة

نحو ابي عبد مطابس لنفس مكتوب الامير وهو عنه... الى الكتابة في... نص المقصود منه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

هدية السلطان نابليون الثالث الى الامير عبد القادر بن محي الدين) ثم ان الامير ودع الرئيس وسائر الانبوازو في اثناء اقامته في باريس امتدحه الاديب الناظم الناثر احمد افندي فارس الشدياق بقصيدة غراء وهي قوله

ما دام شخصك غائبا عن ناظري ... لبس السرور بخاطري في خاطري

ياس على قرب المزار وبعده ... حبي له والشوق مل‌ء سرائري

ان كنت لي يوما فديتك وافيا ... ما ضرني ان كان غيرك غادري

واذا رضيت فكل سخط هين ... واذا وصلت فما ابالي بهاجر

واذا بغيرك كنت يوما ناعما ... لم اخش شيئا بعد ذلك خاطري

يا فاتني بدلاله وشماله ... وكماله وجماله ذا الزاهر

عقلي سلبت ومهجتي بازدها ... لاجيد مدح شمائلك باهر

وليعلم العذال انه حاذق ... في وصف حسن علاك وصفة شاعر

يا محرقي شوقا بعا زجيعنه ... ارايت قبلي محرقا بالعا تري

يا بدر تم لام قلبي حبه ... يا شمس حسني قد تملك سائري

يا ظبي انس شاق عيني شكله ... لكن له طبع الغزال النافر

هلا رثيت لحالتي ورفقت بي ... ووعدتني عدة ولو في الظاهر

لو كنت تدري ما الغيت من النوى ... لرحمتني ووددت انك زائري

مذ غبت عني ارتدعن طرفي الكرى ... من بعد ما هويت ارتداد الكاسر

واهتاج وجدي واستثيرت لوعتي ... وبدا بحبك ما تكن سرائري

اني وحق هواك غاية مطلبي ... وسنا محياك الصبيح الناضر

من يوم لحت لناظري ما لاق لي ... شيء ولم يملأ جمالك ناظري

ما كان حسن سواك يوما شاقني ... كلا ولا لحظ لغيرك ساحري

علم

في ط ابي حلقة

٥١

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

اصوى لا اجلس حماك بشكله … لا نشكله اذا اكدون الناد ر

كيف اصطبارى اليوم والاجل انقضى … وابيت ارضاه بطيف زائرى

وبمهجتى انى اراه ساعة … قبل الممات معانقى ومسامرى

هيهات تبلغنيه انى ساهر … والطيف ليس برافد مع ساهر

انسيت عهدى حيث ملت مع الهوى … ولقد عهدتك ما ذكرتك ذاكرى

اما انا فكما علمت على النوى … والقرب حب فيك غير مغاير

شيئان لست الدهر صبرا عنهما … ذكرى لقاك ومدح عبد القادر

هو ذلك الشهم الذى شهدت له … كل البرية بالفعال الفاخر

ومناقب محمودة وشمائل … مرضية ومحامد ومآثر

هو ذلك المولى الممدوح سعيه … عند الاله وعند كل مفاخر

وهو المهيب لدى الملوك نزاهة … والنازح الحسب الكريم الطاهر

من معشر العرب العريق نجارهم … اهل المكارم كابرا عن كابر

العاملين بحكم التنزيل والتحريم والتحليل حزب الحاشر

الناجين اذا غشوا واذا دعوا … يا للبراز منحرهم للناحر

المؤثرين على خصاصتهم وقد … نظروا الى الدنيا كشبه غابر

ولرب قوم يحسبون خلاقهم … فيها وغابر لهوها كالغابر

ولديهم رد التحية منة … كبرى لدى احيائه عظم ناخر

يحيي الليالى بالدعاء تهجدا … ويبيت في الاعداء اى جاهر

ويروح افتقرة الرجال لغاوه … حتى يجوروا عن نداء الناصر

في قلب كل محنك من رعبه … ما عنده تجهم كل ليث زائر

وبكل حرف من بليغ كلامه … حرف يعلمهم لحرف البائر

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

الفضل شيمته وشيمته التقى … لله واستر باح اجر الصابر

يولى الندى قبل السؤال وبشره … للزائرين منوه ببشائر

يغنيهم عن ان يمتوا عنده … بعزوة وحتمهوا واواصر

جهد الزمان علاه وكبا ولم … يبرح وفيه لديه سورة ثائر

ولقد يكون النسر يوما واقعا … ويعود بعد الى الطير الطائر

فالله ينصر من يغار لدينه … والله يخذل كل عات فاجر

والدهر يداول الايام ما … بين العباد لسابق ولقاصر

سكن الامير وطار في الدنيا اسمه … وروى المعالي عنه كل معاصر

بالعجم بين موقر ومبجل … والعرب بين مفاخر ومكاثر

يا ناصر الدين العزيز وحزبه … يا خير صبار واعظم شاكر

يا خير ناه عن تعاطى منكر … ويخطة العرف افضل آمر

انخش من باس وربك قاهر … بدعائك المبين جيش الجائر

للاحبة كنت عناية صمدية … ترعى حماك وتكون فى قادر

كن كيف شئت فانه اجرك ثابت … في اللوح وهو اجل ذخر الذاخر

فاذا صبرت فانت اعظم شاكر … واذا غضبت فانت اكرم ساتر

وبعد فالمرجو من كرم طباع سيدى المولى الكريم الامير العظم ان يسمح لي بالمثول بين يديه ساعة من الزمان قبل سفره بالسلامة من هذا المكان فانى كثير الشوق الى تقبيل راحته والى التبرك بين حضرته ولو اخذ نصيبي من الملاحظة لو اجيبت بهذه الابيات وقدمتها لسيدى لذلك المقام لكنني خشيت من اساءة الادب والجراءة على القدوم قبل الطلب وانى لامركم العالى منتظر وداعي لجنابكم بالعز المستمر في تشرين ثاني سنة تسع وستين وثمانمائة الف وبعد وصول الامير الى انبواز اخذ ينظر في الاستعداد للسفر وفى تلك الايام

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

فرقرار نواب الامة في المجلس الكبير في باريس على ازالة الجمهورية بالامبراطورية وعلى حصرها في العائلة النابليونية وصورت الاوامر الى سائر الولايات بالانتخاب على حسب اصطلاحهم ولما بلغ هذا الامر الى انبواز بعث الامير الى حاكمها يقول حيث انه اقام في انبواز اربع سنين يحق له ان يشارك اهلها في الانتخاب فاجابه الحاكم الى ذلك فكتب الامير ومن معه انتخاب البرنس لويس نابليون وختموا اوراقهم في درج مخصوص وبعثها الحاكم الى باريس مع اوراق اهل البلد وذلك في الثاني والعشرين من تشرين الثاني سنة اثنتين وستين وماتين والف ومن غريب الاتفاق ان في مثل هذا اليوم الموافق لاول رجب عام ثمانية واربعين وماتين والف كانت بيعة الامير بالملك في وطنه غريس من بلاد الجزائر ولما تم الانتخاب وجدت الاكثرية للبرنس نابليون فحكم المجلس له بالامبراطورية ونفذ الامر بذلك واصبح البرنس امبراطور فرنسا وطار خبره الى اقطار الارض في الطول والعرض وشاع امره وذاع وبلغ الملوك والرعاع وتحلى بذكره كل لسان وسارت بخبره الركبان وفي اليوم الثاني من كانون الاول توجه الامير الى باريس ليؤدي مراسم التهنئة فاكرم الامبراطور وفادته واعظم مجيئه ثم خصه بمجلس حضره الوزراء واعيان الدولة في قصر التلري واول اجتماعه به ووصوله اليه حياه وقال له ان الذي كان صوتك في الانتخاب هيمونا علي فاجابه الامير ان صوتي قد اعرب عما في ضميري من ارادة الخير لك واني احمد الله الذي عجل لك بالجزاء عني بافضل ما تريد قبل خروجي من فرنسا ثم بشر الامبراطور وتهلل وجهه لهذا الجواب ثم ودعه الامير في الفوج فعاد الى انبواز وفي الحادي عشر كانون الاول خرج الامير باهله ومن معه من انبواز الى الاستانة العلية ومر في بلدة بريطانيا فاستقبله اهلها بالبرة الزائدة والاحتفال العظيم ولما وصل الى مدينة ليون الشهيرة وافاه المارشال فيها بغاية الاحتفال والابهة واصطفت العساكر باسلحتها خارج البلد لاداء السلام عليه وكان ذلك اليوم من الايام المشهودة المنخرطة في سلك الامثال السائرة

الاتفاق

ثم ان خبره ... مكتوب ... وهو ...

... هذا الشهر ... رجب سنة ... وماتين والف ... بلاد الجزائر

الثز

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

وفيها حلا لي الذل من بعد عزة	فيا حبذا هذا ولو بدؤه مر
وذلكم من فضل الاله ومنته	علي فما للفضل عد ولا حصر
وفي انعم الوهاب فضلا بشرتها	فلله حمد دائم وله الشكر
فقل لملوك الارض انتم وشانكم	بقسمتكم صبري وقسمتنا الكثر
هي الدنيا والاخرى وبالفوز معا	وصار لنا كاسا بهذا الندا وفر

ومنها

هنيئا لنا يا معشر الصحب اننا	لنا حص امير ليس يطرقه ذعر
ينجي بضوء الشمس والغير في دجى	واعينهم عمي في دار انهم وقر
الا فاعلموا شكرا لمن جاد بالذي	هدانا ومن نعمائه عمنا البر
وصلوا على خير الورى خير مرسل	وخير هداة الخلق من بهم الامر
عليه صلاة الله ما قال قائل	اامسعود جاء السعد والخير اليسر

وكان اذا اجتمع به اهل محبته واخوانه في الطريق من اهل مكة فباسطهم ويداعبهم والخوض فيما يخوضون فيه ذكر لي بعضهم وكان معه في الطائف انه جلس معه ذات يوم قال فاخذت اصحح شروط اهل مكة على الخدود وانشدت قول بعضهم

رايت لها شرطا على الخد قد حوى	جمالا وقد زان الملاحة بالغرة
فقلت مرادي اللثم قالت في خلوة	فقبلتها الفا على ذلك الشرط

فاجابني بقوله

اقول لقوم لا تعبيد مقالتي	لربهم رشحي لا يعيد اقالتي
الا فاتركوا ورد الخدود وشانه	فتحويركم في الخدا شيء بعلة
ايعجز ذو لب لخد مورد	ويقسمه عمدا الى شر قسمة
وما دم شرط السود بالسود جادى	واما بزانة الخال شيء بجملة

ذكر سير الامير من مكة الطاهرة الى المدينة النيرة الزاهرة

وفي اول يوم من رجب سنة ثمانين توجه الامير وصحبه الى المدينة الزاهرة ثم بعد رجم بن عباس

الى المدينة وصوله وصل الله ... سنة ١٢٧٠
... في رجب سنة

بعده

ثم جد بعد ذلك حافظ باشا محافظ المدينة وشيخ الحرم نحوها ينتظر القوافل القاصدة الى المدينة المنورة من الجهات فاحتفل للقافلة وضرب لها خيمة الى جانب خيمته وانتقل حضره مشايخ قبيلة حرب الشهيرة مجاوره رئيسها الشيخ فهد في جماعة من اعيانها فاكرم نزلهم وعرضوا ان يكونوا في خدمته الى المدينة المنوره فدعا لهم وشكر صنيعهم وتودد اليهم وبعد ان تلاحقت القوافل ارتحل الباشا بها والامير في معيته فدخلوا المدينة في السادس والعشرين من رجب واستقبل الامير جماعة كثيرة من اشرافها وعلمائها في وادي العقيق وكان الشيخ محمد الدراسرلي تهيأ لنزوله عنده فاجابه الى ذلك واقام في ضيافته اياما ثم استاجر منه بيته الكائن في طريق الحمام النبوي بالقرب من باب السلام وانتقل اليه ثم طلب محلا لخلوته في المسجد الشريف فهيأ له السيد احمد اسعد الشريف الشهير محلا لهم لصيقا بجدار المسجد النبوي وبابه من داخله وهو في الاصل بيت سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه الذي له خوخة في المسجد وهي التي قال فيها صلى الله عليه وسلم كل خوخة في المسجد تسد الا خوخة ابي بكر فاتخذ الامير ذلك المحل الشريف لعزلته عن رفاقه وعن الناس جميعا مدة شهرين فهبت له فيها نسمات لدنيه ونفحات ممزوجة بانفاس ملكيه مؤيدة باسرار رحموتيه محفوفة بانوار محمديه وعنايات صمديه فوثب في معارجه وزكت عوارفه وانبثت اشعة انواره وانبعثت كوامن اسراره وانكشفت له الحقائق القرآنيه والاحاديث النبويه ومن طالع مواقفه في الحقائق وقف على ما اشرنا اليه وزيادة كثيرة عليه ولاول وصوله الى المدينة المطهرة مدحه بعض ادبائها فقال

بشرى لطيبة بالهمام الزائر ... اكرم به من ليث غاب زائر
وافى حماها رضى وشوق لـه ... من بعد طول تباعد وتهاجر
فتمايلت اعطافها بوصو لـه ... فرحا ونور كل روض ناضر
وبوطئه شرفت رحابها كما ... شرفت بجده في الزمان الغابر

وقال رح

٨٤

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ان استكمل تعبيته واجود اهبته ارتحل من سلوان الى زايو فاتصل الخبر بالامير
فعبر بدائرته النهر ونزل في العدوة الشرقية منه ثم جاء المغاربة فنزلوا في منازلها
الاولى في العدوة الغربية فامر الامير بارتحال الناحية عجرود وعين العسكر المشاة
للمحافظة عليها وحماية حوزتها وبقي هو في الفرسان ووضع المصاف على النهر
وكان سائلا وليس له في تلك الجهة الا مجاز واحد فلما هجم المغاربة غرق فيه منهم
الوف عديدة هم وخيلهم والذين اطلعوا منهم على ضفته اشتد القتال بينهم وبين
جند الامير واضطرمت ناره وكثرت القتلى والجرحى من الجانبين واستمر القتال على
النهر من اول النهار الى العصر ثم تقدمت حشود البربر من اهل الوطن الى مجاز النهر
فعبروا منه واتبعهم المغاربة واختلطت الجيوش وخاض بعضها في بعض
والتحم القتال قعصا بالرماح وطعنا بالسيوف وكان الفارس يحيى قد استشهد
بعد ان ابلى بلاء حسنا فاختل مصافه وراى في ذلك قتل فرس الامير من تحته وتكاثر
العدو على المهاجرين فتزحزح الامير عن النهر وصار القتال في السهل مناوشة ثم اصيب
فرس اخر للامير كان ركبه بعد الذي قتل فنزل عنه الى غيره فاصيب ايضا ولما تولى النهار
اقبلت حشود بني يزناسن نجدة لمولاي سلطانهم وحملوا على الامير من جهة الميمنة
فانكشف جنده لقلته ونفاد ما بيده من البارود واخذ الامير باعقابهم يدافع
عنهم فكان ردءا لهم الى ان خلصوا الى عجرود ثم مال بالجيوش العدو الى الدائرة فدافعهم
العسكر المشاة الى ان اجازت الاثقال وسائر اهل الدائرة وادي عجرود وقتل من العسكر
في تلك العشية نحو المائة واسر مثلها واستمر الامير سائرا باهله وخاصته الى قرب
خالد من بني يزناسن ودخلت الدائرة وفيها اخوته واقاربه في ارض مسيرده التابعة
للفرنسيس وبهذا انتهت خاتمة الحرب وطفئت نار الحروب والفتن

هذا الذي سبق القضاء به — والدهر في الانسان ذو دول
ما قر في ابن قوابله — حتى أذيق الصاب بالعسل

فيهم
محمل عليهم الامير حملة
صدقهم رفقا وملاشيهم
رعبا ورفقا وما زال
يوالي الكر عليهم الكر
الى ان اوردهم
ثم انصرف وقد ابقى
بانتقاد سلكه وذهاب
ملكه ولما رجعهم العدو في
كتائبه وحملوا عليه
من جهة الميمنة الخ

[illegible]
سبحانه [illegible]
سلم [illegible]

وصادف الأميرة بيافا قيام أهلها ومن إليهم بمولد نبي الله روبيل عليه السلام واحتفالهم له جريا
على عاداتهم المألوفة لهم خلفا عن سلف فبعد أن أقام ضيفا عند المفتي ~~فخرجا معا لمحل البلد~~
خرجا معا في ذلك الجمع الكبير الى مشهد نبي الله روبيل عليه السلام برسم الزيارة وبعد يومين ودع
المفتي هناك وتوجه الى زيارة سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفي معيته السيد حسن افندي
الوحادي المذكور آنفا فأقام الأمير في حبرون بلد الخليل يومين وحيث ان قبر الخليل عليه السلام
غير معين وانما هو داخل السور كان الامير يقف عند الباب ويدعو ومن هناك توجه الى القدس
الشريف والمشهد الكريم المنيف الذي تنجلي بمشاهدة مسجده الأقصى سائر الهموم وتزول
من القلب الغموم وينشرح الصدور وتصفو مرآة الفكر وأقام هنا أياما يتعاطى كؤوس
العبادة الرائقة ويتجمل بمكارمها الفائقة ونوالها عززه لذلك البلد الشريف هيبته ووالله حرمته
وقبراته وزار قبر سيدنا موسى عليه السلام ثم استوعب من بلاد فلسطين في زيارة جميع الاماكن
المباركة والمشاهد المقدسة وتوجه الى الغور فزار قبر سيدنا معاذ بن جبل وقبر سيدنا ابي
عبيدة بن الجراح ومن معهما من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومن هناك رجع الى دمشق على
طريق حوران فزار قبر الامام النواوي قدس الله سره وحوالته على حضرة النعم المتوالية عليه
والتي ٧ بجماد ٢ و٧

وخرج اعيانها باستقبالها ونزل في دار [illegible] واقام سيدي ابي مدين الغوث قدس الله سره

٥٦

المرجوه وهل الشكل لا دوكا
والرجعة يسلم سيلي

سروري اذا منّ الزمان بعودة   لبرسا التي خصت باسنى المشاهد
امتع طرفي في محاسن روضها   ومسك ختامي نظرة في المجاهد

هذا وان سألتم عن كافة الاحوال فنحن على ارغد عيش وانعم بال كافة احبابكم لرؤياكم
متشوقون ولروائح اخباركم مستنشقون بلغهم تغيير هيئة اللباس وحصل لهم بذلك
غاية الاستئناس وسُر بقدومكم كافة اهل الاسلام من اهل الحجاز ومصر والعراق
والشام فاشكر الله على ما اولاكم لا سيما نعمة العفاف وبلغوا سلامنا للسيدة الوالده
حفظها الله من كل واردة كاسره وقد بلغني انه ازداد عندكم مولود فان شاء الله
هو مبارك مسعود ولو عرفت اسمه لهنيناكم وأرخناه وقد كتبت شرح حال
قدومكم الذي سارت به الركبان لكافة احبائك المقيمين في الشام على العهود
في جواب الكتاب الوارد لبروسا من الشريف ابن عبد الله المشرفي المعهود ودوموا
في امان الله وحسن رعايته انتهى ولاول وصول الامير لبروسا عرض عليه واليها
خليل باشا باذن السلطنة العظمى انها تعين له مرتبا شهريا يقوم بشئونه فشكر
الامير بذلك ودعا للدولة العلية واثنى عليها الثناء الجميل وشكرها على اهتمامها
بامره الشكر الجزيل ثم قال للوالي ان امبراطور فرنسا نابليون عين لي من النقود
ما يكفي في نفقاتي ونفقات من معي واما مولانا السلطان ايده الله فانه تفضل
علينا بما هو اعظم من الدنيا بما فيها وهو تنازل عظمته وانعامه علي بالكفالة
عند الدولة الفرنساوية وهذه الكفالة الخاقانية هي السبب الاقوى في حياتنا
الجديدة ولولاها ما خرجنا من قبضة فرنسا ولا وصلنا الى هنا فهذا الانعام لا يوازيه
شيء ولا يقابله شكر ولا يدانيه انعام فنحن عبيد احسان الذات ~~الشاهانية~~ السلطانية خلد الله
سطوتها وايد كلمتها وان اراد علاه ان يكرمنا من فيض فضله بشيء فنحن نؤثر به
بيت المال لنفقات الجنود المظفرة ومهماتها وعلى كل حال فنحن معترفون بالمكارم سيدنا
ومراحمه فادمنا برفع هذا الجواب من الوالي موقعا حسنا ورفعه الى الاعتاب العاليه

لا غنى لنا عن فضله ولكن

الامير [illegible] (بروسا ودمشق)
محمد والد الامير [illegible]

وكان الامير في ايام اقامته بباريز رأى الامبراطور يقدم الخيل الانكليزية على غيرها فأثرها في نفسه ولما جاء الى بروسا بعث من اتباعه الى سورية [illegible] رجالا من اهل الخبرة بمحاسن الخيل ومعايبها يبتاعون له من الخيل العربية ما يقع عليه اختيارهم فاشتروا ثلاثة افراس من احسن ما رأوا منها احدهم كميت اغر محجل والثاني اصفر فاقع والثالث احمر وردي ورجعوا بهم الى بروسا فنظم الامير على لسان كل واحد منها بيتين من الشعر وطرزها بالذهب على جبهتي رسنه فقال على لسان الكميت

يا ايها السلطان تشرّف بالقبو ... ل جانني وبس كريم الشباب
أحكمي تجبيلي التّغني وغرّتي ... فلك الذي لجماك فو اهدائي

وعلى لسان الاصفر

يا مليكا قد فاق بالعدل والرفـــعة والجود جميع الولاه
لي لون ما تبوله للعبادة ... ما ركب فتلفى ظفرا بالعداه

وعلى لسان الاحمر

يا ايها السلطان مجدك خالد ... والفضل ليس بممكن أن يكتما
انا من جياد الخيل لوني احمر ... وشّى بعندمه الخدود وتمّما

ثم بعثهم الى الامبراطور سنة سبعين ومائتين والف لنظر بعض اعيان اتباعه وهو القائد عبد القادر الشهير بسوكليجه فسر بهم الامبراطور ووقعوا لديه موقع القبول واجزل جائزة القائد ومن معه من الخدم

ذكر مجاملة الامير اهل بروسا وما أجراه في ختان اولاده

وذكر ما اتفق له فيها وما آل اليه امره من الانتقال الى الشام

كان الامير كثيرا ما يجامل اهل بروسا بحسن مجالسته ويعاملهم بلطف مؤانسته ويفيض على فقرائهم سجال احسانه ويُمطر على الاغنياء والمتوسطين سحائب افضاله وامتنانه وفي ايام اقامته بينهم اجرى ختان اولاده واحتفل له احتفالا لم يسبق البدء تلك

البلدة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه

59

عامرة ومجالسهم بفنون العلم وانواع المعارف زاهرة ذلك تقدير العزيز العليم

الفصل الثالث من المقدمة في اول من عمر المغرب من البشر

اعلم ان الاب الاول لهذا النوع البشري هو ادم عليه السلام وان عمران الارض كان بنسله اجيالا بعد اجيال متعاقبة متطاولة الى عصر نوح عليه السلام وكان الطوفان فذهب بعمران الارض اجمع خلا ما كان في السفينة ثم مات الذين كانوا معه عليه السلام في السفينة وهم الذين امنوا به ولم يعقبوا فصار اهل الارض كلهم من نسله وصار هو ابا ثانيا للخليقة واتفق النسابون والمفسرون على ان اولاد نوح الذين تفرعت الامم منهم ثلاثة سام وحام ويافث وقد وقع ذكرهم في التوراة وخرج الطبري احاديث مرفوعة في ذلك واتفقوا على ان سام ابو العرب والفرس والروم وان يافث ابو الترك والصقالبة وياجوج وماجوج وان حام ابو القبط والسودان والبربر ومثله عن ابن المسيب ووهب ابن منبه ثم تفرعت الخليقة وتعددت اممها وتفرقت في اقطار الارض واقاليمها شعوبا وكان اول من عمر المغرب منها امة البربر غير ان مبدا ذلك لا يعلمه الا الله تعالى هذا الذي عليه المحققون من المؤرخين كابي محمد بن حزم وابن عبد البر وابن خلدون وغيرهم

الى السيد حساكو ... ... محمد
... الى محمد بسيم

٦١

بنيها تلمسان وهي قاعدة المغرب الاوسط في الغرب اختطها بنو يفرن ملوك زناتة
لاول ما عمر البربر وزناتة بسائط المغرب واستوطنوه واستقر امرهم فيه لا يعرف غير
هذا من اخبار اوليتها وفي جاء الاسلام وهي دار ملك بني يفرن وسموها تلمسان
وهي في لغتهم مركب من كلمتي تلم سان ومعناها تجمع اثنين البر والبحر ولم تزل
على ما هي عليه من عمارتها الموحدية المتقدمة الى ان نازلها عبد المومن بن علي ملك الموحدين
في اعوام اربعين وستمائة واستولى عليها بحربه وقتل الموحدون عامة اهلها
ثم راجع رايه فيها وندب الناس الى عمرانها ورم ما تثلم من اسوارها ثم هي جبل
٦٠ ولايتها لاولاده فجرعوا انظارهم اليها واصفوا ابشانها فحصنوا حوزتها وشيدوا
بنيانها وحشدوا الناس الى عمرانها ونقلوا ~~الحكم~~ سكناها واتخذوا الصروح
والقصور بها واحتفلوا في مقاصد الملك واتساع الدور وكان من اعظمهم اهتماما
بذلك واوسعهم فيه نظرا ابو عمران موسى بن يوسف بن عبد المومن واتصلت
ايامه ولايته فيها بتشييد بنيانها واوسع خطتها وادار سياج الاسوار
عليها ثم وليها من بعده ابن عمه ابو الحسن بن ابي حفص بن عبد المومن فتقبل
فيها مذهبه ولم يزل عمرانها يتزايد وخطتها تتسع الى ان نزلها آل زيان
واتخذوها دار ملكهم وكرسي سلطانهم فاختطوا بها القصور المونقة
والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين واجروا خلالها المياه
فاصبحت اعظم امصار المغرب ورحل اليها الناس من القاصية ونفقت بها
اسواق العلوم والصنايع ونشأ بها العلماء العظام واشتهر فيها الافاضل
الاعلام وضاهت امصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية وقد مدحها
الشعرا فاكثروا ووصفوا

[illegible]

الجلد ٢ ك وعلى السدس سنة ٥ ونسخ محمود الله

المقدمة

اعلم ان علم الجغرافية ضروري لعلم التاريخ متوقف عليه في الكثير من مسائله
قال بعضهم ان التاريخ له عينان يبصر بالواحدة الزمان وبالاخرى المكان والجغرافية
كلمة يونانية معناها التكلم على الارض وتكتب بالالف بعد الباء ويعبر هذا
العلم بعلم التقويم ومن التخطيط والمؤدى واحد والجغرافية تنقسم الى طبيعية
ووضعية فالجغرافية الطبيعية يبحث فيها من هيئة الارض وبنيتها وتركيبها
ومن المواد النافعة الموجودة في طبقاتها وما يتعلق بذلك من ذكر جبالها ومياهها
ونباتاتها ومعادنها وما يعيش على وجهها من الحيوان وما لا يعيش ويبحث فيها
ايضا عن كرة الهواء المحيطة بكرة الارض والجغرافية الوضعية يبحث فيها
عن البلدان والممالك ونسبة بعض اقسام سطح الارض الى بعض ويتنوع من هذين
القسمين فروع ومباحث كثيرة نذكر منها في كتابنا هذا ما مست الحاجة اليه
او كان من غرضنا فنقول اجمع علماء هذا الفن متقدمهم ومتأخرهم على ان شكل
الارض كروي وانها مغمورة بعنصر الماء كانها عنبة طافية عليه وانه انحسر عن نحو
النصف منها في شكل دائرة احاط الماء بها من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر
المحيط ويسمى اوقيانوس ثم ان هذا المنكشف من الارض خلاء في الزمن
عمرانه فالمعمور منه مقدار ربعه ينقسم الى سبعة اقاليم كل اقليم ينقسم في
طوله من الغرب الى الشرق الى عشرة اجزاء متساوية وكل جزء يشتمل على
بلدان وامصار وجبال وانهار ومسافات بينها في المسالك وابتدأ بطليموس
في اخذ اطوال الاقليم الاول من الغرب الى الشرق من الجزائر الخالدات السبع وتسمى
جزائر السعادات ولهذا العهد تسمى كناريا وهي تقابل شطوط المغرب لجهة
الجنوب ومنها جزيرتان في غربي سلا قال المقري في نفح الطيب تلوح للناظر في اليوم (سجنه)

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

العاصي الخالي العموم الا الجزرة الكشيعة وفيه اصنام على امثال الادميين تشير
ان لا عبور وراءها انتهى هذا الذي كان مقررا عند الحكماء الافرنجيين واقتفوا اثارهم
فيه من غابر اعصارهم ثم تلاشى هذا العلم وركد ريحه منذ انقرض امر اليونان
وحاز الامر القياصرة فاشتغلوا بدين النصرانية وهجروا هذا العلم وغيره من
علوم الافرنجيين وبقيت في صحفها ودواوينها بخزائنهم ثم لما جاء الاسلام واستولى
اهله على بلاد فارس واكثر بلاد الروم واخذوا في اسباب الحضارة والتمدن وتبحروا
في الصنائع والعلوم وسمعوا من الاساقفة والاقسة المعاهدين بذكر بعض
هذه العلوم الحكمية تشوقت نفوسهم الى الاطلاع عليها فبعث ابو جعفر
المنصور العباسي الى ملك الروم ان يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه
ببعضها ثم جاء المأمون من بعده وكانت له الرغبة النامية في العلم والحرص الشديد
على تحصيله فاوفد على ملك الروم جماعة ورغب اليه في استخراج علوم اليونانيين
وانتساخها بالخط العربي فلما وصلت اليه جمع علماء الملة الاسلامية عليها
واعتنى بتحقيقها واستخراج فوائدها فاوعى من تلك العلوم واستوعب
ما شاء وكان من اهمها علم الجغرافية فتشوقت نفسه الى الاستكشاف على
المعمور والاطلاع على نواحيه والوقوف على اطرافه ~~فحيث وجد فيها وراءه~~ وما كان عنه
~~خفية فيها فرضية الى ان ركبه اهل البحر~~ وجود ارض خارجة عن هذا المعمور
فارسل جماعة الى الجهة الشرقية فوصلوا الى اخر تخوم بلاد الصين ووصلوا الى الجبال جبل مونفيا
التي فيها طلسم في الغربي ورجعوا اليه باخبار تلك النواحي والاطراف وانهم لم
يعثروا على حوض البحر المحيط من تلك الجهة وان اهل تلك الاطراف لا علم لهم بهذه الارض
المخبر عنها وارسل جماعة ويعرفون بالاخوة الى الجهة الغربية فوصلوا الى مملكة البرتوكال
في شمال الاندلس اخر المعمور واقلعوا من مرسى لشبونة وساروا في البحر المحيط

الى

عامرة ومجالسهم بفنون العلم وانواع المعارف زاهرة ذلك تقدير العزيز العليم

ذكر اولية عمران العرب ومن عمره من البشر

اعلم ان الله سبحانه وتعالى لما اهبط ادم الى الارض عمرها به وبنسله فهو الاب الاول للخليقة على الاطلاق انبث بنوه في نواحي الارض وجهاتها وتناسلوا فيها احقابا متطاولة واجيالا متعاقبة الى زمن نوح عليه السلام وكانت ولادته سنة اثنتين واربعين وستمائة والف للهبوط وكان في تلك الاجيال ملوك ودول وملل متباينة ونحل وكان فيهم انبياء ورسل اخرهم نوح عليه السلام ارسله الله تعالى الى قومه يدعوهم الى عبادة الله وحده ... فلم يستجيبوا اليه الا عدد قليل منهم كما نص عليه القران العظيم ووقع في التوراة مثله ولما اعياه تعنتهم وتماديهم على كفرهم ... منهم دعا عليهم بامر من الله تعالى فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاستجاب الله دعاءه وارسل عليهم الطوفان فاغرقهم وذهب بعمران الارض اجمع وكان ذلك بعد مضي الفين ومائتين واثنتين واربعين سنة للهبوط باتفاق المورخين ولم ينج من الغرق من ساير بني ادم سوى نوح عليه السلام ومن امره الله تعالى بحمله معه في السفينة من اهله وولده واتباعه الذين امنوا به وهم ثمانون نفسا وقيل ستة على خلاف في ذلك ثم مات هولاء المومنون ولم يعقبوا فصار جميع اهل الارض من نسل نوح عليه السلام قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وصار نوح عليه السلام ابا ثانيا للخليقة واتفق المفسرون والنسابون على ان اولاد نوح عليه السلام الذين تفرعت الامم منهم ثلاثة سام وحام ويافث وقد وقع ذكرهم في التوراة واتفقوا على ان سام ابو العرب والفرس والروم

ويافث ابو الترك والصقالبة وياجوج وماجوج وحام ابو القبط والسودان والبربر
ونقله عن ابن المسيب ووهب بن منبه ولما افترق بنو نوح صار لولد سام العراق
وفارس وما يلي ذلك الى الهند وصار لولد حام الجنوب مما يلي مصر على النيل وانتشروا
في جهات المغرب الى اقصاه وصار لولد يافث مما يلي بحر الخزر الى الصين وكانت
شعوب اولاد نوح الثلاثة عند تبلبل الالسنة اثنين وسبعين شعبا واتفق
المورخون على ان اول عمار المغرب بعد الطوفان كان بالجيل المعروف بالبربر بعد
الذين عمروه من البشر واستوطنوه ثم اختلفوا في اوليته ولذا اضطربت اقوالهم
وتباينت انقالهم وجميع ما ذكروه لا تحقيق فيه ولا حاجة تدعوا اليه وافريقش
الحميري الذي يزعمون انه نقلهم من مواطنهم في الشام وساقهم الى افريقية بعد ان غلبهم
يوشع عليه السلام واثخن فيهم ذكروا انه وجدهم فيها وانه الذي سماهم
بربر حين سمع رطانتهم وهكذا اذا تتبعت ومن تتبع اقوالهم في شان البربر واوليتهم
في المغرب تجدها ترجيحا متناقضة بعيدة عن الصواب وغاية ما يقال في شانهم
انهم من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام استوطنوا المغرب وتناسلوا
فيه منذ احقاب واجيال متطاولة قبل الاسلام لا يعلم مبدا ذلك الا الله
تعالى وقد سمعت في انه ان ولد حام عند تقسيم الارض بينهم وبين بني عمهم
صار لهم الجنوب مما يلي مصر على النيل الى منتهى المغرب الاقصى واحتوائهم من
السودان والزنج والحبشة لم تزل احيائهم تتوسع من مواطنهم خلفا عن سلف الى بعضنا هذا

[illegible]

واما اطلاق اسم افريقية على تلك القطر المعروف بحدوده عند ساكنيه المغرب
[illegible] الاعجمي مذبا وحديثا فكل من نقل حكاية افريقش الواهية التي هي من الاكاذيب
[illegible] اليمن يزعم ان باسمه سميت افريقية مع ان هذا لا اصل له
ولا دليل يعضده ولا قياس يقبل الحكاية بزعم اصلها راسا ولا يبعد ان يكون
المنتهى المغرب الاقصى [illegible]
عند الاوفيانوس غربا وهولاء البربر مقابلون لهم في ارياف المغرب على خط الاقليم الثالث من حدود مصر مما يلي برقة
الى منتهى المغرب الاقصى فاني لا داعي الى ارتكاب حكاية نقلهم من الشام الى المغرب والرحل ما عرف الرجال بالحق لا من
عرف الحق بالرجال فلا داعي الى [illegible] منذ ابن الكلبي والسعودي [illegible] من علماء الاسلام نقل هذه الحكاية

64

من اصل الانتجاع ومعاشهم في نتاج الابل وقطع السابلة ولباسهم واكثر اثاثهم
من الصوف ولغتهم من الرطانة الاعجمية متميزة بنوعها عن سائر رطانة العجم
ثم اختص كل شعب منهم برطانة ممتازة عن غيرها متحدة الاصول مختلفة الفروع
ومن راسم الى زناتة منهم كما ذكره المحقق ابن حزم في كتاب الجمهرة ثم اطلق على الامة كلها
واما حكاية افريقش بن صيفي [illegible] غزى المغرب من اليمن واليه تنسب افريقية والذي
[illegible] العلامة المحقق ابن خلدون [illegible] فالحقيقة [illegible]
لكن نقل بتحقيقها كل عاقل منصف وتسمية ذلك القطر بهذا الاسم لا يبعد
ان يكون من قبيل ما هو جار معروف في العالم كله من تسمية المواضع والاقطار
لتمييز بعضها عن بعض وبني على ذلك فوائد تدعو الحاجة اليها في كثير من
المسائل الشرعية والسياسية كما هو معلوم لاهل الخبرة او يكون منسوبا
الى بعض من استوطنه من ملوك البربر او تغلب عليه من ملوك الافرنج الاقدمين
من اجيال متطاولة ولهم مجاورات الشهيرة من جهة تواطئ الاسماء كما يتفق الى
كثير منها فجل المورخين يجعلون النسبة الى افريقش بن صيفي من التبابعة
ملوك اليمن وكان لعهد موسى عليه السلام وذكر الكلبي في تاريخه ان حميرا بنا
القبائل اليمانية ملك المغرب مائة سنة وانه الذي ابتنى افريقية وغلبه
وغيرها من مدن المغرب فعلى هذا يكون اسم افريقية لمدينة في ذلك القطر العربي
المغرب كله وذكر السعودي ايضا [illegible] بالجملة والحق ان اطلاق هذا الاسم على ذلك
القطر لا يعرف له اول فلا تشتغل فكرك باقوال المورخين في ذلك والله تعالى اعلم

الفصل الثالث في نسب البربر وذكر شعوبهم على وجه الايجاز

اعلم ان المحققين من النسابين متفقون على ان هذا الجيل [illegible] اهلا
وهما بنس وماذغيس ويلقب بالابتر فيقال لشعوبه البتر كما يقال لشعوب [illegible]

[illegible]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما

عامرة ومجالسهم بفنون العلم وانواع المعارف زاهرة ذلك تقدير العزيز العليم

الفصل الثاني من المقدمة في اول من عمر المغرب من البشر

اعلم ان الاب الاول لهذا النوع البشري هو ادم عليه السلام وان عمران الارض كان بنسله اجيالا بعد اجيال متعاقبة الى عهد نوح عليه السلام فارسل الله الطوفان بدعائه فذهب بعمران الارض اجمع وامسى المعمور خرابا ثم مات الذين كانوا معه عليه السلام في السفينة وهم الذين امنوا به ولم يعقبوا فصار جميع اهل الارض من نسله وصار ابا ثانيا للخليقة واتفق النسابون والمفسرون على ان اولاد نوح الذين تفرعت الامم منهم وانتشرت في جميع اقطار الارض ثلاثة سام وحام ويافث وقد وقع ذكرهم في التوراة وخرج الطبري في ذلك احاديث مرفوعة واتفقوا على ان سام ابو العرب والفرس والروم ويافث ابو الترك والصقالبة وياجوج وماجوج وحام ابو القبط والسودان والبربر وان البربر هم اول من عمر المغرب واستوطنه اصلهم من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام رحلوا من مواطنهم في الشام وارادوا مصر فصدتهم ملوكها فعبروا النيل الى برقة ونواحيها ثم انتشروا منها في بلاد المغرب وفيها عرفوا بالبربر فملكوا البسائط والجبال من تلول المغرب وارياقه من حدود مصر الى البحر المحيط فيما وراء سوس الاقصى ومصروا الامصار واغترسوا الرياض وانواع الاشجار واكثرهم يظعنون لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة الى اطراف الريف ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل وفي الغالب يتخذون الخيل للركوب وللنتاج معا وربما كانت الابل من مكاسب اهل النجعة منهم كما هو شان العرب والمستضعفون منهم يتعيشون بالفلاحة وداجن السائمة واما العزة

كغيرهم مبدأ الكل مجهول لا يعلمه الا الله

وكانوا اهتم بعهد البلخ الخرفس من شعار العرب بالكثير وكسب الشاه والبقر والخيل والابل واكثرهم يظعنون والنجعة لانتجاع المراعي والمستضعفون منهم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

عامرة ومجالسهم بالاذكار وانواع العلوم زاهرة ذلك تقدير العزيز العليم وتصيير الرب القدير الحكيم وبعد هذا فاعلم ان المؤرخين الاسلاميين وغيرهم اختلفت اقوالهم وتباينت انظارهم في اول من سكن المغرب وعمره من هذا النوع البشري ونحن في تاليفنا هذا اقتصرنا على ما نقله العلامة ابن خلدون الحضرمي في تاريخه الكبير وذو الوزارتين ابن الخطيب في رقم الحلل لتقدمهما في مضمار هذا الفن واحرازهما قصب السبق فيه ولسلوكهما مسلك التحقيق في النقل وتحري كل منهما فيما يرويه او يريد فملخص ما ذكراه ان اهل المغرب الذين عمروه واستوطنوه في القديم هم اخلاط من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام رحلوا اليه من مواطنهم في الشام وارادوا مصر فاجلتهم ملوكها فعبروا النيل وانتشروا في بلاد المغرب وفيها عرفوا بالبربر وملكوا البسائط والجبال وعمروا تلوله وارياقه وضواحيه ومصروا الامصار واغترسوا الرياض والاشجار واكثرهم يظعنون لانتجاع المراعي اذ كانوا اهل مواشي كثيرة ولا يتجاوزون برحلتهم الريف واكثر مواشيهم الشاء والبقر والخيل ويتخذونها للركوب وللنتاج ولهم اعتناء كثير بتربية الابل والمستضعفون منهم شانهم الفلاحة ويتخذون دواجن السائمة واكثر لباسهم واثاثهم من الصوف وتراهم يشتملون الصماء بالاكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس البيض والسود وروؤسهم في الغالب حاسرة وربما يتعاهدونها بالحلق ولغتهم من الرطانة الاعجمية متميزة بنوعها وهي التي اختصوا من اجلها بهذا الاسم فيقال ان افريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة هو الذي غزى المغرب وافريقية واستولى عليهما وبنى المدن والامصار فيهما وباسمه

٦٤

وقالوا البدء في تلك الاقوال العربية والروايات التاريخية

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

سميت تلك النواحي افريقية لما راوا هذا الجيل من الاعاجم وسمعوا رطانتهم
ووعوا اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال ما اكثر بربرتكم فسموا بالبربر والبربرة
بلسان العرب هي اختلاط الاصوات الغير المفهومة ومنه يقال تبربر الاسد اذا زأر
بالصوت الغير مفهوم واما شعوبهم وبطونهم فان المحققين من علماء النسب متفقون
على انهم ان هذا الجيل يجمعهم اصلان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب بالابتر
فيقال لشعوبه البتر كما يقال لشعوب برنس البرانس ومنازلهم الاولى فلسطين
من الشام اخرجهم منها بعض ملوك فارس فلما وصلوا الى مصر ارادوا ملوكها
من الاقامة فيها كما مر وهم قبايل كثيرة وشعوب جمة منها كتامة وبلادهم جبال
المغرب الاوسط وهم الذين اقاموا دولة الفاطميين مع ابي عبد الله الشيعي ومنها
صنهاجة ومنهم ملوك افريقية بنو بلكين بن زيري ومنها زناتة ومنهم ملوك فاس
وتلمسان وسجلماسة ومنها المصامدة وهم الذين قاموا بنصرة المهدي ابن تومرت
ومنهم ملك عبد المومن وبنوه بلاد المغرب وانفصلت من المصامدة قبيلة هنتاتة
ومنهم بنو ابي حفص عبد الواحد ملوك افريقية وسياتي الكلام على هؤلاء الملوك
من البربر اجمالا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الموحدين الى ان انقرضت دولة المرابطين في سنة اثنتين واربعين وخمسمائة وصفا الامر للموحدين
فاستولوا على ملك المغرب كله واستمروا بعد ذلك في اتساع الملك واجتماع الكلمة من لدن كانت ايام عبد المومن الى ايام عبد الواحد بن يوسف
ابن يعقوب المنصور بن عبد المومن المتوفى غريقا فاختلفت الكلمة عليهم ولم يخطب لهم بافريقية
ولا بالمغرب الاوسط وكان ضعيف الهمة وكان يمنعه من التصرف والقتل على الله انه بعد ان استولى
وتناقص وقام عليهم بنو مرين فتشتت رايهم وركدت ريحهم واذنت بالانقراض دولتهم
وكان اخرهم الواثق ابو دبوس فقتله بنو مرين سنة ثمان وستين وستمائة وانقرضت
دولة الموحدين واستولى بنو مرين على ملكهم واستقلوا بملك المغرب وخلا لهم الجو

واستمروا بعد ذلك في اتساع رايهم واجتماع كلمتهم وشعوذ كلمتهم امرا واتساع ملكهم في المغربين
وافريقية والاندلس الى ان قام عليهم بنو مرين

الموحدين عبد الواحد بن الامين فتوفي وبايع مرين واخذ امر الموحدين في الضعف بعد ان استولى الامر فاستبد امر بني مرين بها واعدائه بنو زيان يتقدمون في اطراف المملكة الاوسطى فانقطعت الخطبة لعبد الواحد المذكور من افريقية والمغرب الاوسط وانقسمت مات غريقا ولم يزل امر الموحدين في الضعف والامر عندهم يتزايد ضعفا الى انقراض دولتهم

٦٥

الحمد لله [illegible] الشيخ سيدي [illegible] محمد [illegible]

عامرة ومجالسهم بفنون العلم وانواع المعارف زاهرة ذلك تقدير العزيز العليم

الفصل الثاني من المقدمة في اول من عمر المغرب من البشر

اعلم ان الاب الاول لهذا النوع البشري هو ادم عليه السلام وان عمران الارض كان بنسله اجيالا بعد اجيال متعاقبة الى ان ارسل الله الطوفان لعهد نوح عليه السلام بدعائه فذهب الطوفان بعمران الارض اجمع ثم مات الذين كانوا معه في السفينة وهم المؤمنون به ولم يعقبوا فصار جميع اهل الارض من نسله وصار ابا ثانيا للخليقة واتفق النسابون والمعبرون على ان اولاد نوح الذين تفرعت الامم منهم وانتشرت في جميع اقطار الارض ثلاثة سام وحام ويافث وقد وقع ذكرهم في التوراة وخرج الطبري في ذلك احاديث مرفوعة واتفقوا على ان سام ابو العرب والفرس والروم ويافث ابو الترك والصقالبة وياجوج وماجوج وحام ابو القبط والسودان والبربر وان البربر هم اول من عمر المغرب واستوطنه

عمران مبدأ ذلك مجهول لا يعلمه الا الله اصلهم من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام رحلوا من مواطنهم في الشام واراد وا مصر فصدهم ملوكها فعبروا النيل الى برقة ونواحيها ثم انتشروا منها في بلاد المغرب ومواطنه

[illegible] وجميع ما ذكر البربر [illegible] استوطنوا المغرب وتناسلوا فيه حتى ملؤوا [illegible] منذ احقاب متطاولة

ملؤوا البسائط والجبال من تلوله وارياقه من حدود مصر المغرب شرقا الى البحر المحيط فيما وراء سوس غربا ومصروا الامصار واغترسوا الرباع والاشجار والكثير منهم يظعنون لانتجاع المراعي ولا يتجاوزون الارياف الى القفر ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل وفي الغالب يتخذون الخيل للركوب وللنتاج وربما كانت الابل من مكاسب اهل النجعة منهم كشأن العرب والمستضعفين

[illegible] من المكبرهم [illegible] عبادة الاوثان يا [illegible] الطوفان

[illegible] من الخلق [illegible] عليهم ولا حاجة اليه [illegible] وابن خلدون [illegible] الشرق في الشام وسائر [illegible] بعد ان [illegible] نوح عليه السلام ذكروا [illegible] من كثرتهم [illegible] [illegible] وهكذا اذا [illegible] [illegible] بشأن البربر واوليتهم [illegible] فهم [illegible] عن الصواب [illegible] عارية [illegible]

[illegible]

الحمد لله حمداً ... وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

منهم يتعيشون بالفلاحة ودواجن السائمة واما المعتزون من اهل الانتجاع
فمعاشهم في نتاج الابل وقطع السابلة ولباسهم واكثر اثاثهم من الصوف ولغتهم
من الرطانة الاعجمية متميزة بنوعها عن سائر رطانة العجم ثم اختص كل شعب منهم
برطانة ممتازة عن غيرها ولم يزل امرهم على ذلك الى هذا العهد ومن اسمائهم زناتة
منهم كما ذكره المحقق ابن حزم ثم اطلق على الامة كلها واما ما ذكره المورخون من ان
افريقش بن صيفي الحميري غزا المغرب من اليمن واليه تنسب افريقية وانه هو الذي
سمى البربر بهذا الاسم عندما سمع رطانتهم فقد انكره العلامة المحقق ابن خلدون
ورده بما يسلمه كل عاقل منصف ولا يلتفت الى ناقليه من العلماء كابن الكلبي
والمسعودي والطبري وغيرهم فلنتبعهم لانهم لم يمحصوا صحة ما نقلوه فيها
وانما كان اعتمادهم فيها على مجرد النقل من كتب من تقدمهم من المورخين
من غير بحث ولا روية ومما يؤيد ان هذه الحكاية من الحكايات الواهية
انهم نقلوا ان افريقش هو الذي ساق البربر الى المغرب من ارض كنعان في الشام
مرتهم حين غلبهم يوشع عليه السلام واثخن فيهم فاحتمل الكل منهم وساقهم
الى افريقية فانزلهم بها فانظر هذا مع ما تقدم من انهم قالوا اولا ان افريقش هو
الذي سماهم بهذا الاسم بعد ان غزاهم وهم في مواطنهم من المغرب حين سمع رطانتهم
ثم قالوا ثانيا انه هو الذي ساقهم من الشام فيتضح لك ما قلناه من عدم التروي في النقل
ولا يبعد ان يكون اطلاق اسم افريقية على ذلك القطر من قبيل ما هو جار في العالم كله
من التسمية للمواطن والاقطار ليتميز بعضها عن بعض او يكون منسوبا الى او ينسب
النسبة الى بعض من استولى عليه او استوطنه من ملوك البربر بعد افريقش او من تغلب عليه
من ملوك الافرنج الاقدمين من اجيال متطاولة فحدثت النسبة من جهة تواطؤ الاسماء

واما تسمية اطلاق اسم افريقية على ذلك القطر المعروف فلا يبعد ان يكون من اوضاع اهله من البربر الذين استوطنوه في غابر الدهور كما هو جار في اقطار العالم بعد وضع الاسماء ... من اهله الذين سكنوه في غابر الدهور على ما هو

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله

عامرة ومجالسهم بفنون العلم وانواع المعارف زاهرة ذلك تقدير العزيز العليم

الفصل الثاني من المقدمة في ذكر من عمر المغرب من البشر

اعلم ان الاب الاول لهذا النوع البشري هو ادم عليه السلام فبنسله
عمرت الارض اجيالا بعد اجيال متطاولة متعاقبة وكان فيهم انبياء
ورسل وملوك ودول وملل متعددة ونحل الى عصر نوح عليه السلام وكانت
ولادته لمضي الف وستمائة واثنتين واربعين سنة من هبوط ادم عليه السلام
ارسله الله تعالى الى قومه وكانوا عبدة اوثان فاقام فيهم يدعوهم الى الله
سبحانه الف سنة الا خمسين عاما كما في المصحف الكريم وهكذا يفيده ما
في التوراة فلما اعياه تعنتهم وتمادوا على كفرهم شكاهم الى الله تعالى فاوحى
اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن فايس منهم ودعا عليهم فجاء الطوفان
فاخذهم وذهب بعمران الارض اجمع وكان ذلك بعد مضي الفين ومائتين
واثنتين واربعين سنة للهبوط ولم ينج من الطوفان من بني ادم سوى
نوح عليه السلام ومن امره الله تعالى بحمله معه في السفينة من اهله وولده
ومن امن به من قومه ثم مات هؤلاء المومنون ولم يعقبوا فصار جميع اهل الارض
من بعد الطوفان من نسله وصار ابا ثانيا للخليقة واتفق النسابون
والمورخون على ان اولاد نوح الذين تفرعت الامم منهم وانتشروا في اقطار
الارض ثلاثة سام وحام ويافث وقد وقع ذكرهم في التوراة وخرج
الطبري في ذلك احاديث مرفوعة واتفقوا على ان سام ابو العرب والفرس
والروم ويافث ابو الترك والصقالبة وياجوج وماجوج وحام ابو القبط
والسودان والبربر وان البربر هم اول من عمر المغرب واستوطنه ثم
اختلفوا في اولية ذلك واضطربت فيه اقوالهم وتباينت انقالهم

[illegible] حكاية [illegible]

وجميع ما ذكروه في ذلك لا تحقيق فيه ولا حاجة تدعو اليه وافريقش بن صيفي الحميري
الذي يزعمون انه نقلهم من مواطنهم في الشام وساقهم الى افريقية بعد ان غلبهم يوشع عليه
البربر وسماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ما [illegible] البربر
السلام ذكروا انه وجدهم فيها وانه تعجب من رطانتهم وقال ما اكثر بربرتكم وسماهم
بربر وهكذا تجد في الجملة [illegible] في جميع ما نقلوه في شأن البربر واولينهم
وعاداته [illegible] ويقول عنه
بالمغرب [illegible] الذي لا يعول [illegible] انهم من بني كنعان بن حام بن نوح عليه
السلام استوطنوا المغرب وتناسلوا فيه منذ احقابه واجيال متطاولة قبل
الاسلام وكثرت فيه بطونهم وتعددت قبائلهم وشعوبهم [illegible] اطلاق اسم افريقية
على ذلك القطر المعروف بحدوده عند ساكني المغرب فلا يبعد ان يكون من اوضاع اهله
الذين استوطنوه في غابر الدهر على ما هو جار عند اهل المعمور كلهم من وضع الاسماء
للمواضع والاقطار والممالك والقارات او يكون هذه النسبة الى [illegible]
سكنه او استولى عليه من الملوك الافرنجيين البرابرة او تغلب عليه من الافرنج الافريقي
يسمى بهذا الاسم فجاءت الشبهة من جهة تواطئ الاسماء فيما يجال المؤرخين فجعلوا
النسبة الى افريقش بن صيفي الحميري لكونه كان من اعظم الملوك واشهرها
ولا تغتر بكون الحكاية بطولها [illegible] نقلها الافاضل من حملة المؤرخين كابن الكلبي
والمسعودي والطبري وغيرهم و

وانتسبوا او [illegible] الى [illegible]

فلعل من نقل حكاية افريقش التي ذكرناها [illegible] السلام [illegible] والحكاية من اصلها واصيبه [illegible] فيها [illegible] نقلها [illegible] ما يسمعه من الاخبار [illegible] الفرانين [illegible] كما يجمعه [illegible] بالغرائب مع التساهل والعجلة [illegible] عن البحث والتروي

واسمه عبد الغفار ولد [illegible]

منهم نوح واهله
فيقال كانوا ستة وعشرين رجال ونسائهم وقيل جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم
رجال ونصفهم نساء
وكانت السفينة باجماع العرب والمؤرخين ثلاث طبقات طبقة للانس وطبقة
للوحوش والدواب وطبقة للطير

وذكر العربي رحمه الله [illegible] ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة

ان البربر كانوا
فلا يبعد ان [illegible] البربر مع اخوانهم السودان في اول ما [illegible] نواحي [illegible] النيل
ثم اوغل السودان في الجنوب الى حيث امهم وشعوبهم التي [illegible] الى الآن
واختص البربر [illegible] البربر الى نواحي برقة واستقروا [illegible] الى [illegible] في
مواطن المغرب في ايام العرب من اطراف البحر [illegible] كما سيأتي [illegible]
[illegible] ان شاء الله [illegible] حسبما نذكره ان شاء الله تعالى

الحمد لله ... وعلى الاصل ... وصحبه وسلم

ومن شاهد آثارهم وما شيدوه من الحصون والمعاقل والامصار وطالع اخبارهم ودرس
وسيرهم علم ان هذا الجيل من الخليقة مرهوب جانبهم شديد بأسهم كثير جمعهم وأعدادهم
فهم قد ساموا امم العالم [illegible] من العرب والفرس واليونان والروم اجيالا (عصورا) كثيرة ودهورا عديدة
غير ان جبلتهم وعزة الملك ثم تتابع الدول فيهم وعليهم عاقبتهم الى التلاشي بعصبيتهم
وفناء قوة مشاهيرهم وذهاب الملك والدولة عنهم واستوسق [illegible] لا يذكرون بين الامم (وصاروا عبيدا للجباية وحوامل الغرام)
بل صاروا [illegible] بالسهام [illegible] الجباية وغيرها من المظالم وقد اعتنى المحققون (الفحول)
من المورخين بذكر سيرهم وتدوين اخبارهم فملؤوا كتبهم بنقل ما كانوا عليه من الاخلاق
الحميدة والمزايا العديدة وما اشتهروا به من عز الجوار وحماية النزيل ورعاية الذمة
والوفاء بالعهد وصدق القول والصبر على المكاره والثبات في الشدائد وجودة الكلم
والاغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ورحمة المسكين والبر بالكبير والشفقة
على الصغير وتوقير اهل العلم وحمل الكل وكسب المعدوم وقرى الضيف والاعانة
على النوائب وعلو الهمم واباية الضيم والشقاق مع الدول ومقارعة الخطوب والتغلب
على الملك وبيع النفوس في نصرة الدين فهذه الخلال وامثالها هي التي اكسبتهم
المدح والثناء من الخلق ونقلها عنهم الاخباريون خلفا عن سلف ودونت فيها
الدواوين وكان من مشاهيرهم بعد تمسكهم بدين الاسلام من الطبقة الاولى بلكين
بالباء الموحدة بن زيري الصنهاجي عامل ابي عبيد الله العبيديين ومحمد بن خزر
وعروبة بن يوسف الكتامي القائم بدعوة عبيد الله الشيعي وعبد المومن بن علي
رئيس [illegible] الموحدين ومن الطبقة الثانية يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين ويغمراسن
ابن زيان سلطان بني عبد الواد ومحمد بن عبد القوي صاحب تاهرت ووزمار امير بني
تجين وثابت بن منديل امير مغراوة وزيان بن ابراهيم زعيم بني راشد فهؤلاء
كانوا من ارسخهم في تلك الخلال الحميدة قدما واطولهم فيها يدا واكثرهم لها جمعا

اذ تهم [illegible]

كما سيأتي بعد تمكن الاسلام فيهم على احكام [illegible] ثم

ويوسف بن تاشفين اللمتوني

الى ديارها وهو السيل من [illegible]

في مواطنهم الاولى ثم انقرضوا فتوغل السودان في الجنوب الى حيث انتهى شعوبهم لهذا العهد وانحدر البربر الى برقة ونواحيها ثم توغلوا في المغرب بجهة الشمال الى اقصى المغرب وبقي القبط في منازلهم القديمة من مصر وهذا الذي تشهد له الغرائب والمواطن وبقي ما ذكره ابن سعيد في اخبار القبط ان شداد بن بداد بن هداد ابن شداد بن عاد حارب القبط وغلب على اسافل مصر وبنى بها جنيفة مدينة مذكورة في التوراة يقال لها اون ثم هلك في حروبهم وجمع القبط اخوانهم من البربر والسودان واخرجوا العرب من ملك مصر واما اطلاق اسم افريقية على ذلك القطر المعروف لجدوده عند ساكني المغرب وغيرهم مثل من نقل حكاية افريقش التي هي من اكاذيب مورخي اليمن يزعم ان باسمه سميت افريقية ولا دليل لهم على هذا التعيين ومن الممكن ان يكون هذا الاسم من اوضاع اهل ذلك القطر من البربر الذين استوطنوه في غابر الدهر او نسب الى بعض الملوك منهم او من المتغلبين عليهم من الامم اسمه افريقش او ما يقرب منه فجاءت الشبهة من جهة تواطئ الاسماء فجعلوا النسبة الى افريقش وخصصوه به لشهرته والله اعلم

ذكر نسب البربر وتلخيص القول فيه

اعلم ان النسابين اختلفوا في نسب البربر اختلافا كثيرا وعثروا فيه بما يصعب استقصاؤه والذي عليه التعويل عند المحققين منهم كابن حزم وابن خلدون انهم من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ثم اتفقوا على ان شعوبهم وبطونهم يجمعهم اصلان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب بالابتر فيقال لشعوبه البتر كما يقال لشعوب برنس البرانس وهما على الاصح اخوان لاب واحد وهو بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام بالعلو على الجميع اسم ابيهم بربر واما حكاية افريقش بغير صحة ما فيها ولا يعتبر

والحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

وجود وصار كتب مشاهير المؤرخين والعلماء فانهم رحمهم الله لم يلتزموا التحقيق
ولا ضبطوا الموثوق به حتى يعتمد عليه واعلم ان شعوب البرانس من البربر يجمعهم
سبعة اصول وهي ازداجة ومصمودة واوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة واوريغة
واما شعوب البتر فيجمعهم اربعة اصول وهم اداسة ونفوسة وضريسة ولوا
الاكبر وما ذكروه من كتامة وصنهاجة من انهم من حمير فقد انكره ابن خلدون واستبعده
تبعا لابن حزم في كتاب الجمهرة وجعلوا انهما من شعوب البربر وانه لا يلتفت الى ما ذكره
نسابتهم في ذلك والكلام على جميع الشعوب التي سردناها وما تناسل منها طويل
الذيل مديد السيل ابدع علماء هذا الفن بالتأليف فجمعوا منه مجلدات وجميع
ما ذكروه هو غاية ما وصل اليه علمهم والا فاحصاء امم البربر واجيالهم غير ممكن
لتطاول الاحقاب ودروس اخبارهم وقد نزل بلاد المغرب من اقصى سوس الى الاسكندرية
وما بين بحر الروم والسودان عامرة بهم منذ الاحقاب لا يعرف اولها ولا ما قبلها وكان
دينهم قبل الاسلام دين المجوسية كشأن الاعاجم شرقا وغربا وفي بعض الازمنة
يدينون بدين من تغلب عليهم كالروم والافرنج واكثر البربر اخذوا بشعار العرب
في سكنى الخيام والرحلة لانتجاع المراعي فيما قرب من اطراف الريف واتخاذ الخيل للركوب
والانعام للكسب يقومون عليها ويقتاتون من البانها ويتخذون البستهم واثاثهم
من اصوافها واوبارها يشتملون بالاكسية ويفرغون عليها البرانس ويعتنون بالعمائم
يلبسون منها الكبيرة والاخضر قبل لبسها ثم يلتفون بها تحت اذقانهم من بعضها
ومنهم الشاوية اهل الشاء والبقر كما كان معاشهم بها ~~ومنهم من يتخذ الخيل للركوب~~
والنتاج وارض هذه الشعابر ذا ما يتغلبون في المجالات باراض الحر والبرد وانتجاعا
لمراعي انعامهم الكثيرة بعاشهم وحمل اثقالهم ويشبهم ... يستانزلون
حللا ودوا وبر متعرفة واكثرهم يبتغي الرزق من افتناص الصيد والنهب والاختطاف

وغيرهم

وتداول الازمنة

والنتاج

ورؤوسهم في الغالب حاسرة
وربما يتعاهدونها بالحلق
وذؤابة منهم

الحمد لله حقا وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

عامرة ومجالسهم بفنون العلم زاهرة ذلك تقدير العزيز العليم لا اله غيره
فصل في اولية من عمران المغرب ومن عمره من البشر وذكر من اوطنه من دول الاشراف والعرب والبربر
اعلم ان هذا الاقليم منذ دخل في حيز المعمور والبشر تتعاقب فيه تعاقب السنين والشهور
بما هنالك لاهله روعة ولا طابت لهم فيه هجعة ولا خيم بساحتهم امن ولا بارقهم روع
ولا انعطف عليهم وحش ولا خلا لهم زمان من قراع الكتائب ولا صفا لهم وقت من كدر النوائب
ولله الامر من قبل ومن بعد ثم اعلم ان المؤرخين الاسلاميين وغيرهم قد اختلفت
اقوالهم وتباينت انقالهم في اول من عمر المغرب واستوطنه من هذا النوع البشري ع
ونحن في ذا البعض نصادفوا اقتصرنا على ملخص ما نقله المحققون منهم وهو ان اهل المغرب
الذين عمروه واستوطنوه في القديم هم اخلاط من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام
رحلوا من مواطنهم في الشام وارادوا مصر فاجلتهم ملوكها عنه فعبروا النيل الى برقة
ومنها انتشروا في بلاد المغرب وفيها عرفوا بالبربر وملكوا البسائط والجبال وسكنوا
الامصار واغترسوا الرباع والاشجار واكثرهم ينتفعون لانتجاع المراعي اذ كانوا
اهل مواشي اكثرها الشاء والبقر والابل والخيل والمستضعفون منهم شأنهم الفلاحة
ويتخذون دواجن السائمة واكثر لباسهم واثاثهم من الصوف ويشتملون الاكسية
المعلمة ويفرغون عليها البرانس البيض والسود ورؤوسهم في الغالب حاسرة
وربما يتعاهدونها بالحلق ولغتهم من الرطانة الاعجمية متميزة من بين الرطانات
ومن اجلها قيل لهم البربر وقيل ان بعض اسلافهم اسمه بر فسموا جميعا باسمه
كما هو معروف ومسموع في اكثر اسماء القبائل والشعوب يطلق عليها اسم اب
مشهور من آبائها ويصير علما عليها واما حكاية افريقش بن صيفي وانه هو الذي
سماهم بهذا الاسم فمما لا يلتفت اليه ولا يصوبه عاقل منصف كما ذكره ابن خلدون
لان افريقش هذا من اعظم الملوك التبابعة ملوك اليمن غزا المغرب من اليمن والحجاز

غزى المغرب ونحبه البربر
افريقية وهرانا

منها بجهة الشمال لمتونة وساير طوايف الملثمين من البربر وفي جنوب هذا النيل قوم من السودان كفار يعبدون الشمس ومن دأب أهل غانة والتكرور شن الغارات عليهم فيسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم إلى المغرب منهم وليس وراء هؤلاء الكفار في الجنوب عمران يعتد به إلا قوم أحوالهم كأحوال الحيوانات العجم يسكنون الكهوف والغياض ويأكلون العشب وربما أكل بعضهم بعضا وأما الإقليم الثاني فهو متصل بالأول من جهة الشمال وفي الجزء الأول والثاني منه في الجانب الأعلى منهما أرض قمورية وفي الجانب الأسفل منهما صحراء نيسر متصلة من المغرب إلى المشرق ذات مفاوز يسلكها تجار المغرب إلى السودان وفيها مجالات الملثمين من البربر على سمت هذه المفاوز أرض جازان ثم يليه الإقليم الثالث وهو متصل به من جهة الشمال ففي الجزء الأول منه وعلى نحو الثلث من أعلاه جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط إلى الشرق عند آخره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والإقليم الثاني وعلى البحر المحيط منها رباط ماسه ويتصل به شرقا بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقا بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحراء نيسر وهي المفازة التي ذكرناها في الإقليم الثاني وفي آخر هذا الجزء منه قبائل زناتة ويتصل به هنالك من جوفيه جبل أوراس ثم إن جبل درن من جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الأقصى وهي في جوفيه وفي الناحية الجنوبية منها بلاد مراكش وأغمات وتادلا وعلى البحر المحيط منها مدينة الرباط ومدينة سلا والعرايش وفي الجوف عن بلاد مراكش بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة وهذه كانت في عرف أهلها تسمى المغرب الأقصى وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الأوسط وتسمى الواسطة إلى هذا العهد وقاعدتها تلمسان وفي سواحلها وهران ومستغانم والجزاير وتدلس وجيجل ولما صل البحر الرومي من البحر المحيط يخرج من خليج طنجة في الجهة الغربية من الإقليم الرابع ويذهب مشرقا ثم ينفسح غير بعيد من مخرجه جنوبا وشمالا فيدخل في الإقليم الثالث والخامس ولهذا كان على ساحله من هذا الإقليم الثالث الكثير من بلاده ثم يتصل ببلاد الجزاير من شرقيها مدينة بجاية في الساحل ثم قسنطينة في الشرق منها وفي الجزء الأول ومرتفعا إلى الجنوب بلد مسيلة ثم الزاب وقاعدتها بسكرة

ويسمى بحر نيران ومعناه الذي يشوش دائرة الارض

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الفصل الاول من المقدمة فيما يخص المغرب من الاقاليم السبعة المقررة في كتب الجغرافيا

اعلم ان الحكماء الاقدمين الناظرين في تكوين العالم المتكلمين عليه قد تقرر عندهم على ما ثبت في كتبهم ان شكل الارض كرى محفوف بعنصر الماء بحيث ان الارض في وسطه كانها عنبة طافية عليه وانه انحسر عن نحو النصف من سطح كرتها في شكل دايرة احاط الماء بها من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط ويسمى الاوقيانوس ثم ان هذا المنكشف من الارض خلا في الاكثر من عمرانه فالمعمور منه مقدار ربعه ينقسم الى سبعة اقسام تعرف بالاقاليم السبعة محدودة بحدود وهمية بين المغرب والمشرق متساوية في العرض مختلفة في الطول فاولها اطول من ثانيها وهكذا الى اخرها وذلك على حسب ما اقتضاه وضع الدايرة الناشئة عن انحسار الماء عن كرة الارض ثم ان كل اقليم ينقسم الى عشرة اجزاء متساوية من المغرب الى المشرق على التوالي ونحن الان نتكلم على ما يخص المغرب منها ونبتدئ بالاقليم الاول على الطريق التي سلكها اهل هذا العلم الفن فيقولون ان مأخذ هذا الاقليم طولا من المغرب الى المشرق كله في البحر المحيط وليس في بسيطه منه شيء وفيه جزاير كثيرة تعرف عند الافرنج بالخالدات ولم يبق معمورا منها في ذلك العهد سوى ثلاثة على ما ذكره من عثر عليها من سائحي الافرنج وهو كريستوفر كولومبوس الايطالي وذلك في اواسط القرن الثامن من الهجرة النبوية واما الان فكلها او جلها معمور ومن عثر عليها منهم وهي المعروفة بامريكا والدنيا الجديدة والكلام عليها وعلى ما وصل اليه اهلها من التمدن والترقي والثروة وما ظهر فيها من المعادن والصنايع الغريبة والاختراعات العجيبة طويل الذيل مديد السيل وفي الجزء الاول من هذا الاقليم مصب النيل الاتي من مبدئه شرقا من جبل القمر بالفتح وقيل بالضم مسكون يسمى نيل السودان وعليه مدينة التكرور ومدينة غانة وغيرها من مدن السودان الغربية والى هذه المدن يسافر تجار المغرب الاقصى وفي الغرب

ويقال لها جزاير السعادة وهي ست جزاير ... اضافة ... الفواكه الفاكهة والرياحين والورد من زراعة ... ولم يصب الا

حتى يعزوه منهم ولا يبعد ان يكون هذا الاسم لبعض ملوك البربر الاقدمين استوطن ذلك
القطر او استولى عليه فنسب البلد وجاءت التسمية من جهة تواطئ الاسماء كما يتفق ذلك
كثيرا فجاء مجال المؤرخين فجعلوا النسبة الى افريقش بن صيفي لشهرته وكونه ذا اقتدار
وشوكة [illegible] فيقبلونه لكثرة اخبارهم ولا يستبعدونه والله اعلم او يكون بعض العرب سمعهم
رطانتهم فسماهم بربرا لان البربرة في لسان العرب هي اختلاط الاصوات الغير المفهومة — والعلم عليه
ومنه قيل لزئير الاسد ولصوت الغزبربرة والله اعلم واما شعوبهم وبطونهم فان
المحققين من علماء النسب متفقون على ان هذا الجيل يجمعهم اصلان عظيمان وهما برنس
ومادغيس ويلقب بالابتر فيقال لشعوبه البتر كما يقال لشعوب برنس البرانس ومنازلهم
الاصلية فلسطين من الشام كما مر وهم قبائل كثيرة وشعوب جمة منها كتامة وصنهاجة
على الاصح وعليه اطبق نسابة البربر وقد ذهب المسعودي والطبري وغيرهما الى ان كتامة وصنهاجة من ~~عربا~~
~~العرب الذين خرجوا مع افريقش~~ او بعض لما اخرج من الغرب فجعل هنالك قبائل من حمير بالمواطن
واختلطوا باهلها ومنهم صنهاجة وكتامة ومن البربر زناتة والعمالقة وهنتاتة وهسكورة
ونفيس وهوارة ووارجلان وصوبيته ويزدران وغيرهم يطول ذكرهم ثم بعد اجيال من تلك
لسبهم في الغرب وهكورا التي الافارقة منهم من الافرنج الذين اجازوا اليهم من بحرهم على حرب الباقين
فاجتمعت كلمة القريب منهم والبعيد على مدافعتهم وجرت بينهم حروب انتصروا فيها
على الافرنج والافارقة واجازوهم صقلية وسردانية وميورقة والاندلس ثم اصطلحوا
على ان تكون المدن للافرنج والضواحي لهم فسكنوها قصورا في الخيام ثم اختلطوا
لا يمنعهم امصار او قرى ولم يزل امرهم على ذلك الى ان جاء الاسلام وكان قد [illegible] في مدة — مختلفين باديان مختلفة بينهم ام
اختلاطهم بالافرنج [illegible] يهود ومنهم من تنصر ومنهم [illegible] واخرون كانوا مجوسا يعبدون — لا [illegible] الاسلام [illegible] بلادهم
الشمس والاصنام وفي بعض الاحايين يدينون بدين من تغلب عليهم من الامم ثم
لما دخل جيش الاسلام [illegible] الاكبر الى الغرب في جميع ما كان في نواحيه من [illegible] والملل

عامرة ومجالسهم بفنون العلم وانواع المعارف زاهرة ذلك تقدير العزيز العليم

ذكر اولية عمران المغرب ومن عمره من البشر

اعلم ان الله سبحانه وتعالى لما اهبط ادم الى الارض عمرها به وبنسله فهو الاب
الاول للخليقة على الاطلاق انبث بنوه في نواحي الارض وجهاتها وتناسلوا
فيها احقابا واجيالا بعد اجيال الى زمن نوح عليه السلام وكانت ولادته سنة
اثنتين واربعين وستمائة والف للهبوط وكان في تلك الاجيال ملوك ودول
وملل متباينة ونحل وكان فيهم انبياء ورسل اخرهم نوح عليه السلام
ارسله الله تعالى الى قومه وكانوا عبدة اوثان يدعوهم الى عبادة الله تعالى
فما امن به الا نفر قليل منهم كما هو مذكور في عدة مواضع من التنزيل ووقع
في التوراة مثله ولما اعياه تعنتهم وتمادوا على كفرهم واوحى اليه انه لن يومن
من قومك الا من قد امن دعا عليهم لامر ربه الله تعالى فقال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا فاستجاب الله تعالى دعاءه لما سبق في علمه انه
ليس فيهم من يومن ولا في اولادهم فاستاصلهم الله بعذابه وارسل عليهم
الطوفان فاخذهم وذهب بعمران الارض اجمع وكان ذلك بعد مضي
الفين ومائتين واثنتين واربعين سنة للهبوط باتفاق المؤرخين
والمفسرين ولم ينج من الغرق سوى نوح عليه السلام ومن امره الله تعالى
بحمله معه في السفينة ثم مات المؤمنون الذين كانوا معه ولم يعقبوا فصار
جميع اهل الارض من نسله قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وصار هو عليه
السلام ابا ثانيا للخليقة واتفق المفسرون والنسابون على ان اولاد نوح
الذين تفرعت الامم منهم ثلاثة سام وحام ويافث وقد وقع ذكرهم في
التوراة وخرج الطبري في ذلك احاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

وانتجعوا اطوار سام ابو العرب والفرس والروم ويافث ابو الترك والصقالبة ويأجوج
ومأجوج وحام ابو القبط والسودان والبربر ومثله عن ابن المسيب ووهب
ابن منبه ولما افترق بنو نوح صار لولد سام العراق وفارس وما يلي ذلك الى
الهند وصار لولد حام الجنوب مما يلي مصر على النيل وانتشروا في جهات المغرب
الى اقصاه وصار لولد يافث نواحي بحر الخزر الى الصين وكانت شعوب
هؤلاء الثلاثة عند تبلبل الالسنة اثنين وسبعين شعبا واتفق المؤرخون
على ان اول عمران المغرب كان بالجيل المعروف بالبربر اخوان السودان منهم
الذين عمروه من الحبش واستوطنوه ثم اختلفوا في اولية ذلك واضطربت
اقوالهم وتباينت انقالهم كما وقع لهم مثل ذلك في الارتباك في نسبهم وجميع
ما ذكروه لا تحقيق فيه ولا حاجة تدعو اليه واقرب [illegible] الذي يزعمون انه نقلهم
من مواطنهم في الشام وساقهم الى افريقية بعدما غلبهم يوشع عليه السلام ذكروا
انه وجدهم فيها وانه الذي سماهم بربر حين سمع رطانتهم وبالجملة من تتبع
اقوالهم في شأن البربر واوليتهم في المغرب وجدها متناقضة متدافعة وغاية
ما يقال انهم من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام استوطنوا المغرب
وتناسلوا فيه منذ احقاب واجيال متطاولة قبل الاسلام لا يعلم مبدأ
ذلك واوليته الا الله تعالى وقد سمعت في انبا ان اولاد حام حين انفصلوا من
بني سام ويافث صار لهم الجنوب ولم تزل امم السودان من الزنج والحبشة
والتكرور و[illegible] وغيرهم في الجنوب اخذين في الاقليم الاول والثاني
من مبدأ بحر الهند من الاوقيانوس الى اقصى المغرب حيث الاوقيانوس
الغربي وهؤلاء البربر الذين هم اخوان السودان والقبط يقابلونهم في ارياف الى يومنا هذا
المغرب اخذون في الاقليم الثالث وما يليه من الثاني من حدود مصر مما يلي

[illegible]

وفي سنة تسع وسبعين توجهت عساكر الانكليز للرجا الصالح بافريقية الشرقية

فقتل بها البرنس المذكور
ولما جاء خبر قتله في الرجا الصالح مع عسكر الانكليز كتب الامير الى الوالدة يعزيها فيه فاجابته
بما نصه ان التاسف الذي اظهرتموه لفقد ولدي العزيز الذي قتل واسلحته في يده
يقاوم الاعداء قد اثر في حزنا ولذلك اتشكر من تشترككم معي في هذه المصيبة التي اصابتني
وفي احزاني العظيمة راجية من الحق سبحانه وتعالى ان يحفظ وجودكم الله وعلى احبته
وفي سنة ثمانين وتاريخ [illegible] فكتور عمانويل ملك ايطاليا [illegible] مرض فكتب اليه الامير يسأل عن صحته
فاجابه ان ما اطلعه من شعائر الوداد والخلوص قد شهد له [illegible]
الحميد العزيز وما [illegible] عندكم من المودة والابوة [illegible] الميل الاخوي بحال مرضي قد استوجب
مني ممنونية فائقة وتشكرات لحضرتكم الكبيرة قلبية [illegible] [illegible] لكم [illegible]
تشكراتي من صميم قلبي مع الدعاء بحفظ وصيانة [illegible] عالي وجودكم [illegible] حظكم وسعادتكم
وفي سنة ثلاث وثمانين [illegible] هذا الملك [illegible] مكانه [illegible] فكتب اليه الامير يعزيه
ويهنيه وهذا نص ما كتبه اما بعد فان اقدار الحق تعالى لم تزل تختلف بين مكروه ومحبوب تبين الحاجة الى ذلك
وتنصرف بين مسلوب وموهوب وكثيرا ما تاخذ بيد ثم ترد باخرى وتحزن تارة ثم تخوض
بالعكس سرورا وبشرا وذلك كالمصيبة بعظيم ايطاليا والدكم الملك فكتور عمانويل ثم
افضاء الامر اليكم وجلوسكم على سرير الملك

باس
ص
هم

الحمد لله وحده والسلام ...

يحتاج مثلي
ميله
احتاج الى اقامة دليل على صحة قول الظهوره
ولذلك احتاج بكل وقت الى اقامة دليل احتاج الاظهار ميلي نحوكم بل يلزم الدوام ان تشهدوا
وبناء عليه بادرت واعلن محبتي وخلوص القلبي اليكم هرب اول يوم من تموز سنة سبع وسبعين
وثمانمائة والف ومنها بكانون الثاني سنة ثمان وسبعين التي ... متأثرا ان مبادرتكم لتقديم
التهنئة عقوبل بدخول السنة الجديدة والدعاء بنجاحي بما اسعى فيه من الخير لعباد الله
فوالحق واثر في اثرا حسنا جدا وشكرتكم ونهنئكم ١٧ اربد ان انا نافرعن اظهار مسرتي التي لكم
بذلك واني لمجون لسعيد بتمكني من هذه الفرصة التي اوصلت لكم فيها ما حصل لي
من الارتياح وحقق المشاعر اكثر والتمني لكم من قلبي ان العناية الالهية تصون حياتكم وتمنحكم الحظ
الحسن والسعادة ... ثق ايها الامير باعتباري ومحبتي اهـ ومن الحوادث ان تحول الكرسي
الذي خلف مكماهون المذكور في رئاسة الجمهورية وان تولى جول كريفي رئاسة الجمهورية
خليفة الماريشال مكماهون كتب اليه الامير بهنيه فاجابه ايها الامير المعظم لقد ... الي
... بتقديم التشكرات والزام الثناء الجميل على ان حسن اعتقاد ابناء وطني وعاني
لرئاسة الجمهورية الفرنساوية ولكونكم بادرتم بتقديم التهاني وانواع التبريك لتخصيصي بهذا المنصب المعظم
فلذلك ٢ اريد ان اتاخر عن تقديم التشكرات لكم على وتقدير خلوص مودتكم فقد اثر في جدا
ودعاني الى تجديد التاكيد لكم بحسن متانة الروابط القلبية الوثيقة بيننا وبينكم
وارجو علي ان ... تجديد التاكيد ... تاكيد مودتي الصادقة واعتباري لمقامكم
السامي ولذلك اقول انكم تجدونني دائما مستعدا للسعي فيما
يعود بالخير العظيم من تخصكم الشريف وارجو الله تعالى يحرسكم بحمايته ويفيض
عليكم سحاب انعامه اهـ وبسنة اثنين وثمانين كتب اليه الامير يهنيه بعيد تموز الاهلي
فاجابه ايها الامير الكريم قد اقتبلنا التهاني التي قدمتموها لنا بالعيد الاهلي بمسرة عظيمة
واهتمامكم بهذه الامور الدالة على خلوصكم للمشيخة الفرنساوية ...
ولذلك نعترف ان لها اهمية ... لعبارات التبريك التي تقدمونها لنا اهمية عظيمة ثم نكرر لكم تاكيد
اعتبارنا ومودتنا وندعو لكم بدوام الصحة والسعادة اهـ

سنة تسع وسبعين

٧٤

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

... العام ... تهنئة العيد هذا سنة ثمان وثمانين هذا ...

وهو

وبعد سنة سبع وتسعين وسبعمائة ايام ابي فارس بن ابي العباس ركدت ريح بني عبد الحق
وضعف امر بني مرين سطوة وقوة واقاموا على ذلك برهة من الايام واستمر امرهم على ذلك
ياخذون الناس ... بالسياسة باللين والاغضاء والتغافل الى اواخر المائة التاسعة
فقام بعض الادارسة بفاس فبايعه اهلها وتم له الامر فيها وفي اعمالها وبه انقرضت دولة بني عبد الحق
ثم قام بنو وطاس من بطون بني مرين وجمعوا اشتاتهم ونازلوا فاس بجموعهم فانتقض اهل فاس على الامير
الادريسي وخلعوه وبايعوا ابا عبد الله الشيخ المعروف بالشيخ الوطاسي فاحتل فاس واستوسق
له الملك ولم يزل ملك المغرب في يده ويد بنيه من بعده الى ان قام عليهم الزهيون فانتزعوه منهم
واشتهرت دولتهم بدولة الاشراف وفي ايامهم خرج ملك البرتغال وحل ملك البرتغال بجيوشه الى السواحل
واستولى على طنجة ثم خرج الى البر ... وفي ايامهم خرج ملك البرتغال
بعساكره الى السواحل واستولى على طنجة وما يليها ... فاهتز العرب لذلك وارسل السلطان
احمد الذهبي في الداخل والصحاري في ... فهرع الناس اليه من كل جهة حتى اجتمع ... وساحة فاس
ونهض السلطان بهم وزحف اليهم ملك البرتغال بعساكره والتقى الجمعان بنواحي ...
فكانت الدبرة على البرتغال فاثخن المسلمون قتلا واسرا وسبيا وامتلات ايديهم من معسكرهم
بالغنائم ثم الجؤوا من بقي منهم الى البحر فغرق اكثرهم وغالب من تعلق منهم الى المراكب ولحقوا ببلادهم
البرتغال بعد هذه الوقعة الشنيعة فالته ثم قام العلميون

وحره ... الحمد لله حمدا يليق بجلاله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ومن اجوبة الباب العالي عن تهنئة العيد هذا سنة ثمان وثمانين حضرة المعظم سامي الحضرة الامير عبد القادر في الشام قد اخذت بكمال الممنونية تلغرافكم المتضمن التهنئة بالعيد السعيد ومقابلة لهذا جعلت التشكر ردا بلسان المودة المخصوصة

الحمد لله ... والسلام ... محمد وآله وصحبه وسلم

يحتاج مثله
يحتاج الاقامة وليل ... ميله على نحو الظهوره

... بدوام النعمة والسعادة اه

الحمد لله وحده

حصل فيما تقدم الاجوبة على مقتضى ما يكتبه ولما كان استيعاب ذلك متعذرا ظهر لنا
ان نذكر منه ما فيه غنية عن ذكر باقيه ولا يخفى ان البلاغة هي الدلالة بالقليل من اللفظ
على الكثير من المعنى وكان للعرب في ذلك الباع الطويل والعروج المعلى فان العجم كالترك
والافرنج منه نصيب وافر بحسب لغاتهم ومقتضى اصطلاحهم ومن اطلع على رسائلهم وكتاباتهم
وجدها عارية عن فساد التعسف ونهج التكليف بل يجد الفاظ المراد على حسب ما يفهمه
العقل من غير اطراء في مدح ولا توطئة لذكر المقصود واما يستعمله الكاتب منهم بالمراد
في رسم التوقيع على حسب الواقع لاول وهلة بموافقة العرب في هذا عنوان العرب لتوسعهم
في لغاتهم حازوا قصب السبق في مضمار الكتابة فانهم يتنوعون الخطاب ويتفننون في اساليبه
ويأتون منه بما يبهر الالباب ويفتح كل باب وكلا الفريقين ينزلون الالفاظ على
قدر الكاتب والمكتوب اليه فلا يخاطبون وضيع الناس برفيع الكلام ولا رفيعهم بوضيعه
الى غير ذلك مما يطول ذكره ونحن الان نذكر ما تيسر لنا من الرسائل الاخيرة التي جرت بين الامير
الملوك فمن دونهم من الامراء والوزراء زيادة على ما تقدم وهو في الواقع بعض من كل
وغيض من فيض فمن رسائل الامير التلغرافية الى الباب العالي في التهنئة
باحراز العيدين اسعد الله ايامكم بهذا العيد السعيد سعادة تستمر بكل زمان
وتعم جميع الرعايا في ظل الامن والامان ومن رسالة اخرى في عيد الجلوس هنأ الله
مولانا وايده [illegible] بعيده الوارد عليه واعاده كيف شاء [illegible] اليه سفرنا
بالعز والنصر والهناء وطول العمر ومنها في التهنئة بالصدارة العظمى في ايلول
سنة تسع وثمانين هنأكم الله بالمنصب العالي وقرنه باليمن والبركة اقتران
الايام بالليالي ومنها في سنة [illegible] هنأكم الله بالمنصب [illegible] تشرين اول
فصل بوجودكم خيره ويدوم في رياض عدلكم الباهر زهره ومنها في سنة
تسع وثمانين [illegible] الحضرة بجامنتكم [illegible] باحراز مسند الصدارة

مراسل العربي

[illegible] عن اخلاق [illegible] وآداب مذاهبهم تعلق كبير في رسائل

الشامي

٢ نيسان

مسند الصدارة العظمى الذي اشرقت له آفاق الفضل وخفقت به الوية العدل
ومنها في تشرين اول سنة ثمان وثمانين نهنئ الوزارة الكبرى بالفائز الافضل سعادتكم
وبلوغها في ظلكم ارادتها ومنها في نيسان سنة تسع وثمانين اهنئ مقام الصدارة العظمى
بتجمله بانظار فخامتكم وتقليده بكفايتكم ومنها في كانون اول سنة اثنتين وتسعين
اقبلت البشرى بتطوقكم بالمقام الاسنى فابتهجت النفوس وانشرحت الصدور
ومن اجوبة الباب العالي عن تهنئة بعيد هذا تلغراف سامي الحضرة الامير
عبد القادر قد اخذت بكمال الممنونية تلغرافكم المتضمن التهنئة بالعيد السعيد
ومقابلة لهذا جعلت التشكر وردا بلسان المودة المخصوصة سيدي ومنها
في ايلول سنة سبع وثمانين عن التهنئة بالصدارة العظمى ان مزايا تلغرافكم العالي
المتضمن التبريك بتوجيه مسند الصدارة لعهدة داعيكم اوجبت محظوظيتي سيدي
ومنها في تشرين اول سنة ثمان وثمانين قد تشرفت بتلغرافكم الحاوي على
التبريك بمأموريتي الجديدة فحصل لنا غاية المحظوظية والسرور نرجو ادعيتكم الخيرية
سيدي ومنها في نيسان سنة تسع وثمانين قد اخذت بكمال التوقير تلغرافكم
وعليه فانني اقدم الثناء والتشكر لهممكم الجليلة القائمة بايفاء رسم التهنئة ومنها
في كانون اول سنة اثنتين وتسعين اخذت تلغرافكم العالي المتضمن للتبريك
بمأموريتي هذا الداعي فاستلزم كمال الممنونية وتشكرا لمعاليكم اكرر الدعاء بالزيادة
في عمركم ودوام عافيتكم سيدي وفي نقل هذا القدر من اجوبة الباب العالي كفاية وعليه يقاس ما عداه
٢ ومن اجوبة وزير ايران عن تلغراف صورته الامير اليه قد اطلعت على تلغرافكم العالي
وقدمته لحضرة السلطان وشاهد منه ما اوجب ممنونيته ارجو ان لا تنسوني من
صالح دعائكم اهـ ولما ان امر مصر الى الخديوي الحالي توفيق باشا ارسل اليه الامير تهنئة
فاجاب اني اقدم شكراني مما تكرمتم به من التهنئات بمناسبة ارتقائي للسلطنة

الخديوي

في تموز سنة تسع وسبعين وثمانمائة والف

[illegible] وعلى الله سلم تسليما [illegible] الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا
جواب الامير حفظه الله عن كتاب ارسل اليه من رئيس الولايات المتحدة الاميركية [illegible] ... العلماء [illegible] ... بعالمهم [illegible]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

حصل فيما نيه الاجوبة على مقتضى ما يكتبه ولما كان استقراء ذلك على وجه الاستيعاب متعسرا ظهر لنا ان نذكر هنا منه ما فيه غنية عن ذكر باقيه ولا يخفى ان البلاغة هي التباعد عن الاطالة والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى وكان للعرب في ذلك اليد الطولى والقدح المعلى وللعجم كالترك والافرنج وغيرهم نصيب وافر منه ومن اطلع على مكاتباتهم ومخاطباتهم مع تباين لغاتهم واختلاف اساليبهم وجدها عارية عن فساد التعسف وقبح التكلف بل يجد الفاء المراد على حسب ما يبعثه العلم من غير اطراء في مدح ولا توطئة لذكر المقصود وانما يستوفي الكاتب منهم بالمراد ويرسم التوقيع على حسب الواقع لا وصلة والذي يظهر ان ذلك لعدم توسعهم في لغاتهم وقلة تفننهم في عباراتهم واما العرب فانهم يتنوعون في الخطاب ويتفننون في اساليبه فياتون منه بابدع الالباب ويفتح لكل باب وكل من الفريقين ينزلون الالفاظ على قدر الكاتب والمكتوب اليه ولا يخاطبون خسيس برفيع الكلام ولا رفيع الناس بوضيعه الى غير ذلك مما يطول ذكره في هذا المعنى ونحن الان نذكر ما تيسر لنا من الرسائل والاجوبة زيادة على ما تقدم وهو بعض من كل وغيض من فيض فمن رسائل الامير التلغرافية في التهنئة بعيد اسعد الله ايامكم بهذا العيد سعادة تستمر في كل زمان وتعم جميع الرعايا في ظل الامن والامان ومن رسالة اخرى في عيد الجلوس اسعد الله اوقات مولانا السلطان الاعظم بعيد الوارد عليه واعاده كيف شاء اليه مقرونا بالعز والنصر والهناء وطول العمر ومنها في التهنئة بالصدارة العظمى[2] هنأكم الله بالمنصب العالي وقرنه باليمن والاقبال اقتران الايام بالليالي ومنها في سنة اثنتين وتسعين هنأكم الله بالمنصب الذي يتصل بوجودكم خيره ويدوم في رياض مجدكم الباذخ زهره ومنها في سنة تسع وتسعين (الخامس) زمع الحضرة لجنابكم مراسم التهاني باحراز

[2] في اليوم سنة تسع وثمانين

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ابقاه الله مدى الدوام وحرسه من نوائب الليالي والايام ما غنى الهزار وناح الحمام بجاه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبناء على ما شوهد من حسن خصاله وجودة اخلاقه وكثرة افضاله قلت مادحا منا فيه العربية وارجائه الحميدة بهذه القصيدة وهي

لباب مولاي عبد القادر ابن درنت   ابيات مدح اصابت احرق الكلم

هذا الامير الذي باهى الزمان به   والطاهر الاصل والاباء والشيم

هذا الامير الذي حازت فضائله   في الارض اشهر من نار على علم

انعم به من امير ماجد فطن   فخصه الله بالاحسان والكرم

مولى له في سماء المجد منزلة   رفيعة الشان لم تدرك ولم ترم

فريد عصر تسامى عن مماثلة   في الحزم والعزم والاراء والهمم

حلو الشمائل ممدوح الخصال كشاف المعاضل ماضي السيف والقلم

زين المعارف في اعتنابه اجتمعت   وكل فن من الاداب والحكم

الجامع العلم مثل الروض مزدهرا   لما جرت فوقه ايديه كالديم

والجامع الخبر نور اللغيوب بما   تخشى الضلال بداجي ليلة الغتم

لجوده في البرايا كل مكرمة   والثناء عليه كل منفرد حسم

تثني عليه دمشق الشام ما انتشرت   في سجع قيسون ليلا نجمة الحزم

زهت بهمته العليا وانتسبت   فخرا على كل مدن العرب والعجم

اقام ذكرا له يوم النشور بها   تكاد تنفرده الاموات في الرحم

احيا النفوس باذن الله حين كفى   شر الطغاة ولم يسمح بسفك دم

انى به الله لهف المستجير فمن   يجيء لجا لحماه حل بالحرم

يا ايها السيد المرهوب جانبه   والمرتجى غوثه في الاعصر الدهم

هاك الكتاب الذي تملوكا بمالكه   تسعى على الراس طوعا لا على القدم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد النبي الامي وسلم

برجوك لوبك قبو لا طاب مورده   فذاك نحسبه من اعظم النعم

لا زلت في درجات العز مرتقيا   في صفو عيش رغيد غير منصرم

واسلم ودم ما سرى نجم وما طلعت   شمس وما غرد الشحرور بالنغم

ولما اتم الاديب رزق الله حسون ديوانه المشتمل على نظم ونثره عن لسان الطير والبهائم الذي سماه النفثات اهداه الى الامير وكتب اليه

امولاي عبد القادر السيد الذي   وفانا الوجه الله نشانيك ابتر

كتابي وفد منه مهديا الى   علاك ليحظى في الورى حين يشهر

وامحى جمال الشعر فيه الشائع   مكارمك الغرا مدى الدهر تشكر

هدية عبد يرتجيك قبولها   لسنة جود عن سليمان تذكر

وان كانت النزر القليل فانها   لجلة مالي والمقل ليعذر

ثم اثبت في اخر هذا الديوان قصيدة ذكر فيها رحلته الى القوقاس ومدح الامير فيها فقال بعد ان انهى الكلام في رحلته

وبت اجترع الدنيا على   رغم الرزايا ونكبة كبرى

شربت ريث استفقت من كدر   منتعشا وكانني كسرى

انشو مدح الامير مولاي عبد القادر العربي معتزا

واحمد آحاد عصرنا شرفا   ومحتدا والسميدع البرا

ذو نخوة في العظام يبعثها   به استجار ليغلب الدهرا

الكرم يهب الكثير ومن   يا وى اليتيم ويكشف الضرا

له الايادي التي تدوم على   طول المدى والمكارم الغرا

لله صان دماء امتنا   في جلق يوم فيضها غدرا

والناس يعلم انني رجل   بلوت كل البلاد والزهرا

وقد

وفي بعضها ما صورته انه يوجد في ذاته عبد القادر شخصان احدهما امير الجزائر العدو العنيف للفرنسيين من سنة ثلاثين وثمانماية والف الى سنة سبع واربعين والثاني الامير الموجود بالشام ~~المحامي~~ المخلص للمسيحيين في ايام حادثة دمشق سنة ستين حين كان التعصب الاسلامي قائما بعنفه بهم فالامير هو الرجل الوحيد الذي اسى الفرنساويين مدة سنين لم يديهم هم مجبورين على اداته له الامير عبد القادر هو ذاك الرجل الباسل الذي اظهر امورا واعمالا لا يليق تصورها ~~الا~~ بعصر وفي لذلك ~~تحقق~~ جديرة بان تدون في اجمل ~~التواريخ~~ تواريخ العالم وفي اخرها تقول اذا سالنا احد عن هذا الامير الشهير نقول له انه قد غلب عدونا في الجزائر وظهر ~~منه الان~~ ان الان هو مخلص المسيحيين في الشام انتهى وفي بعضها ما صورته الامير عبد القادر رجل من مشاهير رجال ~~العربية~~ العالم دافع عن وطنه وحريته ثم حكم عليه الغدر الاهي ~~ماخوذ~~ الاعداء فهم نقضوه الرباط وهم على خلاف الشرط الذي اشترطه عليهم وقبلوه وجعلته حكومتهم آيبا اسيرا مدة عشر سنين لكن فرنسا ورجلا شهيرا كان يضاهيه في السياسة اعطاه برهانا وثيقا وسندا متينا خلصه به من تقلبات الايام وذلك عند انقلاب الحكومة وارتقائه على كرسيها بسلطة ذلك الرئيس ارجعت الى الامير حريته ثم اصبح ناصر الاسلام العربي بواسطة دوران دولاب سعوده في مركز قوي في العالم المسيحي وبات زكيا بين عظمائه وصار ~~بالعجم~~ يخاطب بالقاب استوى فيها مع اعظم المشاهير واخيرا حامي عن الذمام والذمة وحفظ الوفاء بكرامة كما عمل ~~في جليل عمره~~ في سيرته في وطنه ولا ريب ان تلك السيرة لا شبيه لها في التاريخ انتهى وفي هذا القدر من كلام اهل الجرائد كفاية ولا يهمنا تطويل الذيل في هذا السبيل هذا وقد كان بين الامير هذا والشيخ شمويل الداغستاني مواصلة ومكاتبة ولما بلغ الشيخ شمويل خبر هذه الحادثة كتب اليه يصوب فعله ويشكر فضله فاجابه الامير ~~بكتاب~~ بقوله بعد الحمدلة والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله واصحابه وكلامي ووالاه الذي من العبد الفقير الى مولاه الغني عبد القادر بن محي الدين الحسني الى الاخ في الله تعالى والمحب من اجلة الامام شمويل

11

علم وحلم اوفوا ... والمنطق السحر الحلال
لطف وزهد أوثق ... بشاشة مع الجمال
شجاعة تواضع ... وفاء وعد صدق فال
محاسن جمعتها ... يعوق عدها الرمال
فما اراد حصرها ... فقد تصدى للمحال
بشراكم قد قبلت ... اعمالكم على الكمال
فالحج حقا سالم ... من رفث ومن جدال
والقصد وجه الله والسؤال قطعا من حلال
والقطع حيد كم ... ولا يرد الجداء ال
يا ايها الحبر الذي ... حويت هاتيك الخلال
ابقاك ربي ملجأ ... الى النساء والرجال
ممتعا منعما ... بما حباك ذو الجلال

وللاديب سليمان صولى يجيبه بالغزوم [illegible]

حتى الطلا شهوت ان اللمى عذب ... فكيف ابيع فيه اللؤلؤ الرطب
وكيف جاوره جمر باشجعه ... وما تعاوره من برده عطب
واحر قلبا من نار يؤججها ... برد الرضاب ولم يعبر لها لهب
قد شمت من بعد اهلاك ساريه ... عسى تبل فؤادا ساءه اللغب
يميته الشوق احيانا ويبشره ... فكم يموت ويحيي وهو مضطرب

ومنها في التخلص

جودي بوصلك في والسهر يا املي ... العقل والروح لا ورق ولا ذهب
لم يبق في نشب اما اذا رجع ال ... مولى فعندك مني المال والنشب

حسبي بعونه الاوزار تغتفر ... ومن سماحته الامطار تنجذب

تهز نعمة اشعاري مناكبه ... لما يهز قناة الفيلق اللجب

لذاك والله خير الناس قاطبة ... وجوده فوق ما جادت به السحب

كان عيني به والحق منبلج ... يزهو بطلعته لا ساءها الحجب

تقبله ويس من موقفه اسر ... بوجهه قمر في كفه يلب

ان حال قطع او حال الرجال وان ... جال استطال عليها الويل والحرب

يا قاصد البيت لولا انت حجته ... سعى اليك كما تسعى له العرب

انت ابن من بيت الله يعرفكم ... يا آل ياسين فيكم جاءت الكتب

لم تبق جودك في المال من ارب ... فدعوة تتحاماني بها النوب

عودتني الخير في حل وفي سفر ... كالغيث ينهله دان ومغترب

انت الذي تقبل الدنيا بدعوته ... تقبل الله ما يولي وما يهب

عسى يبدل اعساري بميسرة ... ويصلح الله ايامي فتنقلب

زحزح طبعي واعتز وارم الحجا بكل ... قلب الحسود وعدلا يأتك الارب

لا زلت افضل من حجوا ومن رحلوا ... لتبو على عرصات المجد واقتربوا

ولما كان الأمير في المدينة المنورة كتب الى ابن عمنا الفاضل الاجل السيد الطيب المختار يخبره بما اسنى الله له من الفتح المبين والحصول على التمكين بعد التلوين وفي ربيع الثاني من سنة احدى وثمانين بعد رجوعه الى دمشق جاءته رسالة منه يذكر فيها وصول المكتوب[2] ولحسن سبكها وعذوبة الفاظها ظهر لي ان اثبتها هنا كلها وكيف لا وهي رسالة من قريب حبيب قال رحمه الله الحمد لله الذي بحمده يفتتح وهو الفتاح العليم والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم والكرم العميم وعلى آله وصحابته ذوي الشرف الباذخ والعز الصميم ∴ يا قادما عمت الدنيا بشارته ... البشر يقدمك والميمون طائره

[2] يعني بالرجوع سالما الى دمشق

قدمت

ثم دعى اليه مرة اخرى مجانين منه النجابة الرجيل احد ثم اطرق ساعة وحلقت له غيبة ثم رفع راسه وانشأ يقول

تذكرت وشك البين قبل حلوله ... فساحت دموعي تسيل على الخد

وفي القلب نيران تاجج حرها ... سرت في عظامي ثم جارت الى جلدي

ومالي نفس تستطيع فراقهم ... فليتها قبل البين صارت الى اللحد

الى الله اشكو ما الاقي من النوى ... وحملي لما لا تستقل به ايدي

بطيبة طاب العيش ثم تمررت ... حلاوته فالحمد لله على السعد

اردد طرفي بين وادي عقيقها ... الى قبا ثم الرواسي الاخضر

منازل من حوريت طفلا ويافعا ... وكهلا الى ان صرت من شيبي في برد

وفي مدة هذه الاقامة في الحجاز توفي ملك اليونان وانعقد مجلس نواب الامة في اثينا للنظر فيمن يولونه ملكا عليهم[*] ونادى كثير منهم باسمه ~~واكتبوا اليه يعرضون عليه ذلك فاعتذر اليهم باعذار عديدة تخلصا من الاجابة الى هذا الطلب~~ وكذلك امة اسبانيا انتخبوه في جملة المنتخبين للملك عليهم ~~فلما عرضوا عليه ذلك اعتذر اليهم باعذار قبلوها منه~~ فنشكر للامتين على اعتبارهما لمقامه بما دل على ما تكنه صدورهم من اكباره واعظامه

[*] فكتبوا اسمه في جريدة المنتخبين

ذكر رجوع الامير الى مكة المكرمة ثم الى الشام

لم يزل الامير يتردد في المدينة المنورة بين معاهدها الشريفة ويغتنم الحرمة للتبرك باماكنها المنيفة الى ان حضر الركب الشامي الى المدينة في الثالث والعشرين من القعدة وفي السابع والعشرين منه توجه فيه عائدا الى مكة المشرفة واحرم بالحج من ذي الحليفة وبعد الفراغ من الحج ومناسكه قام بالبيت طواف الوداع وتوجه الى جدة في الرابع عشر من الحجة وفي التاسع عشر ركب في الوابور العربي الى السويس فاقام فيه يوما واحدا ومنه توجه الى مصر فاستقبله اسماعيل باشا واحتفل بمقامه واجزل في ضيافته اكرامه ودعته شركة السويس الى الاسماعيلية فتوجه اليها على مركب

المولود حوره وعلا الله عن سنيا وموائد عمرو الرحمتين شيئي

الزقازيق ومر في طريقه على التل الكبير ثم على بوبليح وهو الموضع الذى كانت الشركة اهدته اليه وعند وصوله الى الاسماعيلية احتفل رجال الشركة في ضيافته اياما ثم انقلب منها الى مصر ثم توجه الى الاسكندرية راجعا ومنها الى بيروت وفي التاسع عشر من المحرم سنة اثنتين وثمانين توجه الى دمشق واستقبلته في جميع وارض المهاجرين في محطة الهامة وقرت عيونا برؤيته وامتلأت صدورنا سرورا بمشاهدته وتوالت علينا وعلى المهاجرين الافراح وزالت عنا وعنهم بوجوده الهموم والاتراح وتوارد على بابه اهل البلد على طبقاتهم يسلمون عليه ويهنئونه بما اسداه الله من النعم اليه وكان يتلقاهم بما طبعه الله عليه من مكارم الاخلاق ومحاسنها ورفع اليه العلامة الشيخ محمد الطنطاوى الازهرى قصيدة يهنئه فيها بحج بيت الله الحرام وزيارة نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام وبايابه الى اهله واجتماع شمله فقال

يا سيدا فاق الورى   بما حباه ذو الجلال
من همم عاليـة   تدك صغراها الجبال
حتى تجاوزت السها   من بين ارباب الكمال
نهضت بجد ونـ ـد   فداجنت همم عوال
في طلب الاخرى ولم   تنظر لجاه او لمال
بكم هجرت مضجعا   وكم سهرت من ليال
وكم تركت لـذ ة   مع رغبة وصدق حال
ونلت اعلى رتبة   مما ينال الرجال
وقد شفيت غـلة   من ذلك الورد الزلال
الفطر بها من نعمة   لم ينلها ذو دلا ل
وكيف لا وانت للمصطفى من خير ا ا ل
مع الذى حويت من   شرف المزايا والخصال

المولد هكا وحل الله مرسين والمنيح وه البرجميد سم

الروع مسترة يومين هذا اخر المغرب عندهم ويدخل فيه اقليم مصر ويرغم كان المغرب عندهم جزيرة احاطت بها البحار من ثلاث جهاتها وقد تم ذلك باتصال البحرين بخليج لهذا العهد فتحه تجار فرنساوية بمواجهة الدولة العثمانية وصاحب مصر وشيدوا المبانى العظيمة عند البوغازين لا سيما عند فرضة البحر الرومى فانهم احتفلوا فيها واجادوا وسموا هذا البلد برت سعيد اى باب سعيد وهو ابن محمد على صاحب مصر وانما سموه به لكونه كان اعظم المساعدين لهم على فتح الخليج وقد جرى معهم بسهم فيه ثم استخلص بعد موته من ابن اخيه اسماعيل باشا لامور اقتضت الى

سعيد باشا وسموا البلدة التى عمروها عند فرضة الخليج مما يلى البحر الرومى بلدة برت سعيد ومعناه الباب

٥٠

٨١

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

ومنها معسكر اصل هذه البلدة لم تتعاقب الامر بين

ومنها معسكر هذه البلدة محط اختطها بنو زيان احد دولتهم بتلمسان محط لعساكرهم في

تخوم بلادهم لتكون سدا منيعا للدفاع عن حوزتهم من نفح اعدائهم في تونجين اجلاب

بني توجين ومغراوة الاعداء الاقدمين لهم خلفا عن سلف حاكوين وخوجوها وكان

بنا وزها من اخصاص ثم لما استولى الاتراك على البلاد وعلى الجزائر وصاروا يتغلبون في

التغلب على البلاد غربا وشرقا واستعملوا الى ... ووطئوا ... من الحصون المحيطة شرعوا

في بنايتها بالحجر ووسعوا خطتها وتانقوا في تشييد دورها على نحو دور الجزائر

وابقوا اسمها الذي كانت تعرف به قديما واطلقوا عليها اسم معسكر اسمها القديم

الذي كانت تعرف به وجعلوها مركزا لحاكم تلك النواحي ومنها كانوا يطلقون الغارات

على الجهات ويفتحون البلاد الى ان وصلوا الى بسيط انكاد قرب وجدة وما كان على سمتها

شمالا وجنوبا ووضعوا الحدود هناك بينهم وبين صاحب الغرب الاقصى لما تغور

وانتظم الاتراك اهتماما بعمران مدينة معسكر الباي محمد الكبير ... الملاح وملاذه في عمل الصوارم وبذلك ختم ايامه والاعمال بالخواتم

واشتهرت بما رحل اليها العلماء والقادة وتشابه الافاضل ومن اشتهر بها السيد محمد

الجد الثاني من اسلافنا سيدي السيد احمد المختار جدي الرابع ثم ابنه سيدي

السيد المصطفى جدي الثاني ومن ... السيد محمد بن عبد الله الجلالي ومنهم

السيد بلان وغيرهم من الجلة الاماثل ولما ال امر الخلافة امارة البلاد

ومنها ال سيدي الوالد اتخذها دار ملكه صدرا من امارته ... ولما

ثم انتقل الى مليانة ثم اختط تاقدمت قرب تاهرت واحاط بها ... للدفاع عن

توجين وانتقل اليها وجعلها ... واقام بها ... ولما كانت هذه مطروقة

المدافعة الفرنسيين جيران البلاد في السواحل على البلاد عن بلاده وانتظمت

ايام ملكها في حروبهم ... ودفاعهم ... الى تشييد القصور ولا الى اغراس الرياض

الدولة الموحدية ...

قد كانت دولة الموحدين ... انقرضت دولة المرابطين في سنة اثنين واربعين وخمسمائة وصفى الامر للموحدين فاستولوا على ممالك المغرب كله واستمروا عليه واستظهروا الدولة بالاندلس واستمروا على ذلك الايام

عامرة ومجالسهم بالاذكار وفنون العلم زاهرة ذلك تقدير العزيز العليم
وحكم العلي الكبير ثم اعلم ان هذا الاقليم منذ دخل في حيز العمور وصفاوي
العيش وعش للاصول والحسن ومشتهى الملوك والثوار ومطمح نظر الكبار
منهم والصغار فما هدأت لاهله روعة ولا طابت لهم فيه هجعة ولا خبت بساحتهم
أسى ولا جار فيهم روع ولا رجع اليهم وحشة ولا خلى لهم زمان من قراع الكتائب
ومفاجأة الحوادث والنوائب ولله الامر من قبل ومن بعد وما قلت الا بالذي
علمت سعد

وفي ايام العادل عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وكانت
ان ابا يوسف بن محمد بن يعقوب المنصور فلما كان منهمكا في اللذات ... مشتغلا ...
بعضهم من امور الدولة حصل الوهن على الدولة وبعد موته سنة عشرين وستمائة
تولى مكانه عم ابيه الكبير سنا وهو عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن
فاتبع طريق من كان ثم خلع وقتل بعد تسعة اشهر من الولاية وتولى
بعده ابو محمد عبد الله وتلقب بالعادل ثم خلع وقتل سنة اربع وعشرين وستمائة
وفي ايامه كانت الوقعة وقعة طليطلة بين المسلمين والاسبانيول وهي الوقعة الشنعاء
التي ضعضعت دعائم الاسلام بالاندلس ... وكانت ... العروة
... ولما خلع عبد الله وقتل ... المنصور ... مراكش
ثم تولى بعده يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب ثم قتل واستولى الامر ادريس بن يعقوب الملقب
بالمأمون وهو اخو العادل فملك الجزيرة والاندلس والمغرب ثم خرج عليه في الاندلس
المتوكل بن هود واستولى على الاندلس وسقطت في يده الجزيرة ... وانقرضت دولة بني عبد المؤمن
من الاندلس وبقي في ايديهم المغرب ثم ثار عليه اخوه ... ابراهيم ... مراكش ثم ...
... بن يعقوب المنصور ... سنة
راجعا الى مراكش فمات في الطريق وتولى بعده ابنه عبد الواحد بن المأمون ثم ... مراكش
وفي ايامه تشتت

...

الامير حمود ...

لطف وزهد وتقى ... بشاشة مع الجمال
شجاعة تواضع ... وجاه وعفو صدق فال
محاسن جمعتها ... يعود عن عدها الرجال
من اراد حصرها ... فقد تصدى للمحال
بشراكم قد قبلت ... اعمالكم عند الكمال
والنصر جاء سوالمستمال قطعا من جلال
والنصر جدكم ... ولا برد الخدود ال
يا ايها الحبر الذي ... حويت هاتيك الخصال
ابقاك ربي ملجأ ... الى النساء والرجال
ممتعا منعما ... بما حباك ذو الجلال

وللاديب سليمان الحوات ... بالغرام

حتى اسطلا شهرت ان الماء عذب ... فكيف ابتع فيه اللؤلؤ الرطب
وكيف جاوره جمر فالتحف ... وما تعاوره من برده عطب
واحر قلباه من نار بوجنتها ... برد الرضاب ولم يبتل لها لهب
قد نمقت من بعد اعلام سارية ... عسى تبل فؤادا ساءه اللغب
يبيت الشوق احيانا وينشره ... فكم يموت ويحيى وهو يضطرب

ومنها في التخلص

جودي بوصلك لي والمهر يا املي ... العقل والروح لا ورق ولا ذهب
لم يبق لي نشب اما اذا رجع ال ... مولى فعندك مني المال والنشب
حبر بدعوته الاوزار تغتفر ... ومن سحائب الامطار تنسكب
تهز نفحة اشعاري مناكبه ... كما يهز فتاه العيلق الطرب

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

لذاك والله خير الناس قاطبة | وجوده فوق ما جادت به السحب
كأن عيني به والحي مبتهج | يزهو بطلعته لا اساءها نحب
تُغله فرس من فوقه اسد | في وجهه وكفه يلتهب
ان جال قطّع اوصال الرجال وان | جال استطال عليها الويل والحرب
يا قاصد البيت لولا ما ت حجرته | سعى اليك كما تسعى له العرب
انت ابن بيت بيت الله يعرفكم | يا آل ياسين فيكم جاءت الكتب
لم يبق جودك لي في المال من ارب | فدعوة تتحاماني بها النوب
جود نتى الخير في حل وفي سفر | كالغيث ينهل داب ومنسكب
انت الذي تغبط الدنيا بدعوته | تقبل الله ما يولي وما يهب
عسى يبدل اعساري بميسرة | ويصلح الله ايامي فتنقلب
زر حج طف واعتمر ارم الجمار على | قلب الحسود وعد لا فاتك الارب
لا زلت ارفل من حجو واورم من | لبتوا على عرفات المجد واقتربوا

ولما كان الامير في المدينة المنورة كتب الى ابن عمنا الفاضل الاجل الشاعر الناظم الاكمل السيد الطيب بن المختار يخبره بما اسنى الله له من الفتح المبين والحصول على التمكين بعد التلوين في ربيع الثاني من سنة احدى وثمانين لما بلغه انه رجع الى الشام بعث اليه برسالة ذكر فيها وصول مكتوبه اليه ثم جعل يمدحه ويهنيه ويمدح له حسن اعتقاده فيه وشديد محبته اليه واعتماده في سائر اموره عليه وحسن سبكها وعذوبة الفاظها ولطافة معانيها ومتانة مبانيها ظهر لي ان اثبتها هنا كلها وليس لا رضى رسالة من قريب حبيب قال رحمه الله الحمد لله الذي بحمده يفتتح وهو الفتاح العليم والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم والكرم العميم وعلى آله وصحابته ذوي الشرف الباذخ والفخر الصميم

يا قادما عمّت الدنيا بشائره | ابشر بمقدمك الميمون طائره

قدمت

1

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

قدمت بالخلق في نُعمى وفي جذل | ابدى بك البشر باديه وحاضره
إمارة الدين والعز الذي رُفعت | اعلامه والثنا العبايق زاخره

الامارة التي اشرق في سماء العدل شهابها واتصلت باسباب المجد اسبابها واجيلت قداح الفاخر مكان الى جهة الله انتسابها واشتملت على العفاف والطهارة اثوابها المتاحل على مرضات الله اصيل مجده المتسم بالمرابط المجاهد على اقبال سنده وجدة عمره مخدوم الملوك على شدة باسها وعظيمها على اختلاف اجناسها

ملك تتوج بالمهابة عنوما | لم يستجز في الدين لبس التاج
ماضي العزيمة والسيوف كليلة | طلق المحيا والخطوب دواج

سيدنا ووسيلتنا الى رب العالمين مولانا عبد القادر بن شيخ الاسلام وقدوة الانام مولانا محمد الدين رزقكم الله تابيدا تبوى له الجياد الجرد والرماح الملد ارتياحا واهتزازا وعزا يطأ من اكناف البسيطة وارجائها المحيطة سهلا وعزازا ويمنا يشتمل من بلاد الله اقطارا نازحة ويعم احوازا ومجدا يجوب جيوب الآفاق جوب المثل السائر عراقا وحجازا

لا زلت تُرقى وتَرقى في العلا ابدا | ما دام للسبعة الاولاك إحكام

وسلام كريم طيب عميم ختامه مسك ومزاجه من تسنيم على ذلك الجناب الرفيع الطاهر في اقصى المغارب والمشارق في زي يسير من عبد اعوزته ذنوبه والعوزته من حسنائكم عيوبه فصب بعث مطاياه بذكركم | فليس ينسالم ان حل او سارا

الا انه حادثات الدهر تمنعه | وقد اقامت له الايام أعذارا

وبعد فان كتابكم الصادر من طيابة المتحرر بالالفاظ العذبة المستطابة المشرق شمسا في سماء الفصاحة والبلاغة المنسبك تبرا في صناعة الصياغة المبدي لناظره دلائل الاعجاز النظم بلطافته عين الحقيقة في خيال المجاز قد وافانا ونحن في غاية الارتقاب لما يصل الينا من ذلك الجناب فعظم موقعه في نفوسنا وقبلناه اجلالا ووضعناه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

فمن رويتنا وانشدنا عند ازالة اللثام وفض الختام لتشبه الحال بالحال قول ابي تمام

فضضت ختامه فتبلجت لي ... غرائبه عن الخبر الجلي
وكان اغض في عيني وانرى ... على كبدي من الزهر الجني
واحسن موقعا مني وعندي ... من البشرى اتت بعد النعي
وضمن صدره ما لم تضمن ... صدور الغانيات من الحلي
فكاين من معنى خطير ... وكاين فيه من لفظ بهي
رسالة من تمتع منذ حين ... ومتعني من الادب الشهي

ثم تتبعنا غرائبه واسطاره وحللنا زاكيه واشطاره وقمنا بواجبه القيام الحسن واحتفلنا به احتفال المامون ببنت الحسن فتساقط علينا رطبا جنيا وهمى ودق عن الربيع من مكانا وليا ووسميا فجاد واروى واجاد فيما روى واحيا من القريحة ميتا كان حيا فيا برى

ستكشف عن سر الكتابة مثل ما ... رأيناك عن سر البلاغة تكشف

فوالله لقد سرت معانيه في الجسد روحا واشرقت في سويداء الفؤاد بوحا وما عسى ان نقول وما هو الا لطافة نسيم او سلافة نديم فلذا سكر كل رقيق طبع رجيفه وشكر والامين برسالة محمد ولوالده المنتسبي وما كبر فتلقينا منه حقيقة الحال بعد الالتباس واخذنا وجه الخبر من نصه المغني عن القياس فاستفدنا منه ما حصل لكم من النعم الوافية والاستمدادات الكافية زيادة على ما لو لكم من المواهب وتكملة لاعلى المراتب واسنى المطالب وانكم لا زلتم مترددين بين مكة والطائف وطيبة ذات المحاسن واللطائف اونة بحرم الله واونة بحرم رسول الله

ربوع بها تتلو املائكة العلى ... اماني وحي بين ذكر وقرآن
وعرش فيها للنبوة كوكب ... هو البحر طام بين هضب وغيطان
مطالع آيات مثابة رحمة ... معاهد املاك مظاهر ايمان

وانكم طالما وردتم من تلك الحياض ومتعتم ناظركم في تلك الرياض لنفحاتها متنفسا

الصحابة

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ولعرصاتها مقبلا ومعظما وانت سابح بالاهبة وبالمحبوب الوداد وحديرتم كما قال القاضي ابو الفضل عياض لمواطن عمرت بالفضل والتنزيل وتردد فيها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر والتشر فيها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس وآيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيئين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها

يحق علينا ركوب البحار ... وجوب القفار اليها ابتدارا
فيا فوز من جاز في طيبة ... بلثم المغاني جدارا جدارا
والقى خدا على تربها ... واكل جفانها واعتمارا
واهدى السلام لخير الانام ... على حبيب واني عليه مزارا

والعاجز مثلي اذا سارت الركاب تعلق بالاسباب وانشد متمثلا وعلى النية الصادقة ان شاء الله معولا

يا سائرين الى المختار من مضر ... سرتم جسوما وسرنا نحن ارواحا
انا اقمنا على عجز ومن قدر ... ومن اقام على عجز كمن راحا

والحق ان الحازم من احتاط على كل حال بقول حازم في تشطيره الحجازية الطليل مخرجا لها من ذلك السبيل

وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلا ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وزر روضة قد طاب طاب نشرها ... لما نسجتها من جنوب وشمال
والثم بها اخلع محرما ومصرفا ... لدى السدر اليمنة المتفضل

لو ان كعبة فضلها ودّ معي لسعودها   على النحوس بل ودّ معي محلي

ومثلكم من يرعى الى الله حق الرعاية ويجري في معاملاته على ما أسّس من حسن البداية فقد انقطع والحمد لله رجاء الحاسد وسلم المعاند وتساوى في ذلك الغائب والشاهد وافر بفضل الله الجاحد

ومليحة شهدت لها ضراتها   والحسن ما شهدت به الاعداء

فان يجاري الصحاح قاموسا او يباري السحرةُ عصى موسى فليتطاول بعد المتطاول وليساجل المساجل فالكل دون تلك الغاية وقف وشهد بالعجز عن ادراك ذلك الشأو واعترف وباب الانفراد بالفضل وظهر وانتشر الاختصاص بالمجد انتشار الغزالة واشتهر وسل الحال في ذلك مسند الخبر

فالوصف اغنى وما اغنت شهادتهم   لكنها زادت البيان تبيانا

فهنيئا لك ثالث العرس الجامع بين فضيلتي عالم المدينة وعابد الحرمين ذلك الشرف الصميم والفخر العميم والعز العظيم وعمل سلفك القديم فكم معاهد في ارض الله عمروها ومدارس بيت قواعد الدين عمروها انساب طاهره وعلوم باهره وايادي غامره وسيوف للاعادي قاهره ووجوه ناضرة الى ربها ناظره

لا ينتهي نظري منهم الى رتب   في المجد الا ولاحت فوقها رتب

فكم انعشوا من ارماق وفكوا من وثاق ودروا على الخلق من ارزاق فهذا فرت لهم البرية وشهدت وما قلت الا الذي علمت فما هي والله الا طريقتهم المثلى سلكت وشمائلهم الفضلى ورثت فملكت وقد اشار العبد الى هذا المعنى في القديم وسبق قوله فيه وان كان فجهله بقواعد التقريض غير مستقيم

شيم بهن الراسيات سماعها   وبجي انف الزمان عزال
اوجات والركن الامام المرتضى   للدين والدنيا بحسن خلال

لو

لك فيهم الفخر الكبير وان يكن   لك في العلى نسج على منوال
كل الكمال لهم والفت مفرد   والبرء عين الاحل عند مثال

هذا وقد بلغنا من الالسنة الواردين من الحضرة الحجازية والديار التهامية انه اجتمع في سفرتك هذه بشيخ عارف اخذت عنه واستفدت منه ان كنت أصدق بما سمعت بعد ما حلت من فضل الله الذي لديهم ما علمت ولقوة اعتقادي فيك وحصول العلم الذي لا يقبل التشكيك فقد جلت في مغارب الارض ومشارقها وسبرت الرجال وكشفت عن حقائقها وجالست بقصد الاستفادة علماءها ولازمت برسم التبرك شيوخ الطريقة وكبراءها فلا بحرا وربعت شراعه ولا برا وطئت كما هو في علمك ذراعه فحصل لي من انواع الاغتراب ومشاق السفر ما لا اصفه من العنا ثم رجعت وانا بعد ذلك كله انا من رايت من ذهب بظاهره مع الشريعة ووقف بباطنه مع الحقيقة مثلك ولا من تعرف من صدور الكراسي والمنابر والسنة الاقلام وافواه المحابر معرفتك فمقامك مقام عارف لا مقام مريد ومثلكم من يفيد لا يستفيد وان كان من عجائب الدهر ومن باب يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر وسبيل المزية تكون في المفضول دون الفاضل وشاهد ذلك كله حديث ما المسؤول باعلم من السائل اقول هذا والحق ان طريقة التسليم اسلم فمن صنع الله ما لا ادري وفي علمه ما لا اعلم والان سيدي فحج مبرور وعمل متقبل وسعي مشكور

فيا هنا امير المؤمنين لا مسه   اعواههم ما ان بغيرك تنطق

هذا ولا زالت بحمد الله سوى ما عودتكم من الصنائع التي تشام بوارق التشييع من خلالها وتدل مخايل بداياتها على حسن مآلها والود الذي يحل موقعه في النفوس وتضيق عن حمل بعضه هذه الطروس

فلا تنسني من اهل ودك انني   اخاف الليالي ان تطول فتنساني

وقد اقتضى المقام ختم هذه الرسالة بقول ابن خاتمة ختم الله لنا ولكم بحسن الخاتمة

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ومثل ذلك مما يرتاح له اللبيب ويستحسنه الاديب وللارض من كاس الكرام نصيب مع ما في ذلك من وضع النقل في محله بلا مرا ومطابقة الحديث لاصله كما ترى

فديتك بما سر النفوس من اجتلاوه ⁂ بطيبتك ما عم الجميع هناؤه
قدوم بخير وافر وعناية ⁂ وعز مشيد بالمعالي بناؤه
ورفعة قدر لا يداني محلها ⁂ رفيع وان شاهى السماء اعتلاؤه
غنيت بامر المسلمين بكلهم ⁂ بما زخيمة قد توالى دعاؤه
بلغت الذي املته من صلاحهم ⁂ بادركت ما سوا عظيما جزاؤه
فيا واحدا اغنت عن الجمع ذاته ⁂ وقام باعباء الامور غناؤه
بقيت وصنع الله يدني لك المنى ⁂ ويولبك من مصنوعه ما تشاؤه

هذا ما سمحت به العجلة التي ركضها الدهر ما ضناها واستشقها الحادث الجلل بغفاها والرجوم المخدوم للخادم العفو عما هو من عثرات القلم لازم فالقلب بلواعج الشوق مشغول والعكر يتزاحم الاهوال مشغول والعذر عند خيار الناس مثالكم مقبول والا فلسان الشكر وان طال قصير وتحرير جمل المحامد وان حصل الاطناب بها يسير ووالله لو جاز ان تساعر نفس عن انسانها او تزحل عين عن انسانها لكنت اول من سبق الكتاب بنفسه لتفوز العين بمشاهدة جمالكم المزري ببدر الافق وشمسه وما كان الملوك يختار المخاطبة بالقلم عن المشافهة بالفم والغفل عن تلك الغدوم لا كن لا حيلة مع المقدور والله ميسر الامور ودمتم سيدي في عز وامان ما استجد الجديدان كتبه عن ود صادق وقلب في الاشواق خافق تلميذكم المفتخر بالانتساب اليكم في افتخار مجلكم الطيب بن المختار اصلح الله احواله واجرى على وفق الشريعة اقواله وافعاله وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد واله وصحبه

ما نتق المشتاق طرس رسالة ⁂ بحديث اشواق وبث غرام

بكما

بشوة

ابو حسن لو قد رآه احبه ⁂ وقال له انت الخليفة يا بحر
وما كل مدعي الخلافة صادق ⁂ اذا سبق للميدان بان له الخسر
وعند تجلي النقع يظهر من علا ⁂ على ظهر جرد بل ومن تحته حمر
وما كل من يعلو الجواد بفارس ⁂ اذا ثار نقع الحرب والخبر مخبر
ويحمي ذمارا يوم لاقى حفيظة ⁂ وكل حماة الحي من خوفهم فروا
ونادى ضعيف الحي من ذا يغيثني ⁂ ألا من غيور خانني الصبر والدهر
وما كل سيف ذو الفقار بحده ⁂ وما كل كرار علي اذا كروا
وما كل طير طائر في الجو بازك ⁂ ولا جارح يوما اذا احرم الصقر

ومنه

عجبت لباغي السير للجانب الذي ⁂ تعدس كيف لا يحد له السير
اليه ويلقى نفسه بفنائه ⁂ بصدر تساوى عنده السر والجهر
ويلقى مناخ الجود والفضل واسعا ⁂ ويلقى جوارا طاب نهلا به القطر
ويلقى رياضا ازهرت بمعارف ⁂ فيا حبذا المرأى ويا حبذا الزهر
ويلقى جنانا مثل فردوسها العلي ⁂ وما لجنات الخلد ان عبقت نشر
ويشرب كاسا حرمة من مدامه ⁂ فيا حبذا كاس ويا حبذا خمر
فلا غول فيها لا ولا عنها نزفة ⁂ ولبس بها برد ولبس بها حر
ولا صوبعد المزج احمر فاقع ⁂ ولا هو قبل المزج قاني محمر
معتقة من قبل كسرى مصونة ⁂ وما ختمها دن ولا نالها عصر
ولا شانها زق ولا مسها شر ⁂ يا حاملها كلا ولا نالها تجر
ملوك الا ملاك حتى انا شربها ⁂ تخلت من الاملاك طوعا ولا قهر
ولو شهقت الاملاك في الدرس بعضه ⁂ لما طاشوا عن صوب الصواب ولا اعتزوا

حمى العلم كل العلم والمركز الذي | به كل علم كل حبي له دور
فلا عالم الا خبير بشربها | ولا جاهل الا جهول بها غمر
ولا غبن في الدنيا ولا مار زينة | سوى رجل عن نيلها حظه نزر
ولا خسر في الدنيا ولا هو خاسر | سوى واله والكف من كاسها صفر
اذا زمزم الحادي بذكر صبا بها | وصرح ما كنى ونادى ثنا السحر
وقال اسقني خمرا وقل هي الخمر | ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر
فصرح بمن تهوى ودعني من الكنى | فلا خير في اللذات من دونها ستر
ترى ذا لغيها منها هامت عقولهم | ونار لهم بسط وخامرهم سكر
وتاهوا اجلهم بدر واس التيه من هم | وشمس الضحى من تحت اقدامهم عفر
وقالوا بما في الكون من يرجى غيرنا | فنحن ملوك الارض لا البيض والحمر
تميد بهم كاس بها قد تولهوا | فليس لهم غرب وليس لهم شكر
حيارى فلا يدرون اين توجهوا | فليس لهم ذكر وليس لهم فكر
فيطربهم تحت ثالي في الحمى | وزمزمهم رعد بسلع له زأر
ويسكرهم طيب النسيم اذا سرى | تنفس بهم سحرا وليس بهم سحر
وتبليهم ورق الحمائم بالدجا | اذا ما بكت من ليس يدري او كر
بحزن وتلحين تجاوبنا بما | تذوب له الاكباد والجلمد الصخر
وتسبيهم غزلان رامة ان بدت | واحداقها نيل واجيادها شمر
وفي شمسها حقا بذلنا نفوسنا | فهان علينا كل شيء له قدر
ومطنا عن الاوطان والاهل جملة | فلا فاجرات الطرف تثني ولا قصر
هجرنا لها الاحباب والصحب كلهم | فما عاقنا زيد ولا راقنا بكر
ولا ردنا عنها العوادي ولا العدا | ولا هالنا فقر ولا راعنا بحر

اهـ

وفيها حلا لي الذل من بعد عزة | فيا حبذا هذا ولو بعدوه مر
وذلك من فضل الاله ومنه | علينا فما للفضل عد ولا حصر
نفلا وفوا نعم الوهاب ان بشربها | فله حمد دائم وله الشكر
فقل لملوك الارض انتم وشانكم | فقسمتكم ضيزى وقسمتنا كثر
خذ الدنيا والاخرى وباعد هما معا | وهات لنا كاسا فهذا لنا وفر

ومنها

هنيئا لنا يا معشر الصحب اننا | لنا حصص امن ليس يطرقه ذعر
فنحن بضوء الشمس والغير في دجا | واعينهم عمي وفي اذانهم وقر
ولا غرو في هذا فقد قال ربنا | تراهم ينظرون في فليهم شكر
الا فاعملوا شكرا لمن جاد بالذي | هدانا ومن نعمائه عمنا البر
وصلوا على خير الورى خير مرسل | وخير هداة الخلق من لهم الامر
عليه صلاة الله ما قال قائل | امسعود جاء السعد والخير واليسر

اهـ

ذكر سير الامير من مكة المشرفة الى المدينة المنورة

وفي اول يوم من رجب سنة ثمانين توجه الى الحجون ومنها الى الحرس الرئيس ثم بدر ثم بير عباس وكان حافظ باشا مخيما فيه ينتظر القوافل القاصدة الى المدينة المنورة من الجهات فاحتفل للقاء الامير وضرب له خيمة الى جانب خيمته واتصل خبره بمشايخ قبيلة حرب الشهيرة فجاء اليه وسيما أنهم في جماعة من الاعيان فاكرم نزلهم وعرض ان يكونوا في خدمته الى المدينة فيعاملهم وشكر ثم دهم اليه واظهر لهم الكفاية بحماية المدينة حافظ باشا وعسكره وبعد ان تلاحقت القوافل ارتحل الباشا في معيته الى المدينة المنورة فدخلوها في السابع والعشرين من رجب واستقبل الامير جم غفير من اشرافها وعلمائها في وادي العقيق على مسافة بعيدة منها وكان

الشيخ محمد الوزيرلي المعروف بالمنتظر تهيبا لنزوله عنده فاجابه الى ذلك واقام في ضيافته ثمانية ايام ثم استاجر منه بيته الكائن في مربع الختام النبوي قرب باب السلام بخطوات قليله واشتغل بالتاثر بعد اخذ الراحة من عناء السفر طلب محلا لخلوته في المسجد الشريف فيجيبه له السيد احمد اسعد افندي الشريف الشهير محلا لهم لطيفا بجدار المسجد وبابه من داخله وهو في الاصل بيت سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه الذي له خوخة في المسجد وهي التي قال فيها صلى الله عليه وسلم كل خوخة في المسجد تسد الا خوخة ابي بكر فاتخذ الامير ذلك المحل الشريف لعزلته عن رفاقه وعن الناس مدة شهرين هبت عليه فيها نسمات لدنيه ونفحات ممزوجة بانفاس ملكيه متوية باسرار رحمونيه مصحوبة بانوار محمديه وعنايات حقيقيه فوثبت بها معارفه وزلت عوارفه وانبثت اشعة انواره وانبعثت كوامن اسراره وانكشفت حقائق الايات القرانيه والاحاديث النبويه وظهر له ومنه منار العلم مرفوعا وصار يشمل انواعه لوبه مجموعا الان الحق فيه المفرد الجامع والكعبة التي يؤمها الغريب والشاسع بل قطب الدوائر الحائز لكمالات الاوائل والاواخر ومن طالع مواضعه في الحقائق وقف على ما اشرنا اليه وعلى زيادة كثيرة عليه ولما وصوله الى المدينة المنوره مدحه بعض ادبائها بقال

بشرى لطيبة بالهمام الزائر   اكرم به من ليث غاب زائر

وافى حماها راضي في شوق لـه   من بعد طول تباعد وتهاجر

فتمايلت اعطافها بوصولـه   فرحا ونوّر كل روض ناضر

وبوطئه شرفت رحابها كما   شرفت بجده في الزمان الغابر

وتارجت ارجاؤها من طيبه الشذا   كى ورب شذا ابيه العاطر

ولسان حالها قال اهلا مرحبا   بك من غضنفر ليث غاب كاسر

فلطالما قد كنت في شوق الى   رؤياك لا ان يلوح لناظر

فالان منى العين قد قرت كما   باتت به قرت عيون مسافر

عبرهرس

له

وبغورة المناف زاد تشرفي   اذ حل من حي الشهم عبد القادر

نجل المحيي الدين البتول خلاصة الا   اشراف بل شبل الرسول الطاهر

حبر كسى حبر الفضائل والتقى   بحر العلوم بلا مرا ماهر

وروى احاديث المعاجر والمعا   لي مسلسلات كابرا عن كابر

شهم تقضى منذ شرخ شبابه   في نصرة الدين الحنيفي الزاهر

واقام احقابا بجهوة سابح   يرمي الطغاة بصاعقات بواتر

وحبا عشائره وفارق ربعه   طلبا لمرضات المليك الغافر

نال المعالي بالعوالي والظبا   فلذا له خضعت رقاب الكابر

ولكم بجا رمة اباد كتائبا   ذهبت هباء مثل امس الدابر

ان اغمد البيض الرقاق بكفه   بلت الرقاب بخنع دمع هامر

واذا انتضاها يوم الكريهة تجففه   سجدت له قمم الظلوم الجائر

بطل اذا لبس الغناء حجحل   كادت جناحاه بدون تشاور

واذا احس الجيش رجع زئيره   بلغت نفوس سرائه بحناجر

والليث ان يسمع صهيل جواده   يغدو فؤاده في جناحي طائر

وحسامه ان لاح برق فرنده   بغمام نقع مَزّقَ قلبُ الغادر

يلج الخميس بطاقى ويعامل   فيعود يقسم خمسه لعساكر

يلقى الكماة الصيد مرداة الوغى   فيرد وردهم بدون مصادر

وبديه ان هزت انابيب القنا   قطعت نفوسا في صدور قساور

البيض عقبان العلا ونسوره   منذ ابتكره بكل نقع ثائر

اني يسير سيرب حوله تبتغي   عادتهن بشلو علج كاسر

وثعالب الغطى بعد اوامها   وردت حياض طلى العدو العاجر

٨٨

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

مولاي انى في الثناء مقصر | انى لمثلي غوص بحر زاخر
وحلبة الادباء يوم رهانهم | لست المجلي بل ولست بشاعر
لكن قصدي من جنابك دعوة | بصلاح حالي جنح ليل عاكر
اولا فعقلي كيف احصي عده | وصفات ذاتك ما لها من حاصر
انت المجدد للبرية دينهم | بالكتب والسيف الطرير الباتر
لو جئت في العصر الغوابر الورى | لم تلق منهم غير شهم شاكر
لكن عصرك فيه ناخر وفتنة | وانى مجيئك في الزمان الآخر
فالصبر افضل ما يكون لذي النهى | وكفى الكتاب مبشر للصابر
يا شكر الاله أن حباك بزورة | لختام رسل الله افضل شاكر
والسعد فوق حماك مهنئا | لك بالوصول الى النبي العاطر
واتى القبول اليك منه مؤرخا | ببشراك انت اعز جب زائر

٥٢٣ ٤٥١ ٢٨١٠٧٨

١٢٨٠

واستمر الامير محافظا على وظائفه واوراده في الجمعة وفي ذلك يستمر داخل الخلوة والا في حال الجلوة وكان في الشهر الاخير من اقامته في المدينة المطهرة يكثر من زيارة احد وقبور الشهداء والبقيع والصلاة في مسجد قبا المؤسس على التقوى وكان يجيب من دعاه الى الضيافة فيتسابق اهل المدينة اذ ذاك والتزم فيه الشريف الامجد السيد احمد اسعد وبنو عمه ودعي يوما الى البستان المعروف بالقائم في قبا وذلك في ايام الزهر وكانت المائدة حافلة والمجلس مشمول بانواع الطيب علاوة على الزهور التي ينثرها النسيم عليه وفي اثناء الجلوس قال الامير بيتين وهي

تجرني بعود الطيب لا زلت طيبا | ورشني من ماء الزهور بالورد
وما هي تجيبني ولكن تعاولا | بعود الى عود وورد الى ورد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ثم دعي اليه مرة اخرى فجاءت منه التفاتة الى جبل احد ثم اطرق ساعة وحصلت له غيبة ثم سري عنه فانشأ يقول

تذكرت وشك البين قبل حلوله | فساحت مدامعي تسيل على خدي
وفي القلب نيران تاجج حرها | سرت في عظامي ثم سارت الى جلدي
وما لي نفس تستطيع فراقهم | فليتها قبل البين سارت الى جلدي
الى الله اشكو ما الفاه من الجوى | وحيلي لا تستغل به ابدي
بطيبة طاب العيش ثم تمررت | حلاوته فالنفس اذ تبكي على البعد
اردد طرفي بين وادي عقيقها | الى قبا ثم الى راسي الى احد
منازل من هويت طفلا ويافعا | وكهلا الى ان صرت من شيبي في برد

وفي مدة هذه الاقامة في الحجاز لما توفي ملك اليونان الاسبق انعقد مجلس نواب الامة اليونانية في اثينا للنظر فيمن يولونه ملكا عليهم كتبوا اسمه في جملة المنتخبين ونادى كثير منهم باسمه وكذلك امة اسبانيا انتخبوه في جملة المنتخبين للملك عليهم حيث كانت الفتنة بينهم قبل ان يتولى ملكهم المتوفي اخيرا فشكر الامير الامتين على اعتبارهم لمقامه بما دل على ما تكنه صدورهم من اكباره واعظامه

(ذكر رجوع الامير الى مكة المكرمة)

ثم لم يزل الامير يتردد في المدينة المنورة بين معاهدها الشريفة ويغتنم الروضة للتبرك باماكنها المنيفة الى ان حضر الركب الشامي اليها في الثالث والعشرين من ذي القعدة وفي السابع والعشرين منه توجه فيه عائدا الى مكة المشرفة واحرم بالحج من ذي الحليفة وبعد الفراغ من الحج ومناسكه قام اياما للراحة والاجتماع باهل محبته من اهل مكة واخوانه في الله فكان يكثر من مباسطتهم وملاعبتهم ويخوض معهم فيما يروح النفس ويبسطها حتى انه قال في بعض مجالسه وقد راى ما يبدو من شروط اهل مكة على الخروج وانشد قول بعضهم :: رايت لها شرطا على الخد قد حوى :: جمالا وقد زان الملاحة بالقرط :: فقلت مرادي اللثم قالت بخلوه :: فقبلتها الفا على ذلك الشرط فانكر رضي الله عنه هذا وقال :: اقول لقوم لا تغير مقالتي :: لديهم وتحكي لا بعيد اقالتي

الحمد لله وحده وهو اللطيف بنا وسوانا محمود البر

(خلقه)

ان كنت لي يوماً تفي بعهدك وافيا   ما ضرني ان كان غيرك غادري
فاذا رضيت فكل شيء هين   واذا وصلت فلم أبال بهاجر
واذا بغيرك كنت يوماً تابعي   لم اخش شيئاً بعده لك خاطري
يا فاتني بدلاله وشمائل   وكماله وجماله ذا الزاهر
عقلي سلبت ومهجتي فارددها   لأجيد مدح شمائل لك باهري
وليعلم الغزال انني صادق   بوصف حسن حلاك وصفة شاكر
يا محرقي شوقاً بنار جفونه   ارأيت قبلي محرقاً بالعاشق
يا بدر تم تاه قلبي حبه   يا شمس حسن فوق فلك سائر
يا ظبي انس شاع حسني شكله   لكن له طبع الغزال النافر
هلا رثيت لحالتي ورفقت بي   ووعدتني عودة ولو بالخاطر
لكن الحشا مني وعيدك قسوة   قبل العراق بان تكون معاشري
لو كنت تدري ما لقيت من النوى   لرحمتني ووددت انك زائري
مذ غبت عنك ارتد عن طرفي الكرى   من بعد ما هو في ارتداد الكافر
واهتاج وجدي واستثيرت لوعتي   وبدا لعينك ما اكن سرائري
اني وحق هواك غاية مطلبي   وسنا محياك الصبيح الناضر
من يوم لحت لناظري مالاقني   شيء ولم يملأ جمال ناظري
ما كان حسن سواك يوماً شائقي   كلا ولا لحظ لغيرك ساحري
اضحى ولا جلاس حكاك بشكله   لا شكله اذ ذاك دون النادر
كيف اصطباري اليوم ولا اجل انقضى   وابيت ارعاه بطيف زائر
ويبهجني أني اراه ساعة   قبل الممات معانقي ومسايري
صيداني بلغو بأني ساهرا   والطيب ليس بزاخم شاهر

مصدر

أنسيت عهدي حيث ملت مع الهوى ... ولغير عهدك ما ذكرتك ذاكري
اما انا فكما علمت على النوى ... والقرب حبّ فيك غير مغاير
شيآن لست اطيق صبرا عنهما ... ذكرى لقاك ومدح عبد القادر
هو ذلك الشهم الذي شهدت له ... كل البرية بالفعال الفاخر
ومناقب محمودة وشمائل ... مرضية ومحامد ومآثر
هو ذلك المولى الممدح سعيه ... عند الاله وعند كل مفاخر
هو ذلك الفرد الذي اضحى له ... امدوحة في البادي وفي الحاضر
وهو النجيب لدى الملوك نزاهة ... والنازح النسب الكريم الطاهر
من معشر العرب العريق فخارهم ... اهل المكارم كابرا عن كابر
العاملين بمحكم التنزيل والنفس في التعليل حزب العاشر
الناجين اذا غشوا واذا دعوا ... بالبراز فنحرهم للث حير
المؤثرين على خصاصتهم وقد ... نظروا الى الدنيا بشزر غادر
ولرب قوم يحسبون خلاقهم ... فيها وغاية لهوها كالعابر
ولديهم رد التحية منة ... كبرى بها احياء عظم ناخر
يحيي الليالي بالدعاء تهجدا ... فيثيب في الاعداء اي جماهر
ويروم اشقوة الرجال الغاوة ... حتى يخبروا عن نداء الناصر
في قلب كل محنك من رعبه ... ما عنده يحجم كل ليث زائر
ويكل حرب من بليغ كلامه ... حرب يفلهم بحرب الباتر
العقل شيمته وسيمته التقى ... لله والمستبان اجر الشاكر
يبدي الندى قبل السؤال وبشره ... للزائرين منوه بمنائر
يغنيهم من ان يشتوا عنوة ... بجزورة وحنينهم وادا حير

محمد

محمد

جمعت الزمان فلاؤه فكبا ولم ... يبرح وفيه لدينه سورة آمر
ولغير يكون النسر يوما واقعا ... ويعود بعد الرمطير الطائر
فالله فيكم من بغار لدينه ... والله يخذل كل عات فاجر
والله حز يداول الايام ما ... بين العباد لسابق ولفاجر
سكن الامير وطار في الدنيا اسمه ... وروى المعالي عنه كل معاصر
فالعجم بين موقر ومبجل ... والعرب بين مفاخر ومكاثر
يا ناصر الدين العزيز وحزبه ... يا خير صبار واعظم شاكر
يا خير ناه عن تعاطي منكر ... ويخطنه المعروف افضل آمر
لا تخش من باس فربك قاهر ... يدعائك اليمون جيش الجائر
لك حيث كنت عناية صمدية ... زعمي حماك ونصره في قادر
كن كيف شئت فان اجرك ثابت ... في اللوح وهو اجل ذخر الذاخر
فاذا صدمت فانت اعظم خادر ... واذا اطعت فانت اكرم سابر

ونعود بالرجوع من كرم سيدي المكرم الامير المعظم ان يسمح لي بالمثول بين يديه ساعة من الزمان قبل سيره بالسلامة من هذا المكان فاني كثير الشوق الى تقبيل راحته والى التبرك بيمن حضرته ولولا خوفي من الملام لوافيت بهذه القصيدة وقدمتها بيدي لذلك المقام لكني خشيت من اساءة الادب والجراءة على القدوم قبل الطلب واني لامرك العالي منتظر ودايم لجنابكم بالعز المستمر حرر في التشريب ثاني سنة تسع وستين ومائتين والف وبعد وصول الامير الى انبواز اخذ ينظر في معدات السير ولوازمه وفي تلك الايام انعقد مجلس نواب الامة الفرنساوية للمذاكرة في ادالة الجمهورية بالامبراطورية وتخصيصها بالعائلة النابليونية وبعد الاتفاق على ذلك صدرت الاوامر الى سائر الولايات فرنسا وايالاتها بالانتخاب على حسب اصطلاحهم ولما بلغ هذا الامر الى انبواز بعث الامير الى حاكمها يقول

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

حيث انا اقمنا في هذه البلدة اربع سنين فللناس الاشتراك مع اهلها في الانتخاب فاجابه الحاكم الى ذلك فكتب الامير ومن معه انتخاب البرنس نابليون وجعلت اوراقهم في درج مخصوص وبعثها الحاكم مع اوراق اهل البلد وذلك في الثاني والعشرين من تشرين الثاني سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة والف ولما تم الانتخاب من سائر بلاد فرنسا وجدت الاكثرية للبرنس نابليون فحكم المجلس له بالامبراطورية ونفذ الامر بذلك واصبح البرنس امبراطور فرنسا وطار الخبر في الارض وانتشر في الطول منها والعرض وشاع امره وذاع وبلغ الملوك والرعايا وتحلى بذكره كل لسان ولم يختلف في نصرة المنتخبين له اثنان وفي اليوم الثاني من كانون اول توجه الامير الى باريز ليؤدي مراسم التهنئة فاكرم الامبراطور وفادته واعظم تهنئته ثم خصه بمجلس حضره الوزراء واعيان الدولة في قصر التيلري واول دخوله عليه تلقاه وصافحه وقال له اراك ايها الامير كيف كان صوتك ميمونا علي فاجابه الامير ان صوتي قد اعرب عما في ضميري من ارادة الخير لك واني احمد الله تعالى الذي عجل لك بالجزاء عني بما تريد قبل خروجي من فرنسا وارجو منه تعالى ان يزيدك من فضله ويوفقك الى ما فيه رضاه فسر الامبراطور وتهلل وجهه لهذا الجواب وتحادثا مليا في امر السفر وما يتعلق به وودع كل منهما الآخر وانقلب الامير راجعا الى امبواز وبعد ايام كتب اليه وزير الخارجية في امور فجاءه الجواب بما نصه (جناب الامير الامجد) قد اتصل بيدي كتابكم الكريم تاريخ عشرين صفر واعلم انني لو بذلت جميع ما في وسعي في حصول مطالبكم لا ارى اني وفيت لمقامكم العظيم حقه وعلى كل حال فاني الان اخبركم ان جميع الاشياء التي اشرتم بها قد اجاب اليها الامبراطور وامر بتنفيذها فاعدوا لكم سائر ما يلزم لسفركم من امبواز الى مرسيلية ومنها الى تركيا والاناضول بواسطتي ومن معه في خدمتكم من طبيب وترجمان وخدمة اجاز وزير الحرب ان يكونوا في معيتكم ويستمروا في خدمتكم البروسه واقاربكم الذين حضروا من ضفة مرسيلية لكي يتوجهوا معكم وهم السيد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

مصطفى ابو طالب والسيد الطيب ومن معهما فاني بعثت الى والي مرسيلية انه يقوم بشؤونهم الى ان يجتمعوا بكم وما اشرتم به من اسعاف ام بولاد فانه جاز القبول وامر الامبراطور ان يرتب لها في كل سنة ستمائة فرنك والكاتب التي بعثتها لخادمكم الحاج حبيب بن المهر المقيم الان في تونس قد وجهناها اليه واوعزت الى قونصل فرنسا هناك ان يسعفه باحتياجه اليه ويحمله الى المحل الذي اقمتم فيه مجانا من غير نول وما ذكرتموه من العياشي الطبيلي الذي خدمكم في هذه المدة من كونه نجح في الخدمة وصدق فيها فقد بلغته الوزير الحربي واكتسب بذلك رضاه ولا يزال يعامله بما تقتضيه واعلم ان سفير الدولة في اسلامبول قد اخبر ان حضرة السلطان امر ان يهيأ لكم في بروسه منزل يليق بمقامكم وسترون هناك ما يسركم ويسر جميع من في معيتكم وبالجملة ان مطالبكم كلها حازت القبول وكنت اتمنى اني اراكم عند السفر واجري الوداع مشافهة ولكن كثرة اشغالي حالت دون ذلك وحيث توفرت عندي اسباب المودة لكم وجب علي ان اخبركم بان احبكم وان مودتي لكم تستمر دائما على ما هي عليه الان فلا تبرحون من بالي وستسير روحي معكم براً وبحراً حرر في مدينة باريس في الثامن والعشرين من صفر سنة تسع وستين ومائتين والف دوران دولوبيس وزير الامور الخارجية وفي اول ربيع الاول سافر الامير ومن معه من امبواز الى الاستانة وما من بلد يمر عليها الا تلقاه اهلها بالمبرة والاجلال ولما قارب مدينة ليون الشهيرة لاقاه الارشيدال في الابهة والاحتفال واصطفت الجنود خارجها وكان ذلك اليوم من الايام المشهودة ثم ارتحل منها واستمر سائرا في اعزاز واعظام الى ان دخل مرسيلية فاقام فيها ريثما تهيأ لركوب البحر ثم سار في الباخرة الحربية التي اعدتها الدولة لركوبه وجعلت مسيرها اليه وعلى امره وارادته ولما وصل الى صقلية تلقاه حاكمها واجل مقامه ثم خرج في جماعة من رجال الالوية وجال في ارجائها ثم سار الى جبل النار وهو احد البراكين المشهورة في العالم وصعد الى

اعلاه من النار ترمي بجمر موقدة امثال النخت الا سيل الوادي فيذوب وتصير
ماء جاريا وهذا من اعجب ما يرى ويسمع من آثار القدرة الباهرة ثم جعل ينظر الى نواحي
الجزيرة وسهولها المنتزه ومحارثها الواسعة المعتدة وجبالها الشامخة ومناظرها
الزاهية الباذخة فيتذكر من سكنها وعمرها من المسلمين فكانهم ما برزوا عن رباها ولا
تخلوا عن بناها ولا تربوا في رياضها ولا تغذوا ببدر حياضها ولا تعيشوا في ارغد ظلالها
ولم يتمتعوا ببديع جمالها وهذه الجزيرة واسعة كثيرة المواشي والقرى والحصون افتتح
المسلمون كثيرا منها بعد غزوات كثيرة وكان اول الغزو اليها زمان ولاية معاوية بن
خديج على افريقية في خلافة معاوية بن ابي سفيان ولم يفتحها ثم تتابع الغزو
اليها في ايام بني الاغلب من اول دولتهم الى آخرها وتملكوا اكثرها ولم يزل الفتح فيها
والغزو اليها الى ان انقطعت دولة بني الاغلب سنة مائتين وست وتسعين كما تقدم
في اخبارهم ثم تجدد الغزو اليها والفتح في ايام العبيديين الى ان افتتحها عاملهم
احمد بن الحسين سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة واستقرت في ايدي المسلمين الى ان
استردها الافرنج منهم وذلك انه لما ضعف امر الخلافة وركد ريحها تفرقت كلمة
امراء الجزيرة وصارت كل جهة منها في يد امير متغلب عليها مستبد بامرها فوجد الافرنج
بذلك سبيلا للاستيلاء عليها واخذوا ينتزعون تلك الامارات من يد المتغلبين
امارة امارة الى ان بقي بايدي المسلمين منها مدينة قصريانه ومدينة جرجنت وهما
من الامصار العظيمة فنازلهما الافرنج واحاطوا بهما من كل ناحية وذلك في سنة
اربع وثمانين واربعمائة واتصل تضييقهم على من بهما من المسلمين شهورا عديدة
فلما اشتد الامر عليهم ولم يجدوا من ياخذ بايديهم وينجدهم من المسلمين وراء البحر
اذعنوا الى التسليم فسلموا واخذهما الافرنج منهم وصارت الجزيرة كلها بايديهم
ووقع باهلها مثل ما وقع باهل الاندلس ولله الامر من قبل ومن بعد وكان في معية

الامير

الامير ابن عمنا العلامة السيد الطيب بن المختار فقال قصيدة وصف فيها جزيرة صقلية وذكر
محاسنها وما لحق بها وبمن قطن بها من المسلمين من انواع النوائب وضروب المصائب
ثم تخلص الى مدح الامير وهي هذه

هذي صقلية لاحت معالمها ... تجر تيهاً بفضل الربط من أمم
دار افرلها بالفضل ذو نظر ... والفضل ما شهدت به ذوو الهمم
كانت منار هدى كانت محل ندى ... كانت سماء شموس الفضل والكرم
هذي منازلهم تبكي مآثرهم ... بكاء طرف قريح بات لم ينم
هذي المساجد قد دكت قواعدها ... هذي المآذن بالناقوس في شغم
هذي المحاريب قد عاد الصليب لها ... هذي المنابر اقفرت من الحكم
هذي الكراسي خلت عن علم ومعرفة ... دموعها بين منهل ومنسجم
اذا رأت مسلما قد زارها فرحت ... واستبشرت ثم باتت موضع الغمم
محاسن الناس بالناس الاولى عرفت ... والورد يمتاز بالبسام من السلم
يا نظرة ارجعتني ثم الغياب بها ... فراعني بسرور غير ملتئم
وازداد موقعها واشتد مبسمها ... والزهر قد بدا براعم الاكم
وكيف لا وحسام الدين حل بها ... بحر السلاطين من عرب ومن عجم
صدر الافاضل في دنيا وآخرة ... كهف الائمة في حرب وفي سلم
عبد القادر ما اسنى سناه وما ... اعلى علاه حوى معالي الهمم
رقى مراقي لم تصعد معارجها ... اسد الحروب وان ناموا لم ينم
اصل المروءة بيتها ومنشأها ... فرع النبوة لم يهن ولم يضم
عز الخلافة تاجها ورونقها ... بحر السماحة كم اسدى من النعم
اخجل شمس الضحى في الجو طالعة ... او خجل النار ان تبدو على علم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ياهناً بفضل عظيم غير منقطع — ودم في لطف خفي غير مزدحم
اولاك ربك عزا غير منتزع — وعز غيرك لم يلبث ولم يدم
ذكرنا بوسع اذ رأينا امركم — لا غرو فالفضل منه غير منعدم
كأن قطر بيروت اذ حللت به — مصر وقد حلها الصديق في حرم
مجد نبيل نجار انعودت به — وقر عينا وبالاله فاعتصم
ثم احمدنه على الآلاء معترفا — بأنه الكل من عز ومن عظم
بشرى لنا يا أهيل الود اننا — بيت اسس المجد مطويا على كرم
هذي السعادة قد لاحت بوادرها — والله يختمها في حسن مختتم

وبعد ان اخذ الامير راحته في تلك الجزيرة سار عنها واتصل سيره وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الاول وصل الى اسلامبول عاصمة الدولة العلية العثمانية ودار الخلافة الاسلامية ومحط رحال العفاة ومستقر الكرم الذي لا يخيب من توخاه

كعبة اسست على الفضل لكن — كل حين لها يحج الوفود

حيث المنازل في مطالع السرور عالية والمنتزهات باشراق سعودها متلألئة حيث الرياض العطرة بنشر الزهور ملفعة بها عرائس الدور والقصور قد مد البحر لعناقها ساعديه والامواج تتسابق لتقبيل الارض بين يديه هي القسطنطينية العظمى زينة الليالي والايام ومجمع الطم والرم من بني يافث وسام وحام فاجلنا في رحابها سوابق النظر وادرنا في رياضها قداح الفكر وتأملناها فاذا هي

مغنى الهوى ومغاني اللهو حيث بها — منها اذا طلعت بدر السما أفلا
تلك المنازل لا شرقية كاظمة — ولا العذيب ولا شعب الغوير ولا

وبعد ان ارست السفينة نزل الامير في زورق اعد لركوبه وخرج في جماعته الى البر واستمر سائرا الى ضريح ابي ايوب الانصاري الصحابي الشهير رضي الله عنه كان في الجيش الذي

زاهية²

بعثه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

سيره معاوية بن ابي سفيان امير المؤمنين للغزو على القسطنطينية سنة ثمان واربعين للهجرة تحت نظر سفيان بن عوف الازدي وكان في هذا الجيش عدة من اعيان الصحابة رضي الله عنهم منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وتوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ووقع بينهم وبين الروم حروب هائلة استشهد في بعضها ابو ايوب رضي الله عنه ودفن بالقرب من سورها ولم يزل مجهولا خفيا مصونا الى ان اظهره الله على يد ساكن الجنان السلطان محمد الفاتح² انه كان ثراه لما فتح هذه المدينة العظيمة دخلها على هيئته في الحرب وسار حتى اتى الكنيسة الكبرى وهي آيا صوفيا فوقف عند بابها وامر باخراج الصلبان والصور والهياكل منها ثم نزل عن فرسه فدخلها وكان على وضوء فصلى فيها ركعتين حمد الله تعالى على ما اختصه الله به من فتح هذه البلدة الحصينة التي هي ام البلاد الرومية وفي اليوم الثاني دخل عليه الاستاذ الشيخ آق شمس الدين فقال له بقي علينا فتح آخر وهو ظهور قبر ابي ايوب الانصاري فقال له اني رأيت نورا في موضع خارج البلد فلعله يكون هناك ثم قام وقام السلطان معه وتوجها جميعا الى ذلك الموضع فامر الاستاذ ان يحفروا في مكان عينه لهم فحفروا مقدار ذراعين واذا ببلاطة رخام ابيض مكتوب عليها كلمات بخط مجهول فاحضر السلطان مترجمين من الروم واليهود فقال اليهودي ان هذا الخط عبراني واخذوا² هذا قبر ابي ايوب خالد بن زيد الانصاري فلما شاهد السلطان الرخامة وسمع المترجم يقول هذا قبر ابي ايوب² تعجب من احساسه ~~كمال الفراسة اذاك~~ ثم سري عنه ورفع صوته بحمد الله تعالى والثناء عليه وقال اللهم الآن فتح لي ما كنت اتمناه فلك الحمد على ما انعمت علي وامر باصلاح القبر وبناء قبة لا تزال عليه اظهارا له وتعظيما لمقامه ثم ابتنى جامعا الى جانب القبة جمع عليه الايدي فتم في اقرب مدة وتوجه اليه في موكب حافل من الوزراء ورجال الدولة وامراء الجنود وبعد ان ادى الصلاة قلده الاستاذ آق شمس الدين سيفا بيده ومن ذلك الوقت جرت العادة ان السلطان الذي يجلس

قدس² سره

آق الدين

بالاستاذ²

العبرية

اعترته حالة تعجب²

به

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

على تخت السلطنة بتوجه الى هذا الجامع ويتقلد بالسيف ومن ذلك العهد اتخذت ايا صوفيا

وأول من قلد به السلطان محمد الفاتح — جامعا اسلاميا وتحققت الاشارة اليه وثبتت فيما رواه الامام احمد في مسنده والحاكم

عن بشر الغنوي لتفتحن بالبناء القسطنطينية ولنعم الامير اميرها ولنعم الجيش جيشها

وهذا الحديث من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وعلم من اعلام نبوته لما فيه من الاخبار

بالغيب وقد وقع كما اخبر صلى الله عليه وسلم ففي هذا الحديث منقبة عظيمة للسلطان

محمد عليه سحائب الرحمة والرضوان ولجيشه ثم ان الامير بعد ان فرغ من زيارة ابي ايوب

رضي الله عنه توجه الى جامع ايا صوفيا وفي اليوم الثاني من وصوله زار الصدر الاعظم

رشدي باشا وشيخ الاسلام العلامة عارف حكمت بك وسائر الوكلاء العظام والشريف

عبد المطلب والماركيز دولا فاليت سفير فرنسا وفي اليوم الثالث تشرف بمشاهدة

التفاته — السلطان عبد المجيد خان فرحب به واحسن السؤال عن احواله وشكره على ما كابده في الدفاع

عن الدين والوطن وحمده على صبره على ما قاساه في ايام اقامته عند الفرنسيس ثم مدح الامبراطور

نابليون الثالث على وفائه بالعهد والقيام بشأنه وكنت يومئذ في معية الوالد رحمه الله

فرأيت من تنازل السلطان الاعظم وتعظيمه ولين جانبه ولطفه وحسن مذاكرته مع الوالد

ما يهز له الكمال الانساني عطف معاطفه ويشير له الفضل البشري ببساط عواطفه

ويكل الاديب به متسع صدره وتعيي انفاس الرواة بذكره ثم تنازل الى السؤال عنا

وكان له هذا ولده الاكبر — فعرفه الوالد بي وبمن رافقه في الجهاد وفي فرنسا وفي تلك الحضرة العلية السيد قدور بن علال — خليفته

وخادمه قارة محمد وعند الانصراف ذكر امر السكنى في بروسة فقال له الوالد قد اخترنا الاقامة

فيها لانه بلغني انها تقرب في الشبه من مدينتنا تلمسان احدى مدن وطننا فقال له

انت مختار في السكنى في اي بلد شئت من ممالكي العثمانية فشكر فضل عظمته وخرجنا من

تلك الحضرة السنية في ارتياح وانشراح تخفق على رؤوسنا الوية الحمد وتضيء علينا من سماء

المكارم السلطانية كواكب المجد ولم يلبث الامير ان قال

الحمد

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله تعظيما واجلالا — ما افضل اليسر بعد العسر اقبالا

وما اتت نفحات الخير سانحة — من المكاره انواعا واشكالا

والشكر لله اذ لم يبق من اجل — حتى وصلت باهل الدين اجيالا

واحمد عمري الى ان نلت من شرف — خليفة الله اعيانا واطلالا

فالله اكرمني حقا واسعدني — وحط عني اوزارا واثقالا

قد كان ما طمحت نفسي وما طلبت — لكن للوصل اوقاتا واجالا

اسكن فؤادي وقر الآن في جسدي — فقد وصلت بحبل الله احبالا

هذا الامام الذي قد كنت تأمله — هذا مناك فطب حالا ومآلا

فاشرب هنيئا فانت اليوم اثر من — حام بكعبة احراما واحلالا

فانت تحت لواء المجد مغتبط — في حضرة جمعت قطبا وابدالا

وته دلالا وهز العطف من طرب — وغن وارقص وجر الذيل مختالا

امنت من كل مكروه ومظلمة — فبح بما شئت تفصيلا واجمالا

هذا مقام التهاني قد حللت به — فارتع ولا تخش بعد اليوم انكالا

واستبشر بقرب امير المؤمنين ومن — قد اكمل الله فيه الدين اكمالا

عبد المجيد حوى مجدا وعز علا — وجل قدرا كما قد عم افضالا

كهف الخلافة ضرغام تواصيه — من لا عهدنا له في الغرب امثالا

يا رب فاشدد على الاعداء وطأته — واحم حماه وزده منك اجلالا

واظهرن حزبه في كل ملتحم — وسددن منه اقوالا وافعالا

وابسط يديه على الانام قاطبة — وذلل كل من في الارض اذلالا

فالمسلمون باقصى الغرب لائحة — ابصارهم نحوه يرجون اقبالا

كم خائف يرتجي امنا بسطوته — وحائر يرتجي للحزن تسهالا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

فرع الخلائف وابن الاكرمين ومن | شاد واعلى الدين اركانا واطلالا
كم ازمة فرجوكم غمة كشفوا | كم فككوا عن رقاب الخلق أغلالا
هم رحمة لبني الايمان سائرهم | هم الوقاية اسواء واهوالا
انصار دين النبي بحق عصبته | في نصره بذلوا نفسا واموالا
قد خصهم ربهم بخير منقبة | ما خص صحبا بها قبل ولا آلا
كم حاول الصحب والآل الكرام لها | والله يختص من قد شاء افضالا
ما زال في كل عصر منهم خلف | يحمي الشريعة مفعولا ومفعالا
حتى اتى دهرنا بخير منتخب | من آل عثمان أملاكا واقيالا
قد كنت مغتبطا ثم اكسبني | رفعا وقد عمني جودا وافضالا
وبالاضافة بعد القطع عززني | وقد نفى عني تعفيرا واعلالا
هذا وحق علاه منتهى املي | قد حط عني بمحض الفضل اثقالا
لا زال نجومه نفسي وافرحه | مستغرق الدهر ابكارا وآصالا
اهدى مديحي وحمدي ما حييت له | ابادني انعما جلت واقبالا
جزاه عني اله العرش افضل ما | جازى به محسنا يوما ومفضالا

احتفالا ثم احتفل سفير برنسا لضيافة الامير بلغ فيه الغاية ودعى تلك الليلة الجم الغفير من معتبري الافرنج ثم دعاه ناظر السيارات والمخابل اجتوى نعوم وكتب اليه هذه الابيات

كريم السجايا محمود الجدوى سما | ذرى الرتب العليا بفضل جهاد
خضيرا لجاه العرب خوف آذانه | بسطوة ماضي سيفه وجلاد
سلمت مدى الايام مشكور الثنا | وفي نعمة تبقى بغير نفاد
جاناني الفتح الاولى سافهم الى | لقائك داعي حمية وبلاد
اجابة سؤل ان تزور مشرفا | لنزهة طرب وانشراح فؤاد

قال ابا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه وسلم

اثناء الاقامة كان الناس يزدحمون على مشاهدة الامير ورؤيته في الطرقات التي يمر بها ورحاب منازل الوزراء والاكابر التي يقصدها وبعد ان اقام عشرة ايام ببرور ببراز ودع الصدر الاعظم ومن دونه من الوزراء العظام وسفير دولة برنسا ثم توجه في الباخرة الحربية على هيئتنا التي كان مثلها الى بروسه فدخلناها في يوم الاثنين السابع من ربيع الثاني وتلقاه واليها خليل باشا صهر السلطان مع سائر اهلها ووجوهها بغاية التجلة والاحترام والتحفي والاكرام حتى اننا نسينا بما شاهدناه منهم ما كان سبق لنا في برنسا وفي الاستانة من الاعتبار والابهة وكان نزولنا في السرايا التي اعدت لنا بالامر السلطاني فالفينا بتلك المدينة عطا الشبار وتبوانا ها خير دار وحمدنا الله تعالى على هذه النعمة التي لا يحيط بوصفها فكر ولا تغور ان نقابل ما حبينا بشكر اللهم لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك ولما نظر الامير الموقع المدينة واحوازها والخائها قال لقد صدق الذي اخبرنا عنها انها تشبه مدينة تلمسان ثم اخذ يشير الى وجه الشبه بين المواضع والجهات وانشد

اما الخيام فانها كخيامهم | وارى نساء الحي غير نسائها

وهذه البلدة قديمة اولية كانت تعرف بعموريه ثم صارت تعرف ببروسه وهي عند الروم اشرب من القسطنطينية تكرر الغزو اليها من المسلمين ايام معاوية بن ابي سفيان ثم قام به بنو مروان ثم بنو العباس من بعدهم واستمر ذلك الى ان استولى السلجوقيون على بلاد الروم ليه آخر ايام بني العباس فكانت من جملة ممالكهم ثم انتزعها ملك الروم منهم واغتصر ملك قلنش السلجوقي ابن عم طغرلبك في قونية فكانت له ولبنيه من بعده يتوارثونها الى ان ظهرت الدولة وصار اليها العثمانية وآل امر البلاد الى السلطان الغازي عثمان خان بعد موت السلطان مسعود كيكاوس آخر ملوك بني سلجوق في ارض الروم وذلك سنة ثمان عشرة وسبعمائة ولما استفحل امر السلطان الغازي عثمان خان وثبت قدمه في الملك انتدب البعوث والغوازي الى ناحية بلاد الروم وتوالت فتوحاته وفي سنة اثنين وعشرين وسبعمائة

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

خرج في العساكر من دار ملكه يني شهر الى مدينة بروسا فنازلها وضرب الحصار عليها ولما
طال امرها عليه ابتنى بالقرب منها قلعتين وملاهما بالجنود والذخيرة وجعل امر احداهما
لبعض بني عمه والاخرى لبعض عبيده ورجع الى دار ملكه وفي كل مرة يرسل اليهما نجدة
وذخيرة وفي اثناء ذلك اعتراه وجع النقرس فجهز ابنه اورخان في عساكر كثيرة وسيره
نجدة للمحاصرين لها فاناخ عليها الامير اورخان وشد عليها خناق الحصار واخذ يحطم
الزروع ويستلب الاقوات ويغور العيون ويغاديها ويراوحها بالقتال وبينما هو
كذلك اذ ورد عليه خبر موت والده السلطان الغازي عثمان خان عليه سحائب الغفران
فلم يؤثر ذلك في عزمه ولا اخمس من قوته بل استمر على ما هو عليه الى ان فتحها وكان
رجال يوم موت السلطان بعثوا اليه خبره واخبروه انهم اخذوا له البيعة من الجند الدولة
والاعيان والعامة فامسى في امرين سر احدهما والاخر ساءه وبلغ ما شاء فسره كل منهما ما قصده
فتح عمورية التي اضاع امرها واهمهم شانها وساءه موت والده وقد كان الفتح
والمصاب في سنة واحدة وهي سنة ست وعشرين وسبعمائة توفي السلطان الغازي
عثمان خان عن تسع وستين سنة وكان مدة سلطنته سبعا وعشرين سنة ولما استولى
السلطان اورخان على بروسا وما فيها من الذخائر والنفائس نقل الملك اليها وجعلها
دار السلطنة العثمانية واستمر الامر على ذلك الى ان فتح السلطان الغازي محمد خان السلطان الغازي
ابن مراد خان القسطنطينية فحينئذ نقل الملك اليها واتخذها دار الخلافة الاسلامية تحرير
ولم يزل الامر على ذلك ولا يزال بحوله تعالى وقوته الى اخر الدهر وبالجملة فمدينة بروسا
من اعظم المدن الرومية واحسنها وابهاها فقد تسابق خلفاء الاسلام وملوكه الى فتحها
والاستيلاء عليها فمنهم من تسنى له ذلك ولم يطل امره فيها ومنهم من استعصت عليه
ورجع عنها وممن غزاها ونجح في مسعاه اليها وقضى نهمته منها ثم انقلب عنها امير
المؤمنين المعتصم بالله بن هارون الرشيد العباسي ذكر العارف بالله تعالى الشيخ

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتاب
الاكبر في المسامرة ان عمورية فتحها المعتصم في رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين وسبب فتحها
ان رجلا وقف على المعتصم وقال يا امير المؤمنين كنت بعمورية وجارية من احسن النساء اسيرة قد
لطمها علج في وجهها فنادت وامعتصماه فقال العلج وما يقدر عليه المعتصم يجيء على ابلق
فينصرك وزاد في ضربها فقال المعتصم وفي اي جهة عمورية فقال له الرجل هكذا واشار الى جهتها
فالتفت المعتصم الى تلك الجهة وقال لبيك لبيك ايتها الجارية لبيك هذا المعتصم بالله اجابك ثم تجهز
اليها في اثني عشر الف فارس على خيل بلق وفي هذه التلبية يقول ابو تمام حبيب الطائي يخاطب
المعتصم

لبيت صوتا زبطريا هرقت له ... كاس الكرى ورضاب الخرد العرب

فلما حاصرها وطال مقامه عليها جمع الرماة واختار منهم اهل الاصابة والرماية وقال لهم انظروا
الى ابدان السور القائمة في اطراف البلد وداخلها فان في كل بدن خطا اسود من اوله ممتدا
الى اخره وعرضه ثلاثة اشبار والزموا احمى السهام في النار وامرهم ان يرموا به وقال
من اخطا منكم ذلك الخط الاسود ضربت عنقه واذا بذلك الخط خشب ساج معقود
فاتصلت السهام فيه فعلقت فيه النار واحترقت تلك البدن كلها فاضطرب الروم
لذلك ودخلهم الرعب وهجمت الجيوش عليهم فدخلوا البلد بالسيف وكان المنجمون
قالوا للمعتصم انك لا تفتحها الا في زمان نضج العنب والتين فما اتاح الله له فتحها
قبل ذلك الوقت الذي ذكره المنجمون يقول ابو تمام في قصيدته الشهيرة مهنيا له بالفتح وفي ذلك

السيف اصدق انباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب

الى اخر ما ذكره في القصيدة فلما دخل المعتصم الى البلد احضر الرجل الذي بلغه
خبر الجارية الاسيرة وقال له سر بي الى الموضع الذي فيه فسار به واخرجها من موضعها رايتها
المعتصم فقال لها يا جارية هل اجابك المعتصم ام لا وملكها العلج الذي لطمها وسيده
الذي كان يملكها مع جميع ماله واقام المعتصم في عمورية خمسة وخمسين يوما وهو يبث

السرايا وبعث البعوث الى الجهات والغنائم ترد عليه ثم سار من عمورية الى طرسوس
ومنها الى بغداد وقد ذكرتنا هذه الغزوة غزوة المنصور بن ابي عامر في الاندلس اجابة
لامراة اسيرة بعثت اليه في فكها من يد العدو ذكر المقري في نفح الطيب ان احد رسل المنصور الامام
ابن ابي عامر توجه في سفارته الى غرسية ملك البشكنس ابن شانجة فامعن في اكرامه
وتناهى في بره واحترامه وطالت اقامته عنده فلا منتزه الا مر عليه متفرجا ولا منزل الا
سار اليه معرجا فدخل ذات يوم الى كنيسة عندهم فبينما هو يجول في ساحتها
اذ عرضت له امراة مسنة اسيرة تخدم في تلك الكنيسة فكلمته وعرفته بنفسها وقالت
له ايرضى المنصور ان يتنعم بلبوس العافية وانا في سنين هنا ماسورة مختبية ثم ناشدته
الله تعالى ان يبلغه خبرها فلما رجع الرسول الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه وهو مصغ
اليه حتى تم كلامه فقال له المنصور هل وقفت على شيء انكرته ام لم تقف على غير ما ذكرته
فذكر امر المراة الماسورة واعلمه بقصتها فلامه على كونه لم يبدأ به كلامه ثم اخذ في التجهيز
للجهاد ولما تم تجهيزه وتكاملت جنوده سار حتى وافى بلاد غرسية بن شانجة فاخذت
هيبته بسمعه وبصره وبادر بالكتابة اليه يتعرف الحال وحلف انه ما جنى ذنبا ولا جنى
عن منهج الطاعة جنبا فعنف المنصور رسل غرسية وقال لهم قد كان عاهدني ان لا
يبقى ببلاده ماسورة ولا ماسور الا بعثه الي ولو في حواصل الطيور وقد بلغني الان
بقاء فلانة المسلمة في كنيستكم الكبرى والله لا ارجع عن ارضه حتى اكتسحها فرجعوا
الى غرسية واخبروه فامتلأ قلبه رعبا ثم احضر المراة ومعها امراتان غيرها وفي الحال
بعثهن الى المنصور واقسم بالله انه ما ابصرهن ولا سمع بهن واعلمه ان تلك الكنيسة
قد امر بهدمها واخذ في التضرع اليه في الاخذ في امره بالعفو فرجع المنصور عنه وزحل لبلاده
واوصل المراة بنفسه والحق توحشها بانسه ثم بعث بها الى اهلها انتهى ولنرجع الى ما كنا
بصدده فنقول ولما استقر بنا الحال في بروسا اخذنا نقول في انحائها ونتنزه الطرف في ارجائها

والجمال والولادة والبكارة والنسب فاذا كانت دينة صانت وجهها وصانت وجه زوجها
من المعرة بين الناس واذا كانت حسنة الاخلاق كان زوجها في راحة بخلاف ما اذا كانت
سيئة الاخلاق فانه حوة للنغص كان القرب منها الزم من النعيم واذا كانت حسنة الوجه كفت
نظر زوجها عن النظر الى غيرها وحصنت وجهه من الزنا لان الطبع لا يكتفي بقبيحة الوجه
واذا كانت ولودا حصل منها اعظم فوائد النكاح وتعرف انها ولود بان تكون شابة صحيحة
فانها تكون ولودا في الغالب واذا كانت بكرا فانها تحب الزوج وتالفه لان الطباع مجبولة
على الانس باول مالوف لها واذا كانت بنت اصل ولها حسب كانت مودبة مهذبة وتربي
اولادها مثل تربيتها السؤال الخامس بلغنا عن العرب ان احدهم لا يحترم زوجته
ولا يحسبها الا كالخادمة في منزله ولا يشاورها ولا يقربها الا عند قضاء شهوته ولا يعتد بكلامها
ونحن عندنا الامر بخلاف ذلك فننشأ والمراة عمدة كل شيء وهي ربة البيت فكيف بالعرب
يؤخرون المراة عن كل الامور الجواب الامر على خلاف ما سمعتم فان المراة لها حرمة عظيمة
عند العرب وذلك انهم يحبون النساء كثيرا ومن لوازم المحبة الاحترام قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما اكرم النساء الا كريم ولا اهان النساء الا لئيم وقال عليه الصلاة
والسلام لاصحابه خيركم خيركم لامراته وانا خيركم لنسائي وقال بعض حكماء العرب يلزم
الرجل ان يفعل مع امراته كل شيء يحببه اليها حتى يكون هو احب الناس اليها وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرفع امراته على يديه حتى تركب على البعير وكان امير المؤمنين معاوية
يقول النساء يغلبن الكرام من الرجال ويغلبهن اللئام منهم وكان الاحنف التميمي
من دهاة العرب يغضب لغضبه مائة الف سيف لا يسألون عن سبب غضبه فاذا اراد
حربا تقول العرب غضبت زبرا يعنون امراته لانه كان يمشي على رايها وكان هارون
الرشيد يقول ارسلوا الى من زوجني ام جعفر واهاب الجلوس على فراشها تعظيما
لها وكان ابنه المامون كذلك يروى عنه في هذا المعنى ما هو اعظم مع كونه سلطان اهل الارض

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه

وفي ذلك يقول

تهابني الليث حدثانه   وهابني سحر مواثر الاعجاب
ما لي تطاوعني البرية كلها   واطيعهن وهن في عصيان

وكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه في الكلام ويصبر اكراما لهن وانا عبد الله كانت ابنة عمي تغضب علي وتواجهني بما اكره واصبر لها وفي حقها قلت من قصيدة

واخضع ذلة في تقريبها   وفي هجري اراها في اشتداد
فما تتعطف علي ذات عز   وما انفك في ذلي انادي
ومن عجب تهاب الاسد بطشي   ويغلبني غزال عن مرادي

وقولكم وزوجه لا يشاورها اعلم ان العرب يحبون النساء محبة عظيمة ويطلقون لهن التصرف في البيت بحيث تكون المراة في بيتها مثل الحاكم الذي اطلق له التصرف في الرعية ولا يخاف تعقبا في حكمه ولا بد للرجل ان يشاور زوجته في امور بيته ويسلم لها شؤونها لتهتم بها وتدبرها ومن عادة العرب يجتمع العيال الكثير في البيت الواحد العشرين نفسا واكثر وتحكم في جميع العيال امراة واحدة وتدبر لهم امورهم كان في عيال والدي رحمه الله اكثر من ستين نفسا والذي هي التي تحكم فيهم وتنظر في امورهم من اكل وكسوة وغير ذلك والدي لا يدخل في شيء من ذلك وانما يشتغل امرها واما الامور التي هي خارجة عن البيت وهي من وظائف الرجال فالعرب يكرهون مشاورة المراة فيها لان الغالب على النساء الجبن والبخل وهما من اخس صفاتهن ومن اقبح صفات الرجال اذ المدح والمزايا لا ينالها الرجال الا بالشجاعة والسخاء والثناء لا يشترى بشيء بعد اتلاف النفس والمال قال بعضهم

لا يبلغ المجد الا سيد فطن   لما يشق على الانام فعال
لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والاقدام قتال

السؤال التاسع الذي يظهر ان غيرة المسلمين غيرة زائدة حتى ان نساءهم لا يخرجن الا ملتحفات

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

ولا يظهرن لاصدقاء ازواجهن ولا لاقاربهم ولا لاقاربهن كابن العم وابن الخال مثلا ونحن عندنا النساء يخرجن باديات الوجوه ويحضرن مع الاحباب والاقارب يتم البسط ويحصل السرور وبذلك يعشن مع ازواجهن في دعة وهناء فكيف الامر عندكم وما الافضل عادتنا ام عادتكم الجواب ان غيرة المسلمين ليست بزائدة وانما هي في ميزان الوسط والغيرة اذا كانت كذلك فهي محمودة ممدوحة وهي ان لا يتغافل الرجل عن مبادي الامور التي يخاف عاقبتها ولا يبالغ في اساءة الظن بزوجته ويراقب حركاتها وسكناتها او يتجسس عليها فان هذا ليس من مكارم الاخلاق ومن كلام العرب قولهم لا تبالغ في الغيرة على زوجتك فيرميها الناس بالزنا من اجلك والغيرة الممدوحة لا تكون الا في اشراف الناس واعلاهم همة لان الله تعالى جعل الغيرة في الانسان سببا لحفظ الانساب قال الحكماء كل امة كانت الغيرة في رجالها كانت الصيانة في نسائها والغيرة في القلب مثل القوة التي في البدن تدفع المرض وتقاومه فاذا ذهبت القوة كان الهلاك واذا ذهبت الغيرة كان الفساد راى بعض العرب امراته اكلت بعض تفاحة ورمت باقيها الى خادمها فضربها ومن كلام العرب ان الله تعالى جعل الغيرة عشرة اجزاء تسعة منها عند الاكراد وواحد عند سائر الناس وجعل النجابة عشرة اجزاء تسعة منها عند العجم وواحد عند سائر الناس واكثر الحيوانات غيرة حمار الوحش فانه اذا راى الولد ذكرا قطع ه الذكر وانثييه وقولكم نساء المسلمين لا يخرجن الا ملتحفات اعلم ان المراة يجوز لها في الشرع ان تخرج لقضاء حوائجها بادية الوجه واليدين والرجلين ولو كانت شابة جميلة ويجوز للرجل ان يرى من المراة الاجنبية الوجه واليدين والرجلين الا اذا قصد برؤيتها الشهوة واللذة فيحرم عليه ولما كثر الفساد وقلت المروءة وكثرت الفاحشة صار اشراف الناس واهل الديانة يامرون نساءهم بتغطية وجوههن دائما وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا راى امراة ملتحفة مغطية وجهها يامرها بكشف وجهها له فان راها جميلة قال لها غطي وجهك وان راها قبيحة قال لها اكشفي وجهك وقولكم ولا يظهرن لاصدقاء ازواجهن ولا لاقاربهم ولا لاقاربهن

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

اعلم ان العرب كانوا في الجاهلية يتحدث الرجال منهم مع النساء ويجتمعون معهن حتى ازواجهن وخاصوا وليس عندهم في ذلك عيب ولا عار الى ان جاء الاسلام فمنع ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة بالنظرة فان مبدا الزنا معاودة النظر وقال عيسى ابن مريم اياكم والنظر فانه يزرع في القلب الشهوة واول العشق النظر واول الحريق الشرر وقال حكيم لصياد رآه يتكلم مع امراة يا صياد الوحوش احذر ان تصيدك هذه المراة وقال الحكماء النظر الى المراة سهم والكلام معها سم ومعلوم ان النساء لحم يشتهيه كل رجل واذا دعا الرجل المراة الى نفسه فالغالب عليها الاجابة لا سيما اذا كان الرجل شابا جميلا صاحب مال فحصنهن الله بالحجاب وقطع الكلام معهن وامر بمباعدة اجسادهن عن اجساد الرجال وفي المثل ثلاثة لا تومن من ثلاثة شاب على امراة وامراة على شيخ وفقير على مال وقال بعض الشعراء

لا تأمنن على النساء ولو اخا ما في الرجال على النساء امين

وقولكم النساء عندنا يخرجن باديات الوجوه ويحضرن المحافل مع ازواجهن اعلم ان محبة العرب للنساء شيء عظيم وما اظن ان جنسا في الدنيا يحب النساء كمحبة العرب لهن ولا يمكن ان يرى الرجل المراة الجميلة ويبقى قلبه مستريحا ابدا فاذا كان يخاف الله وصاحب مروءة فانه يبقى مع نفسه في قتال دائم ويحصل له تعب عظيم واذا كان لا يخاف الله ولا مروءة له فانه يبقى مشغول الفكر في معاودة النظر اليها والتحدث معها والقرب منها وكيف الحيلة في الوصول الى قضاء وطره منها وربما لا تمكنه معاودة النظر اليها مرة اخرى لاسباب تمنعه من ذلك فيبقى حيرانا وتضيع مصالحه كلها وعندنا في الشرع اذا لبست المراة الثياب الجميلة ومرت على الرجال لينظروا اليها فانها زانية لانها تشوش افكار الرجال بسبب نظرهم اليها وذلك يودي الى حصول المعصية من الرجال وكذلك المراة اذا حضرت مجالس الرجال ربما يكون زوجها قبيح المنظر او شيخا وترى شابا جميلا فقلبها يتعلق به وكذلك اذا حضرت مواضع الرقص والغناء من الرجال فان ذلك يفسدها ويحرك شهوتها ومن المعلوم عند كل احد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

محمد سلم

ان الحصان اذا صهل اصغت له الحجرة ورفعت الماء من وجهها واذا هدر الجمل قامت الناقة وبركت بقربه واذا غنى الرجل اصغت له المراة ولتنت ان تكون هي التي يغنى بها قال بعض الحكماء ليس شيء اضر على النساء من الخروج وليس شيء خير لهن من البيوت والغالب ان المراة اذا خرجت الى مجامع النساء والرجال ومحافل الزهو لا ترجع سالمة القلب واقل مفسدة في ذلك ان ترى المراة غيرها لابسة حليا وثيابا احسن مما عندها فتسخط على زوجها وتكره عيشتها عنده فلهذا كان السلف اهل الدين والمروءة يجنبون نساءهم سماع الغناء من الرجال وحضور اللعب واللهو والرقص من الرجال والنظر الى الرجال الاجانب وسماع حكاياتهم ومجالسة النساء التي يحكين ذلك لا سيما العجائز وقال بعض الحكماء الوجه الذي يغني عن الغيرة هو ان لا تخرج المراة الى مجامع الرجال ولا يدخلون عليها ويحكى عن امراة من الصالحات قالت كنت جالسة مع زوجي في طاق على الزقاق فمر رجل شاب جميل الصورة فكنت انظر اليه والى زوجي فصار زوجي في عيني مثل القرد او الخنزير او الكلب ثم تبت الى الله تعالى من الجلوس في الطاق من ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها اي شيء خير للمراة فقالت هو ان لا يراها الرجال ولا تراهم فقبل ما بين عينيها استحسانا لكلامها ولكن انتم معشر الافرنج لما كنتم من حين ينشأ الرجل منكم الى ان يشيب يجتمع مع النساء ويجالسهن ليلا ونهارا في البيوت والاسواق ومواضع اللعب وفي الطرق والنساء كذلك ضعفت محبة الرجال للنساء والنساء للرجال وقلت الشهوة لان الشهوة انما تثور بقوة الاحساس بالنظر واللمس والاحساس انما يقوى بالامر الغريب الجديد فاما الدوام والنظر اليه مرة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه فلا تثور به الشهوة فانتم مع الاجتماع الدائم في راحة من العشق السؤال العاشر كيف بالعرب يزوجون بناتهم صغارا وربما يكون ذلك قبل البلوغ والمراد من التزويج الذرية والصغيرة التي لم تبلغ لا يحصل منها ذرية فهل ذلك جائز في شرعكم ام لا وربما تلد المراة عندكم وهي بنت اثنتي عشر عاما او ثلاثة

عشر فلا نعتبر على ترغيبه الولد وعندنا البنات لا يتزوجن صغارا بل كبارا حتى لا تنعس لحمتهن
ولا شابهن ولتكون أولادهن صحاح الأجسام وقد رأينا المسلمين يتزوجون كثيرا ولا نرى لهم كثرة أولاد
ولا رغبة بخلاف غيرهم فإنهم يتزوجون قليلا ومع ذلك تكثر أولادهم وبكثرتهم تكثر الرغبة الجواب
اعلم أن العرب لا يزوجون بناتهم صغارا إلا لفائدة وهي إما أن تكون للزوج أو للبنت فأما فائدة الزوج
فإن البنت إذا كانت ابنة أكابر إما بالشرف أو بالمال فإن الرجال يرغبون في نكاحها ويتسابقون
إليها فكل واحد يخاف أن يسبقه الغير فيبادر إلى إحرازها ومن مقاصد النكاح وفوائده
عند العرب التعزز بعشيرة المرأة فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع طوارق الشرور وطلب السلامة
ولهذا يقولون ذل من لا أصهار له ومن وجد من يدفع عنه المضار سلم حاله وفرغ قلبه من الهموم
فإن الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع لذلك وأما ما يعود على البنت فإن الرجل
قد يزوج ابنته صغيرة لأحد أمرين أحدهما أن يكون له أولاد غير البنت فيخاف إذا زوجها غريب
أن يضر بأولاده من جهة أن البنت تشاركهم في مال أبيهم والمشاركة في الدار والبستان ونحو ذلك
فيصير في الغالب منها تشويش الشريكين ورأي المرأة في يد زوجها فلهذا يبادر الرجل ويزوج
ابنته من ابن أخيه أو ابن عمه أو ممن يظن فيه أنه يرفق بأولاده ولا يضرهم الثاني أن
بعض الناس يخاف من الطعن في ابنته وتهمتها بالقبيح فيزوجها صغيرة ويستريح وتزويج
الصغيرة جائز في شرعنا إذا لم تكن يتيمة أما إذا كانت يتيمة فإنها لا تتزوج صغيرة إلا إذا
خيف عليها الفساد وتزويج الصغيرة جائز في الشرائع القديمة ففي التوراة إذا بلغت البنت
اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها أبوها فأتت البنت إثما فإن ذلك عليه لأنه هو السبب في تأخير
تزويجها وفوائد التزويج ليست محصورة في طلب الذرية فقط بل له فوائد كثيرة منها
التعزز بعشيرة المرأة كما تقدم ومنها ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة وفي ذلك
إراحة للقلب وتقوية له على الأعمال التي تشق على النفس ومنها التحصن من الشيطان
ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج ومنها رياضة النفس ومجاهدتها برعاية الزوجة

والقيام

والقيام بحقوقها والصبر على أخلاقها ومنها تفريغ القلب من تدبير المنزل والتكفل بشغل
الطبخ وتهيئة أسباب المعيشة ولوازم البيت وبنات العرب يسرع إليهن البلوغ فكثير منهن
تبلغ في تسع سنين ويأتيها الحيض قال الإمام الشافعي رضي الله عنه رأيت امرأة ابنة إحدى
وعشرين سنة وهي جدة وكذا الرجال يسرع إليهم البلوغ كان عبد الله بن عمرو بن العاص بينه
وبين أبيه في الولادة إحدى عشرة سنة ولنساء العرب خصوصيات فتحمل المرأة العربية وهي
ابنة خمسين سنة وتحمل المرأة القرشية في سن الستين ولا يوجد هذا في غير نساء العرب وقريش
ومن قريش الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره ولدته أمه فاطمة وهي في سن الستين
ومنهم موسى بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ولدته أمه هند وعمرها ستون سنة وهم
كثيرون لا يحصون وقولكم وربما تلد البنت في سن اثنتي عشرة عاما الخ فاعلموا أن البنت
لا تتزوج صغيرة في الغالب إلا إذا كان أبوها أو زوجها صاحب مال كثير وإذا ولدت صغيرة لا
تتعب في تربية الولد وتكون لأولادها مربيات ومرضعات وقولكم وعندنا البنات لا يتزوجن
صغارا إلى آخر كلامكم هو كما قلتم ولكن المرأة إذا تأخر تزويجها إلى العشرين سنة وبضع وعشرين
يحصل منها الزنا غالبا لا سيما إذا كانت تخرج وترى الرجال وتجالسهم وكذلك الرجل إذا تأخر
تزويجه لأن الإنسان سواء كان رجلا أو امرأة إذا اجتمعت شهوته ولم يجد لوضعها محلا
حلالا بالتزويج يطلب لها محلا حراما بالزنا ولا يقدر على الصبر إلا القليل من الرجال والنساء
وعادة العرب إذا تزوج الرجل المرأة على أنها بكر ثم وجدها غير بكر يطلقها في الحال وإذا
استحيا من أهلها يبقيها ولا قلب له فيها ولا محبة إليها وقولكم وقد رأينا المسلمين يتزوجون
كثيرا ولا نرى لهم كثرة أولاد الخ اعلم أن قلة الرغبة ليست لقلة ولادة نسائهم وإنما ذلك من عدم استعمال
الأسباب التي يكون بها بقاء أولادهم ومن عدم معرفتهم بحسن تربية الأولاد ومداراتهم حتى تطول
مدة حياتهم وهذا بإرادة الله تعالى السؤال الحادي عشر إن الطلاق عند المسلمين كثير
وعندنا لا يكون أبدا ونحن نلومهم على ذلك لما فيه من الضرر على النساء وعلى الأولاد أيضا لكونهم يبقون

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما

في بيوتهم لا برحمتهم كما تزعم الجواب الغالب خفاء بعض عيوب الزوجين من الرجل والمرأة
اما في الخلقة او الطبيعة فاذا تزوج الرجل والمرأة وتعاشرا وتعاملا ما كان خفيا فيما بينهما
يظهر بعض العيوب لاحد الزوجين فجعل الله الطلاق راحة للذي يحب الفراق منهما وجعل الله
تعالى الطلاق بيد الرجل لشرفه واذن الله المرأة ان تطلب الطلاق من زوجها اذا حصل لها من
جهته ضرر والطلاق مباح في الاديان القديمة ففي التوراة في الاصحاح الحادي والعشرين
في سفر الخروج ان استقبح سيدها زواجها فليطلقها وفي سفر الاحبار في الاصحاح الثاني والعشرين
ان طلقت بنت الكاهن ولم يكن لها اولاد ورجعت الى بيت والدها تاكل من القدس فعلم من هذا
ان الطلاق ليس خاصا بالمسلمين وفي الطلاق منافع واضرار اما المنافع فكما ذكرنا واما الاضرار
فكما ذكرتم وهو مباح اذا لم يحصل منه ايذاء للمرأة بالباطل وعلى كل حال فانه لا يخلو من الاذى
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وقال
تزوجوا ولا تطلقوا فان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات لان المقصود من النكاح النسل
ودوام العشرة وحصول الالفة والطلاق يهدم جميع ذلك ومن منافع الطلاق من جهة ان الرجل
ربما لا تتوافق المرأة لعيب في خلقتها او طبيعتها فاذا لم يطلقها يبقى معذبا بها مشغولا ظاهرا
وباطنا بسببها تقول العرب في المثل ان لم يكن وفاق ففراق ويقولون دواء ما لا تشتهيه النفس
الفراق والعيش لا يطيب بين اثنين من غير اتفاق ويقولون قلع الضرس المسوس يريح
ومن طلق امرأة السوء يستريح فالطلاق راحة للرجل ان كانت امرأته خبيثة او معيبة وراحة
للمرأة ان كان زوجها خبيثا او معيبا والرجل اذا طلق امرأته وكان بينهما اولاد فان الشرع اوجب
على الزوج ان ينفق عليها وعلى اولادها منه حتى يبلغ الولد ان كان ذكرا وحتى تتزوج البنت ويدخل
بها زوجها فلا ضرر على الاولاد اذا طلقت امهم وكان ابوهم متبعا للشرع السؤال الثاني عشر
ان المسلمين لا يورثون البنت مثل الذكر وكيف ذلك والكل اولاده الجواب ان الله تعالى هو
الذي قسم الميراث ونزل به القرآن العظيم فجعل للذكر قسمتين وللانثى قسمة واحدة وبذلك

فقد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما

فقد فضل الله الذكور على الاناث لانه فضلهم بالقوة عليهن والصبر على المشقات وفضلهم ايضا بتقلد الامور
كالسلطنة ومباشرة القتال وتولية الاعمال والمناصب الدينية والدنيوية والرجل يحارب
ويدافع عن بلاده وعشيرته فهو محتاج الى زيادة القسمة ليستعين بها على ذلك ولان الرجل
اذا كان في قسمته زيادة ينفق على النساء من اقاربه اذا احتجن الى ذلك بخلاف المرأة فانها لا تنفع
الا نفسها في الغالب واما في غير الميراث فانه يجب على الرجل ان يسوي بين اولاده في العطية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم وجاءه رجل فقال له اشهد على
اني اعطيت لولدي فلان كذا وكذا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت اولادك كلهم مثله قال لا
فقال له اني لا اشهد على الجور السؤال الثالث عشر ان نساءنا يدخلن المدارس ويتعلمن
الكتابة ويحصلن المعارف والاداب بخلاف نساء العرب الى آخره الجواب اعلم ان
الكتابة مثل السيف من وظائف الرجال لا من لوازم النساء فالكتابة انما يحتاج اليها
الرجال بها يجمعون العلوم ويقيدون الحكم ويضبطون الخراج ويحفظون تواريخ الامم
واخبارهم فالكتابة قيد للعلوم وما يحتاج فيه الى النقل والرواية فان عقل الانسان الواحد
لا يقدر على استنباط العلوم الكثيرة ولا على حفظها فصار اذا استنبط مقدارا من العلم قيده وكذلك
اذا استفاد شيئا من غيره واما النساء فلا يؤلفن كتابا ولا يستنبطن صناعة ولا فائدة فيحتجن
الى تقييدها بالكتابة لينتفع بها الناس ولا يتولى النساء قبض خراج ولا صرف مال في مصارفه ولا شيء
من الوظائف التي تحتاج الى الكتابة فلا فائدة في تعليم النساء الكتابة بل فيه ضرر كبير لان
الكتابة عين العيون بها يبصر الشاهد الغائب وفي الكتابة تعبير عن الضمير بما لا ينطق
به اللسان بل الكتابة ابلغ من اللسان فان الانسان يقدر على كتابة ما لا يقدر ان يخاطب
به غيره ويبلغ المقصود حيث لا يمكن الكلام مشافهة فقد تكون المرأة لا تقدر على لقاء من تهواه او لا تقدر
على ان تتكلم معه بحضرة الغير وكذلك الرجل قد لا يجد سبيلا الى لقاء من يهواها او الكلام معها بحضرة
غيره فاذا كانت المرأة عارفة بالكتابة سهل طريق الزنا بينهما بسبب الكتابة فلهذا نهى الشرع

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

محمد سليم

زوجك والعبي وانبسطي اذا حضر ولا تتكبري عليه بالجمال ولا تفتخري بقبح وجهه واطلبي ما يرضي زوجك
في جميع الاقوال والافعال ولا تجعلي همك الا في اصلاح شانك وتدبير بيتك بهذه الاداب وامثالها هي التي
تتعلمها نساء العرب واما الادب مع الرجال الاجانب فان نساء العرب لا يعرفنه وذلك لانهن لا يجتمعن بالرجال
الاجانب في الملاعب ومواضع الرقص والغنا كما يفعل نساء الافرنج ولا يفعل ذلك الا الزانيات اللاتي هن
اخس من الكلاب قال بعض حكماء العرب شر خصال الرجال خير خصال النساء الكبر والجبن والبخل
فان المراة اذا كانت متكبرة انفت ان تتكلم كل احد من الرجال بكلام لين واذا غلب عليها الجبن
خافت من كل شي فلم تخرج من بيتها واذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وقول الموصلات
من العرب ما اوقعهن في الفساد الا عدم معرفتهن اعلم ان الزنا انما يقع من النساء التي ينتسبن
الى العرب وليس بعربيات اصليات فان نساء العرب في الجاهلية كن لا يعرفن الزنا راسا وانما زنى عند
العرب الاماء حتى ان الله تعالى لما نزل قول الله تعالى في القران اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيا ولا يسرقن ولا يزنين قالت امراة من الحاضرات او تزني الحرة يا رسول الله فقد استبعدت
وقوع الزنا من الحرة وكان العرب في الجاهلية لهم عفة من الزنا رجالا ونساء فلا تخون المراة زوجها ولا
يخون الرجل زوجته فكيف بهم في الاسلام الذي جاء بتحريم الزنا وشدة العقاب لمرتكبه وقولكم
ان نساء العرب لما لم يتبادين تكون محبتهن لازواجهن جسمية لا قلبية فاعلم ان نساء العرب هن
اعرف النساء باداب المحبة سالت ام البنين زوجة عبد الملك بن مروان ليلى الاخيلية عن عشق العرب
فقالت لها يرى الرجل المراة ويراه فيعشقها وتعشقه فاذا ساعدهما الوقت وتلاقيا لا يشتغلان الا بذكر
ما يقاسي المحب لبعضهما بعضا ويشكو كل منهما الشوق الى صاحبه وينشدان الاشعار فقالت لها ام البنين
ولا يلمس بينهما زنا فقالت لها النكاح شان من يطلب الولد لا شان المحبين واذا وقع الجماع فسد الحب وبالجملة
فان لنساء العرب في هذا المعنى حكايات عجيبة تدل على ان محبتهن قلبية روحانية لا جسمية كما زعمتم
ولو لا خوف التطويل لذكرنا لكم جملة منها السوال الرابع عشر نساء المسلمين لا يدخلن المساجد
للصلاة واما نساء النصارى فيدخلن الكنايس ويتعبدن مع الرجال الجواب ان شرع الاسلام

١١٢

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الاسلام منع تعليم النساء الكتابة وهو حسن لا ينكره عاقل فتعليم الكتابة واجب على الرجال مكروه
في حق النساء قال بعض حكماء العرب ليس للنساء الكتابة والخطابة بل هما وما ماثلهما للرجال واما
النساء فليس على الرجال ان لا يستوحش الا من جنايته وقد علم ان العربية اذا تلاقت مع غيرها تكون
غير عارفة ولا كيسة فاعلموا ان العربيات انما يتعلمن الادب الذي يليق بازواجهن وتصلح به العشرة
بين الفريقين وتجلب قلوب الازواج اليهن فكان نساء العرب يعلمن بناتهن الادب مع الازواج
قالت امراة لابنتها يا بنية لو استغنت امراة عن زوجها لغناها لكنت انت اغنى النساء عن الرجال
ولكن النساء خلقن للرجال كما ان الرجال خلقوا للنساء كوني لزوجك ارضا يكن لك سماء وكوني له
وطاء يكن لك غطاء والحقيه بالقناعة وعاشريه بالسمع والطاعة ولا تغفلي عن موضع نظره
ولا موقع انفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا ريحا طيبة ولا تغفلي عن وقت طعامه ولا عن
موضع منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة واحفظي ماله وتعهدي خدامه
وعياله ولا تفرحي اذا كان حزينا ولا تحزني اذا كان فرحا وعلى قدر تعظيمك له يكن اكرامه لك وقدمي
ما يحبه على الذي تحبينه انت وقالت امراة اخرى لابنتها يا بنية ان الوصية لو تركت لزيادة ادب
لتركت لك ولكن الوصية تذكرة للغافل ومعونة للعاقل يا بنية لا تعصي لزوجك امرا ولا تفشي له
سرا وكوني اكثر الناس لزوجك اعظاما يكن اكثر الناس لك اكراما وكوني اكثر الناس له موافقة يكن لك
احسن الناس مرافقة ولا تصلي الى رضى زوجك حتى تقدمي ما يحبه هو على الذي تحبينه انت ومن قول
العرب يلزم ان تكون المراة عند الرجل في ثلاثة اشياء ولا احسنها الادب والجمال والصبر وقالت امراة
لابنتها لا تقربي من الرجل فيملك ولا تبعدي عنه فيتناساك ان دنا منك فاقربي منه وان نأى عنك فابعدي
عنه واحفظي سمعه وبصره فلا يسمع من كلامك الا حسنا ولا ينظر منك الا جميلا ولا تتكلمي عند غضبه وكوني
دائما في قعر بيتك ملازمة لشغلك ولا تكثري الكلام مع جيرانك ولا تدخلي عليهم الا لحاجة واحفظي زوجك
في غيبته وحضوره في نفسك وماله ولا تخرجي من البيت الا باذنه ولا تطلبي معرفة الجار وكوني قصيرة
اللسان عن سب الاولاد والخدام ومراجعة الزوج في الكلام وقالت امراة لابنتها الزمي الانقباض اذا غاب

زوجها

ما نهى النساء عن دخول المساجد ولا منعهن عن الصلاة فيها وكان النساء في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلين معه في مسجده الشريف وكان يقول لأصحابه رضي الله عنهم لا تمنعوا إماء الله مساجد
الله فيجوز للنساء الخروج إلى المساجد والصلاة فيها ليلا ونهارا لكن بشروط منها أن لا تكون المرأة
متطيبة بطيب له رائحة يشمها الرجال ومنها أن لا تكون متزينة بنوع من أنواع الزينة ومنها
أن لا يكون لها خلخال يسمع صوته الرجال ومنها أن لا تكون مختلطة بالرجال بل تكون منفردة عنهم
ومنها أن لا تكشف وجهها إذا كانت شابة جميلة يعشقها من رآها من الرجال وبهذه الشروط
كان النساء يخرجن إلى المسجد ويصلين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا انعدم شرط واحد من
هذه الشروط حرم على المرأة الخروج إلى المسجد وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد الغيرة
وكانت زوجته تخرج إلى الجامع في الليل والنهار لأجل الصلاة ولم يقدر على منعها لظاهر النهي رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن منع النساء من الخروج إلى المساجد كما قلنا فعمل الحيلة في منعها وذلك أنه تعرض
لها في طريق الجامع بليلة مظلمة وقبض بيده على ثديها ولم تعرفه فكانت بعد ذلك لا تخرج فيقول
لها لم لا تخرجين إلى الجامع تصلي فيه فتقول له لا أخرج فقد فسد الزمان ظنا منها أن الذي تعرض
لها وقبض على ثديها رجل أجنبي السؤال الخامس عشر يقال إن المسلمين يمنعون نساءهم
من الدخول إلى المساجد إذا كن صغيرات وجميلات ولا يمنعوهن من السفر إلى الحج الجواب قد
ذكرنا أنه لا يجوز منع النساء من الدخول إلى المساجد بالشروط التي قدمنا ذكرها وأما سفرهن
إلى الحج فلا تسافر المرأة إلى الحج إلا إذا كان معها زوجها أو رجل محرم لها وهو الذي يحرم عليه أن يتزوج بها
شرعا كأبيها وعمها وأخيها وخالها وابن أختها وابن أخيها وأما إذا لم يكن معها زوج ولا محرم
فلا تحج ولا يلزمها حج ولو كان عندها مال كثير السؤال السادس عشر بلغنا أن بعض
الناس يقولون إن النساء لا يدخلن الجنة فلا بد أن توضحوا لنا هذا الإشكال الجواب
أن هذا القول كذب محض وافتراء صرف فالنساء يدخلن الجنة ويكن مع أزواجهن في منازلهم
إذا كان زوجها من أهل الجنة وأما إن كان زوجها من أهل النار وهي من أهل السعادة فإن الله تعالى

يزوجها برجل من أهل الجنة وإذا تزوجت المرأة في الدنيا رجلين أو ثلاثة فإن كان الأزواج كلهم من
أهل الجنة فإن الله يخيرها فالزوج الذي تختاره تكون معه وإن كان بعضهم في الجنة والبعض الآخر
في النار فإنها تكون للذي في الجنة السؤال السابع عشر بلغنا أن المسلمة إذا ماتت لا تخرج الناس
في جنازتها مثل الرجل فهل لهذا صحة أم هو محض كذب الجواب هذا كذب من قائله بل لا فرق في الخروج
مع الجنازة بين جنازة الرجل وجنازة المرأة وإنما الممنوع خروج النساء مع الجنازة سواء كانت
جنازة رجل أو امرأة لأن النساء لا يحفرن قبرا ولا يحملن تابوتا ولا يغسلن ميتا فلا فائدة في خروجهن
بل فيه تشويش قلوب الرجال بالنظر إليهن وإلى محاسنهن والقبور محل موعظة يتذكر الإنسان
فيه كيف يفارق الأحباب وكيف يصير إلى التراب وحضور النساء يشغل عن هذا السؤال الثامن
عشر إن كثيرا من المسلمين لا يأنفون من تزوج المرأة المومسة إذا تابت ولا ينقص ذلك من قدره
بخلاف النصارى فإن الذي يتزوج بالمومسة منهم يبتذل بين الناس ولا يبقى له اعتبار عندهم الجواب
أنه لا يتزوج بالمرأة المومسة عندنا إلا أخس الناس وأرذلهم والشرع نهى عن تزوجها قال الله تعالى
الخبيثات للخبيثين أي الزانيات للزانين وقال الرسول صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدمن
قالوا وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء معناه احذروا المرأة الفاسدة
ولا تتزوجوها شبه المرأة الجميلة الفاسدة بالخضرة التي تنبت على المزابل ومواضع القذر
فإن ظاهره زين وباطنه شين ومن كلام حكماء العرب لا تتزوجوا العاهر ولا المختلعة ولا المبارية
ولا الناشز ولا الآنانة ولا المنانة ولا الحنانة ولا الحراقة ولا البراقة ولا الشداقة أما العاهر
فهي الزانية وأما المختلعة فهي التي تطلب الطلاق من زوجها كل ساعة وأما المبارية فهي التي تفتخر
على زوجها بمالها ونسبها وأما الناشز فهي التي تعلو على زوجها في الكلام وأما الآنانة فهي التي تكثر
الأنين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة وأما المنانة فهي التي تمن على زوجها فتقول له فعلت لأجلك
كذا وتركت كذا وأما الحنانة فهي التي تحن إلى الزوج الآخر أو الولد من زوج آخر وأما الحراقة
فهي التي ترمي بحدقتها إلى كل شيء وتشتهيه وتكلف زوجها شراءه وأما البراقة فهي التي تكون طول

النهارة تصفيق وجهه ليكون له ربح والتي تشتغل بعالج بيتها واما الشوافة فهي التي تكثر الكلام
والتصنع فيه واذا كانت المرأة متولدة من زنا فالشرع يمنع من التزوج بها السؤال التاسع عشر
هل العرب يطلقون المرأة التي لا يرجون خيرها بغير سبب اخرا وذلك كذب الجواب ان هذا كان
في العرب وقت الجاهلية يقولون اقماص او نواصي او بعض الذراري يعنون ان لذات الربح واليمن
او الخسران والنحس يكون على قصة المرأة او ناصية العرس او المولود ولما جاء الاسلام ابطله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طيرة ولا عدوى فقال رجل يا رسول الله فما بال الابل تكون
كانها الغزلان فاذا دخلها بعير اجرب جربت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أعدى الاول
ولكن بقيت هذه العادة الجاهلية عند بعض الجهلة من المسلمين الذين دينهم ضعيف
واما اهل الدين الصحيح القوي فانهم يعتقدون ان الله تعالى يفعل ما يريد بالعبد من ربح
او خسران ومن خير او شر لا مدخل للمرأة ولا للعرس ولا للمولود ولا للدار ولا لشيء من المخلوقات
فيه فلا ينفع ولا يضر الا الله تعالى السؤال الموفي عشرين المرأة عند النصارى يسرها ما يسر
الجنس ويحزنها ما يحزن الجنس وكلامها مع زوجها يقوي به على الحرب وعلى فعل الخير مع جنسه والدفاع
عن بلاده واما المسلمة فقد بلغنا انها لا تلتفت الى ذلك ولا يلزمها الجواب ان هذا الذي
ذكرتموه في نساء النصارى هو موجود في نساء العرب اكثر بالاتفاق حتى ان العربيات اذا وقع
لرجالهن هزيمة او حصل فيهم قتل لا تترك الواحدة منهن زوجها يقبلها ولا يجامعها حتى ياخذ
بثاره من عدوه وكان نساء العرب لا يبكين المقتول الا بعد ان يؤخذ بثاره تحريضا للرجال
على الحرب وكان الحارث بن عوف من اشراف العرب وكانت له اليد الطولى في عقد الصلح بين عبس وذبيان
اولا واخرا والسبب في ذلك انه قال يوما لخارجة بن سنان اتراني اخطب الى احد فيردني قال نعم
قال ومن ذلك قال اوس بن حارثة بن لام الطائي فقال الحارث لغلامه ارحل بنا فركبا حتى اتيا اوسا
في بلاده فوجداه في فناء منزله فلما راى الحارث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث قال وبك قال وما جاء بك
قال جئتك خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه ودخل اوس الى امراته مغضبا وكانت من عبس

فقالت

فقالت من الرجل الذي وقف عليك قال ذلك سيد العرب الحارث بن عوف قالت فما لك لم تستنزله قال انه
استحمق قالت وكيف قال جاءني خاطبا قالت افتريد ان تزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم تزوج
سيد العرب فمن قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال بماذا قالت بان تلحقه فترده
قال وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه قالت تقول انك لقيتني وانا مغضب بامر لم تقدم لي فيه قولا
فانصرف ولك عندي ما تحب فانه سيفعل فركب اوس بن حارثة في اثره قال خارجة فوالله اني
لاسير اذ حانت مني التفاتة فرايته فاقبلت على الحارث وما يكلمني غما فقلت له هذا اوس بن حارثة
فقال وما نصنع به امض فلما راني لا نلتفت صاح يا حارث اربع علي فوقف له فكلمه بذلك الكلام
فرجع مسرورا فبلغني ان اوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة لاكبر بناته فاتته
فقال يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب وقد جاءني خاطبا وقد اردت ان ازوجك
منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لاني امراة في وجهي ردة وفي خلقي بعض العهدة
ولست بابنة عمه فيرعى رحمي وليس بجارك في البلد فيستحيي منك ولا امن ان يرى مني ما يكره
فيطلقني فيكون علي وصمة فقال قومي بارك الله فيك ثم دعا الوسطى فاجابته بمثل ذلك او بقريب
منه ثم دعا الصغرى فقال لها كما قال لاختيها فقالت انت وذاك فقال اني عرضت ذلك على اختيك فابتاه
فقالت لكني الجميلة وجها الصناع يدا الحسيبة ابا فان طلقني فلا اخلف الله عليه قال بارك الله عليك
ثم خرج الينا فقال قد زوجتك بهيسة بنت اوس قال قبلت ثم امر امها ان تهيئها وتصلح من
شانها ثم امر ببيت فضرب له وانزله اياه فلما ادخلت اليه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت افرغت
من شانك قال لا والله لما مددت يدي اليها قالت مه اعند ابي واخوتي هذا لا يكون قال فامر بالرحلة
فارتحلنا بها فسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل بها عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت
افرغت قال لا والله قالت لي اكما يفعل بالامة الجليبة والسبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح
الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلي قلت والله اني لارى همة وعقل وارجو ان تكون المراة النجيبة
ثم سرنا الى ان دخلنا بلادنا فاحضر الابل والغنم ثم دخل اليها وخرج فقلت افرغت قال لا والله

قلت ولم ذلك قال دخلت عليها اريدها وقلت فواحد من ناس المال مائتين قالت والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا اراه فيك قلت كيف قالت اتتفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضهم بعضا يعني بني عبس وذبيان قلت فتقولين ماذا قالت اخرج الى هؤلاء القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الي واني لست فائتتك قلت والله اني لارى عقلا وهمة ولقد قالت قولا لا يرد فاخرج بنا فخرجنا حتى اتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى من الفريقين ثم يؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا عنهم الديات وكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرف الحارث الى اهله ثم ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ووفد عليه واسلم وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الانصار في جواره يدعو قومه الى الاسلام ومن شعر الحارث قوله

فان البر فاني في لقاني ... وعاقبة الاصاغر ان يشيبوا
وما كثرت فاسرتي بغدر ... كعاني في العواثر ما يطيب

انتهت الاسئلة والاجوبة وقد قصدنا بذكرها ازالة الاشكالات التي لم تزل افكار الاجانب من دين الاسلام تخوض فيها وتوجه الاعتراضات على المسلمين في تعاطيه وتفوق سهام الطعن عليهم للعمل به ولقد اوضح الامير في اجوبته الصحيح لذي عينين واظهر الحق لاهله من العقلاء المنصفين هذا مع المناسبة للمقصود من التاريخ والمرغوب فيه منه [illegible] المزبور سنة ١٢٨٥ دعي الامير الى حضور فتح خليج السويس كما دعي الى ذلك اعيان العالم فتوجه الى بيروت ومنها الى الاسكندرية ثم الى مصر وهناك اجتمع بامبراطورة فرنسا فاعظمت لقاءه واجلت حضوره ثم توجه الى بور سعيد في الباخرة الحربية التي تحمل امبراطورة الكوبه فاستقبله الامير الفرنساوي بالاحترام والاعظام ثم توارد الناس بعده الى بور سعيد في السادس عشر من شهر تشرين اول جرى الاحتفال بكمال الزينة والابهة وجلس الامير مع امبراطور النمسا وامبراطورة فرنسا وابن ملك ايطاليا وغيرهم من الامراء واعيان العالم الشاهير تحت المظلة التي اعدت لجلوسهم ثم ان الامير سار في الخليج في باخرته

امبراطور المانيا

وسار

وسار في معيته نحو الستين مركبا الى السويس ثم عاد الى بور سعيد وفي الرابع والعشرين منه اجتمع بالامبراطورة وشكر فعلها ثم ودعها واجتمع اليه رؤساء الكومبانية بقدوم الرئيس الاول الموسيو دولسبس وفاوضوه في امر ارض ميريلج التي كانوا اهدوها له فاخبرهم بان اسماعيل باشا والي مصر فيها وعدم موافقته لهم على هذه المنحة ثم اطلعهم على ما كتبه اليه في ذلك فلم يلتفتوا الى ذلك وصمموا على تنفيذ امرهم باي وجه كان فابان لهم الامير انه لا يريد وقوع الشحناء بينهم وبين اسماعيل باشا بسببه ثم تبين ان اسماعيل باشا انما قصد بمنعه هذا وانكاره انه يستأثر بهذه الارض دون غيره فلما اطلع الامير على ذلك سمح بها للكومبانية وسقط في يد المانع المنكر وهذا نص ما كتبه الى الامير في هذه القضية على ما هو عليه من الفصاحة والغلظة جناب الامير المحترم والملاذ المكرم الامير عبد القادر بعد اهداء السلام التام وكمال الاحترام اللائق بالمقام نبدي لجنابكم انه قد بلغنا تشريف حضرتكم وتوجهكم الى ترعة السويس بقصد الاستيلاء على قطعة الارض التي كنتم موعودين بها من طرف الكومبانية على ما قيل وبان الآن كنتم مشرفين هذا الطرف وحصلت المقابلة مع جنابكم واخبرتمونا بان الكومبانية ستعطيكم قطعة ارض وانكم انتم ترغبون في التوطن هناك وفي ذلك الوقت فاوضنا حضرتكم مشافهة بان الكومبانية لا يطلب عليها شيء من تلك الارض حيث انها الى الآن لم تثبت لها حيازتها واشرنا واوعينا لجنابكم بالكف اشارة والبيان عبارة انا لا نوافق على توطنكم هناك لما في ذلك من مخالفة الافكار وبان عقب اخبارنا لجنابكم بما ذكرناه كنا تحدثنا ايضا مع جناب قونسل جنرال دولة فرنسا وبعدها فيه اخبرنا رسميا مشافهة ان ذات حشمت الامبراطور لا تاذن في اقامتكم هنا ما دام ذلك مخالفا لرغبتنا وضد الافكار الاهالي والحكومة كما والحالة هذه ايضا مضمون الحكم المحترم الامبراطوري الصادر في حق مادة هذه الترعة لم يبح بالترخيص للكومبانية انها تتملك ارضا مثل هناك

لا حرفا ومن حيث ان توطن جنابكم بهذا الطرف لا تساعد عليه افكار الاهالي والحكومة معا كان حكم الامبراطور المعظم لا يساعدكم على استملاك ارض في هذا الطرف مع غاية التأسف حيث مجبورا على اخطار جنابكم عن ذلك ونؤمل عدم المواخذة ودمتم ثم ارسل جوابا

اليه مكتوبا اخر هذا نصه حضرة المحترم الامير المبجل الكريم بعد السلام وكمال الاحترام اللائق بالمقام فقد وصلنا عزيز مكتوبكم الذي ارسلتموه على يد حضرة الباشا باش معاوننا وبه عرفتم من حضور حضرتكم لاجل استلام الارض التي اعطتها الكومبانية لجنابكم الغاية ما ذكر فيه صار معلوما والحال انه قبل وصول مكتوبكم هذا لما بلغنا تشريف حضرتكم الى الاسكندرية والتعجيل بالتوجه الى جهة القنال ثاني يوم تشريفكم للمحل المقصود بوقته حررنا لحضرتكم مكاتبة واخبرنا عن الحقيقة وبها عرفنا جنابكم ان الكومبانية لم يكن لها اذن ولا صلاحية في ان تعطي اراضي ولا املاك في تلك الجهة لاحد كما هو مصرح عن ذلك بالحكم الصادر من ذات فخامة الامبراطور المعظم المتعلق بمادة الاراضي الكائنة في تلك الجهة ولم يجوز لها في تمليك شيء منها لاحد ثم افهمنا حضرتكم ان مقتضيات الاحوال لا تساعد على قبول توطن حضرتكم في هذه الجهات كما ان فخامة الامبراطور ما اجاز توطنكم هنا مع عدم رضانا وقبولنا ومن تاريخ مكتوبكم يعلم ان وصول تحريرنا كان بعد تحريره ولا بد انه علم لديكم منه ما يكفي عن الاطالة في الشرح والاطناب في الاعتذار بهذا الخصوص نظرا للضرورة ودمتم انتهى فلينظر الطالع الى ما اشتملت عليه هذه المكاتيب من الركاكة والفهاهة وانما ذكرناها بنصها ليعلم ما كان عليه هذا الانسان من الشوة والبذخ وما ارتكبه في خطابه من الصلف والعسف ثم لما نكب وازيج عن مكانه وابعد عن اوطانه وابعد

وكتب اليه

عن اعوانه واخوانه احتاج الى الامير يستعطفه ويستميله اليه ويطلب منه ان يستدعي له من الدولة العلية في سكنى الاستانة عسى ان تتعطف عليه مولانا امير المؤمنين الخليفة

الاعظم ويؤويه ويعفو عنه ثم يعطيه لخدمته وخدمته وحضرته ومن اتصل به ماكتبه وصورته نابلي من بلاد ايطاليا منفيا فخر السلالة الهاشمية وفرع الشجرة النبوية حضرة السيد الامجد سيدي عبد القادر الحسني الجزائري دامت معاليه الا وهو السيد المعول عليه في المهمات والمستضاء بنبراس رايه في الملمات ابقاه الله تعالى متسنما غوارب المجد متنسما نسائم الروح والحمد سعده مقتبل ومجده غير منتقل وما قيل ونقل في مدائح الكرام يهوى بالقياس الى قدره الجليل وان كثر منقل ولا زال للخائف والضعيف مأمنا ولكل مشروب وشريب حصنا حصينا وموئلا (وعاش في عزه وبهجة : وصفو عيش سعده مقبل) كتبت له ابقاه الله وحرسه وثبت قدمه في مقام المحبة واسسه واكرمه في القلوب وغرسه وارغم انف حاسديه وتعسه وحط قدره ونجسه وابقاك الله مورد ايزيد الامل وارداً صفو العيش نهلا وعلا لا يسامى الثناء الجميل حلل لا يسام ما دحلهم ولا يمل) فالناس كلهم لسان واحد : يتلوا الثناء عليك والوثنا العمم) هذا وقد بعثت هذا الكتاب لينوب عني في الخطاب مضمون ما احتوى عليه وخلاصة ما انطوى عليه هو اني انا وعائلتي من مدة سنة ونصف في ضنك ونصب منتظر من الله تعالى وعز وجل الفرج والفرج ثم ارجو ان لا تنقطع عنا المراسلات والوعاء مع بذل الهمة لنا ولعائلتنا المسلمة في انقاذنا من هذه البلاد ورجوعنا الى الاستانة العلية لنحظى بالاقامة بين ابناء جنسنا ونتمتع بالرفاهية في ظل سلطاننا ادامه الله تعالى وابقاه ووفقنا جميعا لما يرضاه امين بجاه طه ويس والسلام التام في البدء والختام حرر في شهر صفر سنة ثمان وتسعين وماتين والف

دياجي

فكتب اليه الامير في موضوع هذه القضية وراجعه بمكتوب هذه صورته ارفع سيادة الامير عبد القادر المعظم نحمد الله الذي به ينكشف الكرب ويحل بالالتجاء اليه كل خطب والصلاة والسلام على اشرف خليقته وافضل بريته نحلي

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

عن القلوب الهموم وتنفرج الغموم فعليه صلاة الله وسلامه الدائمان وآله وصحبه
ما توالى الملوان اما بعد فقد تشرفت بخطابكم السامي ولا زلت اتشكر توجهاتكم
العلية ومساعيكم السنية ثم قال وها انا متوكل في نجاز هذا الامر على الله ثم عليك
وتفويض امري الى الله ثم اليك حرر في جماد اول سنة ثمان وتسعين وكان شاهين باشا
كتخدا بعث بعض الطلبة المجاورين في الازهر الى حضرة الامير في هذا الخصوص وتكررت بينهم
مراسلات ومكاتبات فيما جرى بينه وبين الامير من المذاكرات فكتب اليه في بعضها ما نصه
والحاصل ان المهمة المطلوبة هي من حضرة السيد الامير وحده فان اجتمعنا مستودع
حضرته دون خلافه والقصد والرجاء من حضرته هو ارسال عريضة من طرفه عن تعجل
الى الاعتاب السلطانية لتكون مساعدة لعريضتنا التي قدمناها اليها والسلام ختام
ثم كتب الى الامير قوله نبتهل الى الله تعالى بالادعية الصالحة الناطق بها كل لسان وجاجم
متمسكين في المحبة بوثيق العرى مواظبين على الثناء الذي لا يزال منه الكون معطرا للحضرة
التي سمت بالفضائل ربوعها وزكا عنصرها وطابت اصولها وفروعها لا زالت كعبة
للامان وتقصد من كل فج عميق وحمى لسائر العفاة فيأتونها من كل مكان سحيق
وابدلها السعد والمجد فتسعى الوفود اليها كسعي العرب الى ربى نجد هذا وبما
نعرضه على المسامع الكريمة ونجزيه اريحية تلك الشمائل المستقيمة هو ان الداعي
قد تشرف بورود امركم الكريم السامي ولا يخفى ان اعبر عما حصل لي من الفرح والسرور
وقد تشرفت مولاي في الثانية والاولى وها انا قد ذكرت تفصيل ما يلزم في مكتوب محسوبكم
الشيخ فلان الفقير الان عندكم ودمتم وعز سالمين آمين بحرمة النبي الامين حرر في شوال
سنة ثمان وتسعين واني اقدم بفك احزام مزيد سلامي الى الكل من سعادة الانجال
حفظهم الله وحرسهم انتهى وكان الامير منذ خرج من بلاده وفد الى البلاد الاسلامية
يكاتب الملوك فمن دونهم من الوزراء والامراء لدواعي تهنئة او غرض لازم او تشكر على احسان

حصل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

حصل فيما تنبه الاجوبة على مقتضى ما يكتبه ولما كان استيعاب ذلك متعذرا للكثرة
ظهر لنا ان نقتصر منه على ما وقع اختيارنا عليه ولا يخفى ان البلاغة هي الدلالة
بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى وكان للعرب في ذلك اليد الطولى والقدح
المعلى فان للعجم منه كالترك والافرنج نصيب اوفر منه ومن اطلع على رسائلهم
وكتاباتهم وجدها على السنن العربي عارية من فساد التعسف وقبح التكلف
بيتوا في الكتابة بالمراد فيرسم التوقيع على حسب الواقع لا طول ولا علة فوافقوا العرب
في هذا عند ان العرب لتوسعهم في لغاتهم حازوا قصب السبق في مضمار الكتابة
فهم يتنوعون الخطاب ويتفننون في اساليبه فيأتون منه بابا بعد الباب ويفتح
كل باب وكلا الفريقين ينزلون الالفاظ على قدر الكاتب والمكتوب اليه فلا يخاطبون
وضيع الناس برفيع الكلام ولا رفيعهم بوضيعه الى غير ذلك مما يطول ذكره ويخرج
بنا عما نحن بصدده ومن المعلوم ان الامير من مشاهير العالم واعيانه والناس على اختلاف
مللهم ونحلهم لهم به تعلق شديد فلا يخلو يوم من ايامه من كتاب وارد او صادر
والذي نذكره هنا هو بعض من كل وغيض من فيض فمن رسائله التلغرافية الى الباب العالي
في التهنئة باحد العيدين اسعد الله ايامكم بهذا العيد المبارك سعادة تستمر
استمرار الزمان وتعم جميع الرعايا في ظل الامن والامان ومنها في عيد الجلوس
هنأ الله مولانا وايده بعيده الوارد عليه واعاده كيف شاء اليه مقرونا بالعز
والنصر والهناء وطول العمر ومنها في التهنئة بالصدارة العظمى هنأكم الله
بالمنصب العالي وقرنه باليمن والبركة اقتران الايام بالليالي ومن اجوبة الباب
العالي التلغرافية هذا تلغراف سامي الى حضرة الامير عبد القادر بالشام قد
احرزت بكمال الممنونية تلغرافكم السامي المتضمن التهنئة بالعيد السعيد ومقابلة
هذا جعلت التشكر ردا بلسان المودة المخصوصة ومنها في ايلول سنة سبع

وثمانين ان مزايا تلغرافكم العالي في التبريك بتوجيه مسند الصدارة لعهدة
داعيكم ارجعت محفوظيتي ومنها في تشرين اول سنة ثمان وثمانين قد
تشرفت بتلغرافكم الحاوي التبريك بمأموريتي الجديدة فحصل لنا غاية المحظوظية
والسرور نرجو ادعيتكم الخيرية ومنها في نيسان سنة تسع وثمانين قد
اخذت تلغرافكم العالي وعليه بانني اقدم الثناء والتشكر لهممكم الجليلة
القائمة بايفاء رسم التهنئة ومنها في كانون اول سنة اثنتين وتسعين
اخذت تلغرافكم العالي باستلزام كمال الممنونية وتشكرا لمعاليكم اكرر الدعاء
بالزيادة في عمركم ودوام عافيتكم وبه نقل هذا القدر من اجوبة الباب العالي كفاية
وعن غيطها بغاس غيره ومما كتبه الامير الى حضرة شاه العجم في رسالة بعث بها
اليه عندما ارسل اليه نيشان الاسد من الرتبة الاولى وكان الشاه وقتئذ زار المشهد
الحسيني المعظم ورجع الى دار ملكه طهران قد وافاني من حضرتكم السنية النيشان
الاعلى من الرتبة الاولى هدية وكيلكم المحترم في دمشق فجلت انواره حنادس الهموم كما
جلت نوازعه عرائس المفاخر في محفل مشهود في يوم معلوم جمعتم لا ابرحكم الله في ذلك النيشان
الكريم انواع المبرة والكرامة وجعلتموه حلى رقبة سغامنا عنكم علامة ولا عجوب على
علائكم من الثناء الجميل الكليلا واجعلني دعاء في الصالح لكم وردا بكرة واصيلا الى ان قال
وقد حدثنا وكيلكم المشار اليه عما شاهده من احوال المحفل الاكبر الجاري في ذلك المشهد
الشهير الانور الذي حشر الناس اليه حشرا وطابت به الامال عرفا ونشرا وشاع امره
وذاع وملأ خبره الربوع والرباع فالتذت بانبائه المسامع وتعطرت بذكره
الاندية والمجامع فليهنكم الاياب والزيارة التي اعظم غنيمة واربح تجارة ومنه
تعالى نسئل ان يكلأ بعين حفظه ذاتكم الفاخرة ويجعل عز الدنيا متصلا بعز
الاخرة اهـ ومن اجوبة وزير الشاه الى الامير عن تلغراف منه اليه قد اطلعت

على تلغرافكم العالي وقدمته لحضرة الشاه وشاهد منه ما اوجب ممنونيته ارجو
ان لا تنسوني من صالح دعائكم ومما ارسل الى امير مصر الخديوي الحالي توفيق باشا
في تموز سنة تسع وسبعين وثمانمائة بعث اليه الامير تلغرافا يهنئه بذلك فاجاب
اني اقدم تشكراتي عما تكرمتم به من التهنئات بمناسبة ارتقائي للسلطة الخديوية
ومن رسائل الامبراطور لويس نابليون الثالث امبراطور فرنسا رسالة بعثها اليه من
بروسا منها قوله ولو اعطيت نعيمي مناها وسوغتها دعواها لا وردت على حضرتك
في كل يوم جديد وابراز الشكر وجددت لكم مع كل خاطر جميل الذكر وحسبي من ذلك
ان اخبار التواتر وانفاس الاقطار هتفت باطباق سكان البسيطة على ذكر مزاياك الباهرة
ومبادئ مجدك الزاهرة ونشر فتائح عدلك وشكر ابرك المحسني لغدا حال للناس عجبا
اخبرتموه معنا من الخوارق محامد تعطر ومشاهد تشهد وبهذه الحال التي
كان سمعها ولذ موقعها استوجبت برد الارتياح وصدور الانشراح الى بعث هذه
النميقة نهنيك بالتوفيق الذي قسمه الله لك في شأننا والتيسير الذي اظهره
على يديك لتسريحنا اهـ ومن عادة الامير انه كان في كل سنة بعد خروجه الى بلاد
١٠٩ الاسلام يبعث الى هذا الامبراطور يهنئه بدخولها كما انه يهنئه بعيد جلوسه
على تخت الامبراطورية في اشان اليوم الذي تحيا له فيه ذلك ومن اجوبة الامبراطور
عن تهنئته بسنة خمس وخمسين وثمانمائة والف قد وصلني تلغرافك مسيرا عن صادق
المودة ومن خالص ارتياحكم لتهنئتي بالسنة الجديدة فحصل لي بذلك سرور عظيم
وبمثل هذه التهنئة اهنيك واوكد لك اني احبك وارجو لك الخير وعلى تهنئة
بعيد الجلوس اطلعت على تلغرافك وقد جمت الالسنة فرحا بعباراتك وصادف
منا غاية الارتياح والقبول وفي كانون الثاني من سنة ستين قرأت رسائلكم واهتززت
الاشياع سرورا بها لكونها جاءت نائبة بما املى عن شخصه الكريم لدينا وفي كانون

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الثانى سنة احدى وستين حين اطلاعى على رسالتكم فى التبريك بالسنة الجديدة انشرح صدرى وانبسط جنانى وانبعث شكرى وفى سنة اثنتين وستين سرنى تلغرافكم جدا لحقق جيده دائما اتذكر محاسنكم ومزاياكم وفى سنة ثلاث وستين تهنيتكم حازلها فى قلبى موقع عظيم جدا كما يقع فى قلوب الاحباب بمثلها وفى سنة اربع وستين وردت علينا التهانى من حضرتك فتلقيناها بالقبول والسرور وهكذا فى كل سنة دخلت وعيد الجلوس تجدد الى ان عرض للامبراطور ما عرض فى حرب بروسيا سنة سبعين من الاسر ثم الموت بعد تخلصه منه فى بلاد الانكليز وكان الغراندوق نيقلاى بن قسطنطين شقيق الاسكندر الثانى امبراطور الروسيا جاء الى الارض المقدسة ودخل دمشق واجتمع بالامير وعند سفره كان الامير منحرف المزاج فلم يتفق لهما تلاق وبعد وصوله الى بطرسبرج عاصمة ملكهم بعث تلغرافا الى الامير يخبره بوصوله فاجابه الامير تلغرافيا سرنى جدا وصولكم بالسلامة لمركزكم لحقق جيده دائما اذكر ما انتم عليه من الاخلاق الحسنة ان حسن لديكم اسنى تحياتى الى حضرة الامبراطور واقبلوا تهنيتى بالعام الجديد وفى شباط من السنة المذكور جاء الجواب من الغراندوق عن هذه الرسالة نصه ايها الامير الماجد المعظم قد سررت كثيرا بتلاوة الرسالة التى اتحفتمونى بها وجاءت شاهدة على دوام ذكرى عندكم وكانت من احسن الوسائل لدى لتجديد انبساط قلبى بتذكر اجتماعنا فى دمشق الفيحاء وما كان من سياحتى فى المشرق التى لا ينطوى الى عندى نسيانها مع ما بعد المشقة ولا طول المدة ان ينسيانى ما رايت فى ذلك القطر الكريم من اكرام النزل وحسن اللقاء ومن جملته ما بدا لى منكم ومن جميع اهل دمشق ثم من محاسن نبيتكم هذه اتحافى بخبر نفسكم وحصولكم على كمال العافية فان سلامتكم شانا عظيما لدى لما اعلمه من انبعاث العقل والفضائل من اعمالكم ودوا واشكم باحيانكم الله الى الامد بعيد

في سابع كانون الثاني سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة والف

فرنسوا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

وقد عرفت الملا انما انتصروا ... فى سوا تدبيرهم والوسرا
فان مرحت فبذا لمعرفتى ... حقا وانى بحقكم [illegible] را
وعن الشكران نعمة وجبت ... لا للتملق انظم الشعرا
ما حب الولد والدوحية ... بالغيب ذا صابه ذكرى
او جاد فى مدح خلائقكم ... حسنون نظم بروضة ازرى

حرر سنة سبع وستين وثمانمائة والف

ومما نوه بذكر الامير فى هذا الخصوص من الاوربيين الجمعية المعروفة بجمعية حمل الخبر واغاثة المصابين فى البر والبحر وهذا نص ما بعثت به اليه ان جمعية المصابين المؤلفة من اعيان الامصار والسوق الشهيرة فى فرنسا قد اتفقت كلمتها على ان يكون الامير عبد القادر رئيس شرف لها وهذا يؤكد له عظيم ميلها اليه وجزيل تشكراتها العائقة لما ابداه من الفعل الخير الجسيم فى سورية سنة ستين وبناء على ذلك بعثت له هذا الرقيم كالشهادة على عقد ما اتفقت عليه فى باريز اخر حزيران سنة احدى وستين وثمانمائة والف وكانت الجمعية الامريكانية الشرقية القائمة بتنظيم تاريخ العالم وتاليفه سبقت هذه الجمعية الى مثل ما فعلته وارسلت الى الامير نسخة مما كتبته هذه صورتها انه بناء على تقرير الرؤساء شارل دى لا بارت والعونس كاستيك وعلى قرار المجلس قد اعلنت الجمعية تعيين السيد الامير عبد القادر بن محى الدين عضو شرف لها وبعثت اليه بهذه العرضحال كشاهد على ما قررته فى باريز فى الثانى عشر من تموز سنة ستين وثمانمائة والف

ذكر ما نشرته بعض الجرائد الاوربية من اخبار
هذه الحادثة واستمرت على ذكرها
شهورا عديدة

ذكرت جريدة موندا بلوستري الفرنساوية تحت عنوان عبد القادر امير معسكر سابقا ما نصه

ان حوادث سورية المحزنة قد اظهرت للوجود اسما كان محجوبا بغياهب الغربة وهو ذاك
الاسم الذي طالما كررته السنة الامة الفرنساوية بالرجفة والاضطراب هو ذاك الاسم
المرسوم باحرف ذهبية من شواطئ نهر شلف الى رمال الصحراء في الجزائر فقد ابدت لنا فضائل
الدول ومسيحيي دمشق شكران الجميل في سورية وانكشف بذلك عن مزاياه الحجاب الذي
كان ساترا لها وغدونا جميعا نتبارك باسم عبد القادر الذي لم يخش من اقتحام الاخطار
لاجل خلاص اولئك المساكين من يد سافكي الدماء ثم انه جمعهم في قصره وافاض عليهم بحار
كرمه ومخائله وساعده في ذلك فرسان المغاربة الامناء الذين بذلوا جهدهم في انقاذ المسيحيين
وحمايتهم من الدروز هو ذاك الرجل الذي كانت تلوح على وجهه من علامات الثبات والحزم
والفطنة ما يدل على شرفه واتصال نسبه بالرسول هو ذاك الرجل الذي اقام في سجنه
سنين ولم يتغير عما كان عليه من المحافظة على الاوامر الشرعية واداء الحقوق الانسانية
هو ذاك الرجل الذي كان عدوا مبينا لدولة فرنسا واقام مدة سبعة عشر عاما ينادي بالجهاد
وما نسب اليه اعداؤه من الافعال الغير اللائقة كقتل الاسرى من الفرنسيس والحنث في اليمين
الى غير ذلك مما نسبوه اليه ويأباه طبعه الكريم فقد كذبه تحريره الشهير الذي بعثه للدوق فيليب
ملك فرنسا الدال على كرم اخلاقه وصفاء سريرته وكانت وقتئذ نيران الحرب مضطرمة بشدة
لا مزيد عليها ومن جملة ما في ذلك التحرير قوله انني اطلب منك ايها الملك فداء اسرى المسلمين
باسراكم الموجودين عندنا ولما لم يجبه الملك عن ذلك المكتوب كتب اليه مرة ثانية وثالثة
يلح عليه في الطلب فلم يجبه ايضا وبعد مدة كتب اليه يقول انني قد كتبت اليك مرات
فلم ترد لي جوابا وانا لا ارجع عن قولي وحيث انك اعرضت عن الاجابة الى العدل فاني قد
اطلقت سبيل اسراكم وصرنا ننتظر ما تفعلونه انتم ثم لما افلت شمس سلطنته تركه الكثير (انه في آخر امره)
من قبائله ولحقوا بسلطان مراكش وكان هو وقتئذ بجيوشه في الجهة الشرقية من بلاد الجزائر ثم
بعد مدة بلغ الفرنساويين ان جنودا منهم وقعوا اسرى في ايدي العرب وانهم قتلوهم شر قتلة

وان ذلك

ذلك كان بامر الامير فلما وصله هذا الخبر كتب في الحال الى حكام الجزائر يقول لهم اتنسبون
الي ما وقع مع انكم تعلمون علم يقين ومشاهدة بانني كنت وقت وقوع ما وقع بعيدا عن الارض
التي وقع فيها ما بلغكم بمسافة مائة وثلاثين ساعة فظهر من هذا ان الامير لم يأمر بقتل
الاسارى وان تأخره عن قصاص الذين قتلوهم في غيبته من غير اذنه انما كان لعجز سلطنته
وقتئذ وعدم طاعة العرب له وبالجملة فان اخلاق الامير ومزاياه كانت دليلا على شرف
نفسه وتقدمه في الجزائر كما هو الآن في سورية وبرهانا قويا على طهارة قلبه وانظر
الى خطابه للجنرال لامورسير عند التسليم فانه قال له انني حاربتكم مدة طويلة والان
يمكنني ان الحق ببلاد الصحراء واستمر في قتالكم الا انني لما تأملت في امري علمت ان العناية
الالهية التي كنت اقاتلكم بها واصول عليكم بقوتها قد ولت ايامها فان كان يمكنكم ان
ترسلوني الى الاسكندرية او الى عكا من بلاد الشام فانا استسلم اليكم فاجابه الجنرال
الى ذلك واعطاه مواثيق وعهودا اعلمه بموافقة ابن الملك حاكم الجزائر حينئذ ثم من الاتفاق
العجيب ان نابليون الاول لما انكسر وسلم ذاته بشرف الى الانكليز غدروا به عن منازلهم
ونفوه الى الجزيرة الغريبة هيلانة وفيها مات والامير عبد القادر بعد ان استند على عهد
ابن الملك وسلم نفسه اليه اخذه اسيرا الى طولون ولكن الباري تعالى أتاح له احد
سلالة نابليون الاول فبادر عند احرازه الامبراطورية فرنسا الى تخلية سبيله وفاء بعهد
فرنسا وحفظا لشرفها ثم نعود فنقول نحن نبذل الجهد في اداء الشكر للامير على ما ابداه
من المزايا في حق المسيحيين ولحضرة الامبراطور نابليون الثالث على حفظه لشرف الامة
انتهى وكان تحرير هذه الجريدة في رابع آب سنة ستين وثمانمائة والف وفي جريدة اخرى
انه يوجد في ذات عبد القادر شخصان احدهما امير الجزائر والعدو المخيف للفرنسيس من
سنة ثلاثين وثمانمائة والف الى سنة سبع واربعين والثاني الامير الموجود في الشام المخلص
للنفوس المسيحيين في ايام حادثة دمشق المهولة سنة ستين فالامير هو الرجل الوحيد

١٢

ظهر في سكانين بصورتين وامسى الفرنساويون مرسوقين له بذين هم مجبورون على اذائه له
الامير عبد القادر وهو ذاك الرجل الباسل الذى ابدا امورا واعمالا لم يكن احد يتصورها ولذلك
كانت جديرة بان تدون في اجل تواريخ العالم والآخر ما نقول قد عرفنا الغيرة في الجزائر وظهر
الآن في صورة مخلص المسيحيين في الشام انتهى وفي بعضها ما صورته الامير عبد القادر رجل من
مشاهير رجال العالم دافع عن وطنه وحريته ثم حكم عليه القدر الالهي بسلم اعدائه بتغلبه
البلاد وهم على خلاف الشرط الذى اشترطه عليهم وقبلوه ثم جعلته حكومتهم اسيرا اسرا
مدة طويلة عندان برنس من ابناء ملوكهم كان يظاهره في النباهة اعطاه برهانا وثيقا
وعهدا متينا خلصه به من تقلبات الايام وذلك عند انقلاب الحكومة وارتقائه على اريكتها
وسلطة ذلك البرنس ارجعت الى الامير حريته ثم اصبح ناصرا للاسلام العربي بواسطة
دوران دولاب سعده في مركز قوى في العالم وبات ركنا بين عظمائه وصار يخاطب من الملوك
بالقاب استوى فيها مع اعظم المشاهير واخيرا حامى عن الزمار والذمة وحفظ مقام
الوفاء بكرامة كما عمل في بداية سيرته في وطنه ولا ريب ان تلك السيرة لا شبيه لها في التاريخ
انتهى وقد رايناه في هذا القدر من كلام الجرائد كفاية والا فهو طويل الذيل مديد السيل هذا
وقد كان بين الامير والشيخ شمويل الداغستاني مواصلة ومراسلة ولما بلغ الشيخ شمويل
خبر حادثة الشام وهو اذ ذاك عند دولة روسيا محجورا عليه بعد ان سلم اليها واستامنها
لنفسه ولمن معه من اهله كتب الى الامير يصوب فعله ويشكر فضله فاجابه الامير بقوله الحمد لله
رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى سائر اخوانه من النبيين والمرسلين انه من الفقير
الى مولاه الغني عبد القادر بن محيي الدين الحسني الى الاخ في الله والمحب من اجله الامام الغازي
شمويل كان الله لنا ولكم في المقام والرحيل وسلام الله عليكم ورحمته اما بعد فانه وصلنا
الاعز كتابكم وسرنا الالذ خطابكم والذى بلغكم عنا ورضيتم به منا من حماية اهل الذمة
والعهد والذب عن انفسهم واعراضهم بقدر الطاقة والجهد كما في كريم علمكم مقتضى

ادام

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

١١٢

فقام الروس يحامون عن حقوق الروم والفرنسيس يحتشدون للاتين وينتصرون لهم
ووقع الباب العالي في ~~ارتباك~~ حيرة من ذلك ثم تداخل الانكليز في ~~حل~~ هذا المشكل
واطفاء نار الفتنة ورسم ترتيبا يؤلف بين الكنيستين المختلفتين فقبلته فرنسا ورفضته
روسيا لان مقصودها لم يكن مقتصرا على المحاماة عن حقوق الروم بل كان لها اغراض
ومقاصد اخرى لطالما كانت تجتهد في نوالها وتترقب الفرص للحصول عليها وهي ابعاد
الدولة العلية من قارة اوروبا فوجد امبراطورها نيقولا هذه المنازعة فرصة مناسبة
لمطلوبه فانتهزها وارسل سفيرا الى القسطنطينية لمقابلة السلطان عبد المجيد خان
فعرض على جلالته مطالب الامبراطور نيقولا في المسائل المتعلقة بالاماكن المقدسة المذكورة
وزاد عليها ان جميع الروم الذين هم من تبعية الدولة العلية يكونون تحت حماية ~~روسيا~~
~~وحدها~~ وان بطريرك الروم القسطنطيني وباقي اساقفة الطائفة يكون انتخابهم
~~وتعيينهم~~ منوطا به وان الشكايات والدعاوى التي تصدر عليهم من جهة تصرفاتهم
تعرض عليه لينظر فيها فوجم السلطان لهذه المطالب واستعظمها ثم رفضها وانثنى
السفير راجعا ~~من حيث اتى~~ الى سيده فلما علم ~~الامبراطور~~ بواقعة الحال استشاط غضبا وامر
بزحف عساكره التي كانت معسكرة ~~على ضفة~~ بالقرب من نهر الطونة ~~فعبرت~~ فاجتازت النهر وشنت
الغارات على ولايات الافلاق والبغدان واستولت عليها ولما ~~تحقق~~ رأى الباب العالي
ذلك علم ان ~~روسيا لا تنثني عن مطالبها~~ مقاصد روسيا لم يبق له وسيلة الا اشهار الحرب فجند الجنود وجهز الجيوش
وعقد عليها للقائد الشهير عمر باشا المجري ليقف في وجوه تلك الجيوش ويردها عن
اعتدائها ولما تأكدت الدول الاوروباوية بغية الروسيا ومقاصدها بادرت انكلترى
وبروسيا والنيمسا الى عقد مجلس للنظر في اجراء الوفاق بين الدولتين وارسلت كل دولة
منها معتمدا من طرفها الى فيينا واجتمع هناك سفيرين من طرف روسيا والاخر من طرف الدولة
العلية وعقدوا هناك جلسة واول المذاكرة فيها اظهر سفير الروس نفورا كان سببا في تعرق

(هامش: حل — فقط — والعياذ بالله تعالى — لدى السلطان عبد المجيد خان — توليتهم وعزلهم — الى سيده — بالقرب من — مقاصد اوروبا — وذلك سنة ... لما ذكرناه انفا)

الوجوه وعن الدنيس كان موجودا [illegible]

المجلس من غير طائل وصدر الامر العالي الى سليم باشا قائد الجيوش السلطانية بان يدفع الجنود الروس المعسكرة في حدود الاناطول فزحف اليها وانتشب القتال بين الفريقين وانتصر سليم باشا على العدو في عدة وقائع وتقدم عمر باشا في جيوشه الى بلاد الافلاق والبغداد والتحم القتال بينه وبين الروس فغلبهم ايضا ثم ان الانكليز والفرنسيس لما تحققوا [illegible] اتحدتا لاعانة السلطان واعلنوا الحرب وساقوا العساكر الى الروس في سنة احدى وسبعين [illegible] الى ساحة الحرب واضطرمت نيران الحروب بين الدول الثلاث والروس واما باقي الدول الاوروبا وبروسيا فانهن اتفقن على الحيادة واتصلت الوقائع وحمي وطيسها وفي اثنائها مات الامبراطور نيقولا وتولى مكانه ولده اسكندر ثم كانت الدائرة على الروس واستولت جيوش الدول الثلاث على قلعة سواستبول بما فيها من الذخائر والمهمات وانهزمت جيوش الروس في كل جهة وحينئذ افتتحت مخابرات الصلح وعقدت جمعية في باريز سنة ثلاث وسبعين ومائتين والف وتقرر الصلح على شروط رضي بها الفريقان ثم انسحبت العساكر الى مواطنها وانتهت الحرب التي لم يكن لها داع سوى الاعتداء والعسف وعلى الظالمين تدور الدوائر

تخلي الدول المتعاهدة عن القتال

ذكر ما اجراه الامير في ختان اولاده وغير ذلك من الاخبار

كان الامير كثيرا ما يجامل اهل بروسا بحسن مجالسته ويعاملهم بلطف مؤانسته ويفيض على فقرائهم سجال احسانه ويطرق الاغنياء والمتوسطين كذلك افضاله وامتنانه وفي ايام اقامته بينهم احتفل بختان اولاده احتفالا لم يسبق اليه في تلك البلدة فاقام اياما وابواب منازله مفتحة لاطعام الطعام واكرام الوارد والصادر اي الانام وختن من اولاد اهل البلد نحو الخمسمائة قال شرشل المؤرخ عندما اجرى الامير ختان اولاده تعجب اهل بروسا فان من عادة اعيانهم وكبرائهم يحتفلون للختان والافراح بضرب الموسيقى والطبول والزمور والامير احتفل لختان اولاده بكثرة الصدقات والمبرات بين جماهير الفقراء محرضين بداره الواسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احاط بكل شيء علما وانفذ في كل مخلوق قضاء ازليا وحكما له الملك الذي لا انتهاء لامده ولا انقطاع لمدده وله الخلق والامر وبيده النفع والضر خلق الدنيا عبرة لمن يعتبر ويعلم ان قاطنها وان كان مكثه فهو على سفر وما لك [illegible] غلب وقهر ليصير الى ما صار اليه من مضى وغبر فسبحانه من اله لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه في مضائه والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناهض باعباء الرسالة ومالك ازمة المجد والجلالة وقائد جيوش النبوة وحامل لواء البسالة والفتوة وعلى آله واصحابه الذين اتبعوه فيما شرعه وسنه وناضلوا من خالفهم بالسهام والاسنة وبذلوا نفوسهم واموالهم في نصرته واعلاء كلمته ونشر ملته اما بعد فيقول الفقير الى رحمة ربه الغني محمد بن الامير عبد القادر الجزائري الحسيني الحسني سدده الله بالتوفيق عمله وبلغه اربه واملا بينما شمس امارتنا في افق مغربنا الاوسط طالعة وانوارها على جميع الخافقين ساطعة وجنودنا منصورة ومساعينا مشكورة واوامرنا مطاعة واحكامنا لها القلوب منجذبة مطاوعة اذ فاجأتنا طوارق الدهر باغتنام جنود فرنسا من البحر بطمعها في عادتنا تدافعهم عن وطننا ونبذل النفس والنفيس في حماية حوزتنا واتصلت بيننا وبينهم حروب للظهور قاصمة وللعرى الحزم فاصمة ثم ازدادونا بالخيل والرجل وساعدوهم بالجنود ملأت من بلادنا الحزن والسهل فضاقت بنا بلادنا بالثقل وناضلناهم بالسيف والنصل ولم نزل نصادمهم الوقائع والقراع والمصال والمصاع الى ان انقضت المدة واستكملت امارتنا من ايامها العدة واستولى على قلوب الرعية الاضطراب واستحكم الوهن عليهم بتمكن الاسباب ولله في خلقه علم غيب وليس في الغلب بعد بذل الوسع عار ولا عيب فالدائرة من شأنها تدور ولا بد من نقص او كمال للبدور والدهر في صرفه ذو عجب يبدي لنا كل جديد للبلا

الحمد لله وحده

[illegible]

تبكي [illegible] اذا الحذير ماهله ... ويعقب الكرب اذا العيش صفا

كم ملك ذي نجدة في ملكه ... يضيق عن جنوده رحب الفضا

قد ملك الارض وراض صعبها ... وشيد القصور فيها والبنا

افنى عليه دهره وعاقه ... عن كل ما شيده وما بنى

فبينما نحن [illegible] بالكرب الاشد واتخذنا عند العرب الاقصى واخذنا [illegible]
شن الغارة [illegible] الفرنسيس العدو [illegible] دار بطانته و[illegible] وشجاعتهم [illegible]
ومساعيهم و تغالب حروبنا معهم [illegible] حصيدا وتزيفهم [illegible] واستمر ذلك
سنين [illegible] ثم [illegible] حرق الحسد [illegible]
العداوة [illegible] ثم [illegible] الجنرال البرنساوي [illegible] مجلس المحاورة يتداولون فيه الراي
فاجتمعت كلمتهم على [illegible]
[illegible] الخروج
[illegible] المحالات [illegible] البربر [illegible] وجاءت الرسل الى حضرة الامير
[illegible] ثم آل الامر [illegible] الى ما يدهش القلوب [illegible] تزداد حروب
وتعاقب خطوب [illegible] وانتحام الضراب ومقارعة الابطال
[illegible] الوليد [illegible] بالاشيب [illegible]
ثم [illegible] وانقطع ما كنا نستعمله من الاسباب وتغلب الفرنسيس على ما في الوطن
[illegible] من اهله [illegible] وقل ما كان بايدينا [illegible] من الجند [illegible]
من انواع [illegible] وبلغنا [illegible] الجهد [illegible] السلاح اليهم بشروط [illegible] الاحكام والمنافع
بلادهم خمسة اعوام [illegible]
المعتز [illegible] سلك الدنيا للنجاة منهجا الخ

موسيو اسكندر بالمار ذكر في تاريخه ما نص ترجمته بقلم مترجمه بحروفه ان السيد محي الدين
والد الامير عبد القادر ذو فضل وحلم ووقار وعلم وكان يوزع القسم الاكبر
من دخله على الفقرا ولم يكتف بما منحهم اياه من قوت الاجسام حتى اهتم اجرا
باعطائهم قوت القلوب والارواح ودعاهم لمائدة علومه المختلفة الالوان في
صحن المدرسة التي اسسها والده السيد مصطفى على التقوى وبناها بعزائم خلوصه
بالقرب من مسكنه الكائن في قرية القيطنة الكائنة بوادي الحمام التي اختطها
سنة ست ومائتين والف وخصص للقيام بنفقة تلامذتها جانبا من دخله
الخاص ورتب بخزانته الكتب ملاها من ذخائر نفائس مكنونات صدره
الشريف ومن عجائب المنقول وغرائب المعقول الى اخر ما ذكره .. وقد عرف
سيدي الوالد ان سيدي الجد زاد في نفقات المدرسة المذكورة عما كانت في
ايام والده السيد مصطفى بالاتقارب وكان رضي الله عنه مع كثرة ما تنتجه
املاكه الوافرة التي تعادل املاك امير عظيم كثيرا ما يستدين لتتميم نفقات
السنة وذلك لوفرة صدقاته ونفقاته على الزاوية والمدرسة وسائر ما
يوقفه من الجهات وذكر المورخ الفرنساوي الشهير موسيو (دوا) في تاريخه ما نص
ترجمته بحروفها ان القيطنة كانت في سنة ست واربعين ومائتين والف مؤلفة
من خمسمائة بيت تحتوي على خمسمائة عائلة من خدمه ومنهم طلبة علم ومنهم فقرا
عاجزون عن الكسب وجميعهم يأكلون ويكتسون من نفقات صاحب القيطنة
وهذا الذي ذكره المورخ المذكور كان على عهد جدنا مؤسس القيطنة وهو
السيد مصطفى واما بعد ذلك في عهد ولده سيدي الجد صاحب الترجمة
وعهد سيدي العم السيد محمد سعيد فانها زادت اضعاف ما كانت عددا ونفقة
وقد تعرض المستر شرشل الانكليزي في تاريخه في اخبار سيدي الجد للقصة التي
اسلفنا ذكرها مع حاكم وهران حسن باي وقد جاد في تفصيلها فقال ما
نصه بحروف ترجمته ان السيد محي الدين اعتمد على التوجه الى الحج فاعد لذلك
تجهيزات عظيمة وفي تشرين الاول سنة ثلث وعشرين وثمانمائة والف خرج وولده
عبد القادر من القيطنة وكان سفره شاع حالا في ولاية وهران وجل

في جميع هذا السفر الطويل وقطع مهامه ليس لغيرهم في سلوكها من
سبيل الا النادر القليل وتبرع من بره وخدمته فوق مراده مع كثرة
خدمه وعبيده فكان يباشر سقي الدواب وعلفها وعقلها بنفسه
عملا بقولهم اربعة لا ينبغي للشريف ان يأنف بخدمتهم الاب والشيخ
والضيف والفرس ولو كان له الف عبد فحج معه البيت الحرام حجتين
وزار المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام مرتين وتبرك
بالرياض الشريفة والاثار المنيفة واضرحة الصالحين ~~ومشاهد الصحابة~~
~~والقرابة والتابعين ثم حج الرابعة حجة ثانية فحقق الله~~
~~ذلك اعلى المراتب ووهب له اسنى~~ المواهب ثم لما قضوا مآربهم
واوفروا من نفائس الطاعة حقائبهم رجعوا الى وطنهم آيبين بحديث
اذا قضى احدكم نهمته فليعجل عائدين وجعلوا طريقهم على برقات
برسم زيارة دفينها العلامة الصالح سيدي ومولاي الجد الثاني
السيد مصطفى بن محمد ثم استمروا سائرين في طريقهم برا الى تونس ومنها
الى الجزائر ولقيهم حاكمها الكبير بما يقتضيه جليل المقام من الاعظام
والاكرام والتوقير والاحترام حتى انبهرت عقول اهل الجزائر في ذلك
وقالوا انهم ما رأوا قط ان الحكومة سلكت مع غير هذا السيد العظيم في
هذه المسالك وشاع خبر ما جرى وذاع ~~ودخل الاعيان في سائر~~
~~الوطن والرعاع~~ ثم خرجوا منها الى الوطن فكان قدومهم على اهل
غريس وتلك الجهات عيدا ويوم وصولهم يوما مشهودا ثم اخذت
الوفود تترا عليهم من كل ناحية ولم يتخلف عن التبرك بهم احد
من اهل الحاضرة والبادية وذلك ان الناس كانوا يشتاقون
اليهم اشتياق الظمآن لماء الزلال ويترقبون طلوعهم عليهم
ترقب الهلال وبالجملة فان سيدي الجد بلغ من الشهرة مبلغا لا يدرك
وفي الحظوة مقاما لا يشرك وحسبك ان الافرنج اعتنوا باخباره
واحواله فقيدوها وفي تواريخهم المعتبرة اثبتوها وهذا القدر في [illegible]

(في الهامش: والقرابة الى البيت ومشاهد الصحابة والتابعين)

١١٦

والسلام فتمت القضية ~~النازل والسبب القابل~~ فلما من الله عليه بالشروع
جدد نيته ووجه الى الحجاز وجهته واخذ في السفر فاختار لذلك ورفقته
ولده سيدي والدي من بين سائر اولاده وقرابته وذلك لما شاهده
من قوته ونجدته فسبحانه من قدر الاحوال طورا فطورا ودرج النبات
ورقا ونورا وبعد عزمه على السفر خلف على امور الزاوية والبيت
ولده الاكبر عمي السيد محمد سعيد ثم سار بعزم لا يفل حده ولا يخبو زنده
وجعل طريقه برا الى تونس ومنها ركب البحر الى الاسكندرية ومنها سار
الى مصر ثم الى بحر السويس فركبه الى جدة ومنها الى ام القرى عالما
انه من اضياف الله تعالى ومن اضاف الله ذلله بالذ واحسن
القرى فحج واعتمر وفاز بالحظ الاوفر ثم يمم المدينة المنورة فزار القبر
الشريف وصلى بالمسجد النبوي المنيف ثم خرج منها الى الشام فدخل دمشق
واقام بها شهرا وسمع فيها هو وولده سيدي الوالد على الامام الكزبري
بعضا من صحيح البخاري بمسجد بني امية ثم سار الى بغداد فزار ضريح
الشيخ الرباني والهيكل الصمداني سيدنا ومولانا عبد القادر الجيلاني
ولقي في هذه الرحلة من العلماء من حاز قصب السباق في كل مجال
ومن الاولياء من له خبرة بالوقت والعلم والحال فاخذ عنهم واخذوا عنه
علوما جمة واستمد منهم واستمدوا منه اسرارا وحكمة ولبس الخرقة
القادرية من يد الاستاذ نقيب الاشراف وخليفة سيدنا الشيخ قدس
الله سره وصاحب سجادته سيدي السيد محمود واجازه شفاهة وكتابة
ثم كر راجعا على طريقه الى المدينة المنورة ثم الى مكة المطهرة فحج وزار
وتبرك بما في تلك البقاع الشريفة من الرسوم والاثار وكان قبل ذلك
بسنين ادى حجة الفرض فتلك ثلاث حجات كاملة نال بها ما كان
قاصده وامله وكل من لقيه من العلماء يقر له بالفضل ويحكم له بالتقدم
في جميع العلوم على ما يقتضيه الانصاف والعدل سيما علم الحديث رواية
ودراية فانه كان رضي الله عنه حافظا راوية وقد صحبه سيدي والدي

(في الهامش: ما ذكرناه — الشيخ عبد الرحمن — وقتئذ — سلكهم)

بل لا عليك وله ساءت ظنونهم ... سيهزم الجمع او يشت ويولد
ان العواقب في القرآن ثابتة ... للمتقين وصدق القول قرآن
وانت والله لم تزل على سننه ... يهدي الى الحق لم يملك طغيان
تقرى الضيوف وتسعى في حوائجهم ... وتحمل الكل لا عسر ولا ران
من يستجير بك يستجير وان جمعوا ... تحمي الضعاف وعم منك احسان
جفت ليلتك لم تألف مضاجعه ... وليد منك الدهر جوعان وعطشان
بقيت بين الدجا تتلو المفصل من ... قلب وتصبح مثل البدر ترداد
تدرس العلم مرة وثانية ... تنفق الذكر والعرفان زجان
والله اسئل اداك منطلقا ... وما لجوالك حراس واعوان
ومن ارغب ان الفال مقتبل ... كالحال قبل وقد عمتك ركبان
ثم الصلاة على محمد وعلى ... اهل الهدى الى ما تم ايمان

ثم ان اهل الديوان من دائرة الباي وخاصة من الوزراء اطلعوا على فضل سيدي الجد وولايته ورأوا احواله الصالحة وشاهدوا انوار الولاية عليه لائحة اذ كل اناء بما فيه يرشح وما انطوى عليه جوهره يترجم عنه بفيه وعلموا ان ما رمي به افك وبهتان محض وزور وعدوان فاقبلوا عليه جادين في حمايته ونصرته طالبين دعاءه متمسين من بركته ملأ الله قلوبهم بمودته وصدورهم بمحبته صنبره

واذا احب الله يوما عبده ... القى عليه محبة للناس

ومن كان لله كان له كل شيء قال بعض العارفين

اذا كنت عني يا منى النفس راضيا ... ارى كل ما في الكون لي يتبسم

ومن المعلوم ان من اسر سريرة البسه الله رداءها ومن رض نفسه فقد دواها وازال داءها فرجع كاعزما سيدهم صفا طويته سيدي الجد واوقفوه على براءة ساحته وانه ليس من اهل الدنيا الدنية بل هو في شغل عنها قولا وفعلا ونية فاطلق سراحه ووسع رحبه وكان رضي الله عنه قبل الوقعة عزم حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة

١١٧

على السلف طريقة بيضاء وبهجة تتصل الفروع سامية الى السماء
نسب كأن عليه من شمس الضحى ... نورا ومن فلق الصباح عمودا

نص عليه العلماء في كتبهم المؤلفة فيه ثبت شرفه عند الخاص والعام بالحوز وشهادة الفحول الاعلام حتى كاد يلحقه بالعيان ويشار اليه بالبنان اذ هو نقل الافاضل من الخلف عن الافاضل من السلف وتلقته بالقبول من حدثهم ونقل تحقيقهم وتنقيبهم محررا بخطوطهم في مراسلاتهم ورسوم اوقافهم واحكامهم

اعظم بها من نسبة نبوية ... علوية تنمى لاصل اطهر
قد شرفت بدءا باشرف مرسل ... ونهاية بالسيد الحسني السري

وقد نظم هذا النسب الشريف العلامة الحسيب النسيب الاوحد من كل حرفة بمرتبة الادب نقيب ~~صاحب السماحة~~ السيد محمد افندي الحمزاوي مفتي دمشق الشام [redacted] فقال

يا حبذا الوعد والانجاز يصحبه ... حاشا عدلكم بان يخلف يعقبه
حبا فاحيا ظنونا غير نائبة ... لولاه كانت قضت مما تراقبه
واهل البشر به والفكر في قلعه ... والقلب في حزنه هم يقلبه
والجفن في ارق والعين في غرق ... والصبر في فرحه كرب يداعبه
ومذ تفوه قام الحزن مرتحلا ... عنا بعدكم يوم نسا تحببه
وباشر البشر في حزب الهيام على ... قاع السرور فكم وافت اركبه
فالحمد لله حيث الفضل من ملك ... مسلسل الاصل يعلو حين تنسبه
العالم العامل الغازي اخو ورع ... الزاهد المتقي نحو ينتقبه
السيد الفرد عبد القادر الحسني ... من سيفه ملك لا فرنج يرهبه
نجل المقدم محيي الدين سيدنا ... من ضاء في علمه شرقه ومغربه
ابن الامام الهمام المصطفى كرما ... من كل محمدة في الكون تطلبه
ابن المجيد ركن العز اوحدهم ... محمد من علا في المجد منصبه

ابن الهمام هو المختار قدوتنا … عند الثريا مقاما كنت تحسبه
ابن السميدع عبد القادر الورع الذ … ي زان بالقدر رفعا السنة تنصبه
ابن الرفيع هو المختار احمد من … فعل المحامد والاحسان مذهبه
ابن المجد عبد القادر الحسن ال … أخلاق فوق الدراري كان مطلبه
ابن المسمى بجده عند نسبتهم … اخذ دوره وصل الله راكبه
ابن التقي الذي يحوه احمد من … وسائط الحمد للتوفيق تجذبه
ابن الذي مرفوع عز في شرفه … محمد من لذيل الفخر يسحبه
ابن المسمى بعبد القوي علا … ابداه في دينه مولاه تصقبه
ابن الكريم علي من سما عظما … حتى غدا في علاه البدر يرقبه
ابن الجواد المصطفى السمح احمد من … اعيى اليراع لفضل فيه حاسبه
وهو ابن عبد القوي الا سنده … قواه في همه تقواه تقربه
ابن الذي عند الفردوس خادمهم … فالحور في روضة الرضوان تخطبه
ابن السمي لى الصديق يوسف من … قميصه من عفاف قد جاذبه
ابن الهمام حسين القدر احمد من … ساد المعالي بطرف المجد يركبه
ابن المعين ثار الكرم ومن … سمت لدى كل حي بالقرى مراتبه
ابن المكرم فرع المجد اوحده … محمد من صفات الحمد تصحبه
ابن المرتضى سعود الطوالع من … في الشرق والغرب لا تخشى تحجبه
ابن المفخر طاووس نسبته … الى المعالي ولا عجب يصاحبه
ابن المسمى الى يعقوب سيدنا … من جبره لم تخفى فيه مذاهبه
ابن الشديد لامر الله قدوتنا … عبد القوي فيا حبذا تعصبه
ابن الكريم المفتدى ذاك احمد من … ركن المعالي رحب جوانبه
ابن المعظم نسل الملك قسوره … محمد من سمت فينا مناقبه
ابن المتوج تاج الملك في رجب … ادريس من عز هو كتائبه
ابن المسمى بادريس العلا نكم … خاض المفاخر فيه الدهر اشهبه
ابن المكمل عبد الله كالم … من حصر اوصافه يعيي تطلبه

ابن الامام المثنى نجل حسن … من جمع احسانه مالست اكتبه
وهو ابن سبط الرسول المنتقى حسن … من كان ستيدة المختار ناسبه
وهو ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء طرا كما الاخبار تعربه
وهي ابنة الخاتم الهادي محمدنا … من شرف الملك في الدارين بامحبه موكبه
صلى عليه مع التسليم خالقنا … ما ضاء في العالم العلوي كوكبه
والآل والصحب ما ارختني دهر … يا حبذا الوعد والايفاء يصحبه سنة ١٢٧٤

ـــــ

صحت نسبنا هذا من سيدي والدي وتحققه عن رانه عديده ووقفت عليه مسطرا في كتب الاجلة كجوهرة العقول في ذكر آل الرسول للعلامة الحافظ الحجة العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي عند قوله ومن اخيار الاشراف بفرس السيد احمد المعروف بجده رضيعه دفين السيد عبد الله الامر مادكره وكتاب التحقيق في النسب الوثيق للامام الفقيه النحرير والبدر المنير الشيخ احمد بن محمد بن ابي القاسم بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد العشادي ثم المكي عند قوله واما عبد القوي صاحب تفرسيت مدينة مشهورة من اعمال الريف فانه خلف اربعة اولاد محمد واحمد وعبد السلام وعبد القوي وهم اهل الريف فجدهم اسمه السيد عبد القوي بن علي بن احمد بن عبد القوي بن محمد بن يوسف ابن احمد بن ... الخ النسب وكتاب فتح الرحمن في شرح عقود الجمان للامام خاتمة المحققين وواحد العلماء العاملين الشيخ محمد بن محمد ابن احمد بن ابي القاسم الجوزي الراشدي الزيلي عند قوله ومنهم الجلة من الاشراف الرئيس الجليل النحوي اللغوي الحيسوبي الفرضي المحدث الامام ابو محمد السيد عبد القادر بن احمد المعروف بابن جده ابن رضيعة وسرد النسب الى آخره وكتاب المستاله في ذكر العلماء الاعيان للامام العلامة الشيخ عبد الله الوزاني صاحب كتاب المعيار في الفقه الذي عالم بصف مثله في مذهب

١١٨

الإمام

في مذهب مالك فانه تكلم في باب العين منه ومنهم الامام السيد عبد القادر بن احمد المعروف بابن خدة هو رضي الله عنه إمام جليل القدر واسع الصدر رحاب عند الخاص والعام ابتحر في العلوم كالنحو والتوحيد والحساب والفرائض والفقه فتح الله عليه فيها حفظا واطلاعا ونقلا وتوجيها حال مطمع قيس فحوله في زمانه حاز رياسة عامة في غريس بعد موت اصحابه وشدت الرحال من المشرق والمغرب ما سمعت احد حالة وحسه الاظن انه اتى عجب في ذلك الفن اذ كان يدرس فيه لسبعة اقفاله وما انقطع منه شخص في منظره الالحمد لله فنفع الله به في وقته عالما كثيرا وله عدة تاليف في جملة فنون اخذ العلم عن اشياخ اجلة منهم سيدي محمد السنوسي المشهور صاحب الصغرى والكبرى في التوحيد المدفون بتلمسان وفيها اخذ عنه الى اخر كلامه فيه. ~~اذ ترجمته طويلة ومناقبه المدونة جليلة~~ وكان رضي الله عنه اقام في قسنطينة وصار شيخ العلماء فيها وعنه اخذ علماؤها وتاليفه متداولة في تلك الجهات سيما حاشيته في التوحيد وذكر العلامة الشيخ سعيد قدوره الجزائري في شرحه على صغرى الشيخ السنوسي عند كلامه في الفرق بين العلم والمعرفة قال. قال الشيخ شيخنا ابو محمد عبد القادر بن احمد بن خدة الراشدي في تعليقه على الصغرى وذكره العلامة المقري التلمساني في كتابه رياض الازهار في عدد آل النبي المختار الذي الفه في اشراف المغرب. وقال انه من العلماء الاخيار الذاكرين الله آناء الليل واطراف النهار ولرفع شانه نشر فائحه ونظم لالئه اخترنا عدم ذكره خشية الاطالة المسئمة

ذكر غريس

هو اسم مكان خصيب جمعي مفعول لكثرة غرسه ولاتصال بعضه ببعض وكان اهله يسكنون في قرى صغيرة زيادة لا تسلط عليهم الحشم وهم اخلاط من عدة قبائل كانوا خدمة لبني زيان وفي ايام دولتهم الحوا على اهل غريس بكثرة الغرم وقطع الطريق ونهب الاموال واستئصال الاشجار شيئا فشيئا الى ان انقرضت دولة بني زيان فاشتد ظلمهم اكثر من ذي قبل فتفرق اهل غريس الى غالب الجهات وبقيت الارض بما فيها في ايديهم وتملكوها بالغصب واقتسموها بينهم وهم كذلك لهذا العهد وقلعة بني راشد ووادي الحمام الذي فيه بلدتنا

القيطنة

القيطنة من اعمال غريس في القديم والحديث

ذكر تراجم من وقفنا على اخباره من اسلافنا رضي الله عنهم وارضاهم

قد بلغ اسلافنا في موطنهم من المغرب الاقصى والاوسط من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يجحد ولا يطمع احد في ذكره فكانوا من العلياء دررها المكنونة ومن قلادة الشرف جواهرها الثمينة ذوي مفاخر عظام ومآثر جسام وشرف وسؤدد ومجد رفيع مخلد وكانوا اقطاب اسرار ومطالع انوار شاع ذكرهم بذلك في اقطار المغرب وهذا الحاوي من مفاخرهم بما يلذ ويطرب

١١٧

:.كانوا شموسا تضيء الدهر طلعتهم :. وفي طريقة المعالي يقتدى بهم :.

:.غابت فلولا سناهم كالبدور اضا :. من بعدهم تاه اهل الفضل في الظلم :.

ولما توالت الفتن في المغرب وشبت نارها في جميع انحائه وانتدب كل امير ورئيس قبيلة على من يليه انقطعت الاخبار واندرست الآثار وانفصمت عرى التواصل وانقطع نياط التخاطب والتراسل وفات اهل الامة اسنادها كما فاتهم من تتبع اخبار الفضل ولم يبق منها ما يتناوله الناس الا ما ندر وقل فانتدب حينئذ علماء ذلك الوقت وشرفاؤهم ساعد الجد فجمعوا منها ما وصلوا اليه وعولوا في صحة النقل عليه شهادة الجيل من الخلف عن الجيل من السلف وانتشرت تآليفهم في تلك الآفاق يرويها اقوام بعد اقوام واستمر نقلها متصلا متواترا لهذه الايام فجزاهم الله خيرا دنيا واخرى فلقد قاموا بامر عظيم خلد لهم الفخر العظيم واثبت لهم عند الله تعالى في صحائف اعمالهم الصالحة الثواب الجسيم ولما كان سيدي الوالد قدس الله سره اعظمهم واكثرهم وابعدهم في المعمور صيتا اردت ان اجعل ترجمته فاتحة تراجمهم وابتدئ بذكر مناقبهم ومكارمهم وعلى الله اعتمادي فيما ارويه ومنه استمدادي فيما اعنيه

الحاشية

أهل

تعالى في

أشهرهم عند العامة ذكرا

ذكر سيدي الوالد رضي الله عنه

ولد طاب ثراه في القيطنة قرية من اعمال حضرة وهران بالمغرب الاوسط يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف

وهران

فـ رحمه الله على عفته وصيانته ترضى الحال محمود الاقوال والافعال
مشهورا بين اقرانه بالجد والاجتهاد في المطالعة والمذاكرة قد ظهرت عليه في صغره
علامات الفلاح والنجابة لما انجب به من العلم والتقى والصلاح تفقه على والده
واخذ عن غيره من العلماء ورحل الى وهران واخذ عن علمائها وكان حافظا لكثير من اللغة
العربية والقدر الوافر من صحيح البخاري عن ظهر قلب بحياة والده وسمع من
الشيخ الامام المحدث ابي احمد عبد الرحمن الكزبري بدمشق ايام اقامته فيها بصحبة والده
سيدي الجد واخذ فيها ايضا عن الولي الصالح الامام خالد النقشبندي وكان
يلازم التردد اليه فانتفع منه ورزقه الله قريحة وقادة وفطنة نقادة جمع بهما
ما لم يبلغه اقرانه وحصل بنفوذهما ما لم يحصله شركاؤه في الطلب الى انه بلغ
في التفنن في العلوم ما هو مشهور به معلوم بل صار اعلم العلماء النحريرين
وابلغ البلغاء المشرعين حاويا للفضائل دون فضل المتقدمين والمتأخرين جامعا
للعلوم الشرعية محكما للفنون الحقيقية له التآليف العديدة والتصانيف المفيدة
ضربت في الآجال بجودها قرائها بالفضل من العلماء الاعلام كل شهم وهمام
منها كتاب المواقف فانه لم يترك لقائل قولا ولا لسائل سؤالا فهو لعقد
تآليفه واسطة النظام ولطلع محمود ومقطع بيت القصيد وحسن الختام
وله نظم اذا سمعته رواية ونثر تخطه خطه
واما الجاه فانه كان يحوز من ابيه تحسين
العقد وتأبيد له عزة بين غرة الزهر الابهى
الحديث عن النبي وله بشر يتزنه ماؤه في غرته ويتفقه نور الشرف
بين اسرته وله شعر اذا سمعته رويته ونثر تخطه حين تحفظه واما الشجاعة
فهو مظهر الجلالة والقهر ومصدر الحماسة في ابناء الدهر الذي تعرف بالاحراز
بعد وقد والقرحة التي عرفت على شكله دور دوار حرفه حتى اشتهر
تمزيم الليث او استغيث شزر شزر البطل المغيث يكاد سابح سطوته
يذهب بالابصار وتكاد صواعقه دون عزمته تخرب الديار والامصار كم اوقف
بالجياد الى مساقط الحرب العوان وكم روى سمهريه بالنباله من دماء الابطال
الشجعان ..

بعث الرعب في قلوب الاعادي فكان الفعال تبين الدلائل
والحاصل فهو سيدي والدي الذي من عنده خرجت وعليه تخرجت ولا اعد لنا من
الفضل كنز لدينا اوقل الامة ابتداؤه واليه انتهاؤه وكنت له بحمد الله
تعالى اطوع من قدم لكف واوفق من بنان لبنانه ما ملت عن نهجه
ولا تخلفت عن صحبة عقلت الى حين التحيت وكان رضي الله عنه حريصا على
فائدة يلقيها علي وعائدة يجر نفعها الي وحاصل ما اقول فانا فيما
ذكرته واصفه نفسي واما وصفه فيما لا يقوم به طرسي وسنذكر ان شاء
الله تعالى حروبه مع الفرنسيس ووقائعه التي منعهم بها عن التسويف والتقيس
ونفصل ذكر ذلك على قدر الطاقة والجهد ولله الامر من قبل ومن بعد
توفي قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه في الساعة السابعة ليلة السبت
التاسع عشر من رجب سنة ثلاثمائة والف اهـ

ذكر والده سيدي الجد السيد
محي الدين

ولد رضي الله عنه سنة تسعين ومائة والف وتوفي يوم الاحد الثالث
من ربيع الاول سنة تسع واربعين ومائتين والف كان رضي الله عنه
متفننا في العلوم مرجوعا اليه في المنطوق والمفهوم شدت اليه الرحال
للتدريس وتلقين الاذكار مقصودا لاهلها من الضواحي والامصار تابعا
للسنة محبا في العلم واهله مشتغلا بربه قلبا وجسما معرضا عن الدنيا
تطبعا وطبعا له على وجه تامة في الرواية وامامة كبيرة في الاتقان
والدراية ومرتب عليه في الزهد والولاية تفقه على والده وغيره من
علماء الوطن ورحل الى مستغانم فاخذ عن علمائها علوما جمة واجازوه
فيها على ما اصطلح عليه الائمة مجازا من العلامة امام الحديث واللغة
الشيخ مرتضى شارح القاموس مالكي المذهب اشعري الاعتقاد وكان
رضي الله عنه مسموع الكلام مهابا مطاعا وضع الله له في قلوب الخلق من
الهيبة ما لم يوضع لغيره من اهل قطره في عصره حتى انه كان اذا نظر

قرأنا عليه التوحيد والنحو والحديث واستفدت منه ما ينفعني لشدة الغربة والكربة

الزبيدي

الى تمحص لا يقدر المنظور ان ينظر اليه ولو كان من خاصته وذويه

ترى عظماء الناس من خوف سطوه ... كانهم الكروان ابصرن بازيا

وما الخوف من زهو ولا الجفا ... عليهم ولكن هيبة هي ماهيا

هيبة التقوى لا هيبة السلطان الاقوى هذا مع ما جبل الله عليه النفوس
من محبته والقلوب على مودته فما رمق طرف الا واحب ان يفديه
بسواده ولا نال احد دعوته الا راى بركتها في نفسه وماله واولاده
ردد الاختلاف الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام
وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة عظيم الحظوة ظهرت له كرامات وخوارق
عادات لها عند الله والخلق اعظم الدرجات منها ما جرى له مع
حاكم وهران محمد بن عثمان التركي الشهير بيوكابوس في واقعة
القياد وذلك ان الاربعة من روسا الحشم يعرفون باولاد بونقاب
قصدهم الحاكم المذكور ان يفتك بهم ففروا من وهران والتجاوا الى
حرم سيدي الجد واستجاروا به فاجارهم ولما بلغ خبرهم الى الحاكم سير
اليهم ~~اغة الزمالة يقال له المرسلي ونائب اغة الدوائر محمد بن~~ المرسلي اغة الزمالة ومحمد بن داوود نائب اغة الدوائر
داوود في اربعماية فارس فوصلوا الى القيطنة بلدتنا واحاطوا بمنزل الاضياف
وفيه اولئك الروسا الاربعة وكان سيدي الجد قد صلى الصبح في
مسجده ورجع الى داره فسمع ضجيج الناس وفرقعة البارود وصهيل
الخيل فخرج مسرعا من بيته فوجد العسكر محيطا ببيت الاضياف
فتقدم الى بابها وقال اخرجوا اليهم ولا تخافوا فان كل واحد منكم بماية
من هولاء الظلمة فامتثل الروساء امر سيدي الجد وخرجوا وفي
ايديهم السيوف فوقع الرعب في قلوب اولئك الفجرة وانكشفوا
عن البيت فركب كل من الاربعة على فرس عري ولحقوهم فقتلوا ابن داود
واثخنوا المرسلي بالجراحات وتفرق العسكر شذر مذر لا يلوي
احد منهم على احد واستمروا على وجوههم الى وهران واخبروا سيدهم
وفي الحين اصيب في عينيه ولما عجز الاطباء عن معالجته وعلم انما اصيب

بانتهاكه حرمة سيدي الجد وجراته على جانبه ارسل بعض خواصه
اليه مستقبلا لعثرته مستغفرا من زلته طالبا منه العفو والدعا
فدعا له فشفي ... اخبرني سيدي الوالد عفا الله عنه قدس سره ان بعد
هذه الواقعة ان هذا الحاكم تمثل له في الرويا في صورة كبش فذبحه وسلخه
فكان الامر كما قال وذلك ان باشا الجزائر امره بتجهيز الجيوش
وسوقها الى نواحي قسنطينة وهنالك يستكمل التعبية وينهض لقتال
صاحب تونس فارسل في الولاية حاشيته وخرج هو الى الصحراء على مسافة
مرحلتين من وهران ولما تلاحقت به الجموع وراى كثرتهم سولت له
نفسه نقض الطاعة لحكومة الجزائر ودعته الى الاستقلال فجمع اعيان
القبائل واسر لهم بهذا فاجابوه لاستثقالهم السفر من وطنهم الى تونس
واصبح راجعا الى وهران حاضرة ولايته وامر بقتل من معه من الجند التركي
فقتلوا وبعث الى تلمسان ومعسكر بقتل من بهما من الجند واعلن بالدعاء
لنفسه فاتبعه الدوائر والزمالة والغرابة من البادية وامتنع الحشم جميعا من طاعته
فطار الخبر الى باشا الجزائر فبعث اليه جيشا فدخلوا وهران وقبضوا عليه
وذبحوه وسلخوه وملأوا جلده قطنا وبعثوا به الى الجزائر فوضع على
سورها تشريدا لمن خلفه وردعا لمن يسلك خلفه فكان عبرة
للمعتبرين وجزاء للمستهزئين ولنقتصر على هذه الكرامة العظمى
المشتملة على كرامات وخوارق عادات فان كراماته اكثر من ان تذكر
واشهر من ان تشهر ولما رفع الله قدره واشاد ذكره حسده بعض
المعاصرين جريا على عادة الاراذل مع الافاضل والاوغاد مع الاسياد
واللئام مع الكرام فوشى به الحسدة الى الباي الذي ~~انتهت عليه~~
انتهت اليه احكام الدولة العثمانية من المغرب الاوسط وقال له ان هذا الرجل كما ترى
قد علت بين الناس رتبته وبعد في المغرب والمشرق صيته مسموع الكلمة
عند جميع الناس خصوصا اهل هذه الولاية واني اخشى ان يكون على
يده خراب ملككم فاوقع كلامه هذا في قلب حسن باي ما هو من عادة

١٢١

اخباره عند ذكر حروبه مع سيدي الوالد رحمه الله وفي هذه السنة في اول
بسالة عزل جنرال الفيزار ونول الجنرال فزارول وتمكن من مهادنة القبائل
في ايالة الجزائر غيرانها لم تطل مدتها ورجع الامر بين الفريقين الى
ما كان عليه واستولى الفرنسيس على سائر بسائط متيجة وسهولها ونوسعوا
في ساحتها وسنأتي على ذكر ما وقع بعد ذلك من الوقائع والحروب
الهائلة في اخبار سيدي الوالد رحمه الله ورضي عنه

ذكر حوادث بونه وما آل اليه امرها

هذه المدينة اولية لا يعرف من اختطها وقد ذكر غير واحد من المؤرخين
انها كانت موجودة مشهورة من قبل استيلاء طوائف الافرنج على
افريقيا قبل ظهور الاسلام والظاهر انها مما اختطه البربر من المدن
لما تقدم مرارا لدول عمرانهم بلاد المغرب وكانت في القديم من اعمال افريقيا ولما استولت الدولة العثمانية العلية
من الجنبية الرواية استولت وعلت على مدينة الجزائر واستوسع لها امتدت النواحي
ومدت يدها الى الاستيلاء على القاصية فقصدها صالح باشا بن
خير الدين الشهير ببارباروس الثاني فاستولى عليها وضمها الى
اعمال الجزائر كما تقدم ذكر ذلك في اخباره ولعظم موقع هذه المدينة
التي هي حاضرة البحر في تلك الجهة وكبير شهرتها اتخذتها الدول الافرنجية
في ايام حكومة الجزائر مركزا عظيما للتجارة بالحبوب بانواعها واصنافها
وكانت دولة فرنسا لها اليد الطولى في ذلك وكانت تتخذ حصون
القالة القريب من بونه لاستخراج المرجان منه ولها مع حكومة
الجزائر في ذلك وقائع اسلفنا ذكر غالبها وهذا الامر كان من اعظم
البواعث لها على الاستيلاء والتغلب على الجزائر وبعد ان تم لها
ما كانت تتمناه ودخلت مدينة الجزائر في قبضة يدها بادرت
الى الاستيلاء على هذه الاسكلة المحبوبة لديها ثم ان الجنرال كلوزيل
استرد حاميتها الى الجزائر كما تقدم خوفا عليها من عادية العرب

الاسكلة

الملوك فبعث اليه بامره بالسكنى في وهران باهله وخاصته وما كان رضي الله
عنه عاملا بحديث اسمع واطع ولو كان عبدا حبشيا راسه زبيبة تابعا
للجماعة ساعيا فيما فيه صلاح الامة امتثل الامر بلا تردد سيما
في شق عصا المسلمين ولعلمه ان السحابة صيف ستنقشع وازمة وقت
لا بد لها ان ترتفع فلما انتقل عظم ذلك على الناس واشتد الكرب
والباس واهتز المغرب الاوسط باهله وامتلات طرقاته بخيله ورجله
ولما راوا ان تدارك ذلك الامر قد فات وقته وخافوا من الوقوع
فيما هو اعظم رجعوا الى التاسف والتحسر على عدم انتهازهم الفرصة
لنصرته وتبادرهم لحمايته من قبل انتقاله وتهيئهم لرحلته واقبلوا على
الدعاء ورفعوا الى الله اكف الضراعة والالتجاء وسلاة العلماء بانواع
التسلي نظما ونثرا ووفدوا عليه قصائدهم ورسائلهم تترا ومن اقرب
ذلك واحسنه في سلوكه لتلك المسالك العالم الاكمل ~~الكاتب~~ الجحيح والاديب
الشاعر السيد السنوسي بن عبد القادر الحسني الرشدي ~~فلله دره~~ حيث تحمل حبه
التسلي والتعزي فقال

عول على الصبر لا تفزع لاشجان   ولا تزعك بما فاجئك وهران
اما هي الدار لا تومن غوائلها   بلى هي الدار اغيار واحزان
شنت على الغدر لم تعطف على احد   الا ومن غدرها صد وهجران
تخفى الدسائس لم تعرف لها حيل   ذلم تعقلها والله ايمان
ما انت اول من ذهلت ولا اخرا   ولا باوسط من خانته ازمان
انظر الى يوسف الصديق كم لبثت   في السجن نفس لم ترزه خلان
وانظر الى ابن رسول الله ثم الى   حلم جرى وما الاقاه عثمان
تلك الحوادث اجراها على قدر   مدبر الامر كيف شاء ربان
لم ينقصوك احمي الدين عن زلل   راوا ولكن اغوى القوم شيطان
فعن قريب اكيدا لصبر يخذل عن   من اجد قد عدا عليك سلطان
ويكظم الغيظ من خصم ومن حكم   وبكشف الغيب ان صدقت وخانوا

تونس

الا انه بعد عزل احمد باي وحين فارقها عساكر فرنسا الى الجزائر احمد باي
قسنطينة ابراهيم باي من خواصه فدخلها وولوه عليها فاصلح شؤونها
وحصنها من جهة البحر ووضع المدافع في انحاء سورها ثم انه ساء السيرة
في اهلها واظلم بينهم وبينه فانقضوا عليه وحجروه في القصبة
واغلقوا ابواب البلد دونه فاستنجد عليهم بالقبائل المجاورة لها
فشددوا في حصارها ولما طال عليهم الامد بعثوا حرجهم الى الجزائر
وكان ذلك لاول وصول دوك دي روفيقو اليها فاجاب
حرجهم وجهز القبطان دارماندي والقبطان يوسف المملوك
في عدة مراكب فسبقهم القائد احمد بن علي شيرة صاحب قسنطينة
اليها فاذاق اهلها عظيم النكال واستصفى اموالهم وانقلب
الى قسنطينة ومعه جم الغفير من اهلها الذين استحبوا الهجرة منها
على الاقامة فيها وتخلف فيها ابراهيم باي عاملها الاسبق فتعصب
عليه اهل البلد فالتجا اكثرهم الى القصبة وتحصنوا فيها وقارب ذلك
وصول اسطول فرنسا الى المرسى مشحونا بالعدد والعدد فتلطفوا في
اخراج الجيوش اليهم من اطراف البلد ليلا وفي صبح تلك الليلة
رفعوا راية فرنسا على سور القصبة فرآها الناس واضطربت
البلدة باهلها وارتعش ابراهيم باي وتملك الرعب في قلبه
ثم خرج فارا بنفسه ولحق بقسنطينة وفتحت ابواب المدينة للجيوش
فرنسا فدخلوها ~~وتملكوا فيها~~ واشتدت شوكة الفرنسيس في بونة
على اهل تلك النواحي ومنها كان خروجهم الى قسنطينة واستيلاؤهم
عليها والله اعلم ولما خرجت بونة من يد صاحب قسنطينة ويئس
من العود اليها دعته نفسه الى الاستيلاء على بلدة بجاية فنهض
اليها بجموعه من حاضرة ولايته وطار الخبر الى اهلها فبعثوا حرجهم
الى من وراءهم من قبائل البربر فنسلوا اليهم من كل حدب وهم عدد
تضاهم من كل ناحية وحصروه في طريقه اليها وعند ما بلغه تحصن اهلها

١٢٣

وانتصار القبائل لهم سقط في يده وانكفأ راجعا من غير طائل ثم حشد
الجموع وتوجه بهم الى المدية حاضرة ولاية تيطري راغبا في تملكها الى
ولايته فصده اهلها وخاب امله فيها ثم اقام في ولايته مقتصرا
على ما بقي له منها الى ان تغلب الفرنسيس عليها ووقع هو في
شبكتهم كما سيأتي في اخباره والى الله ترجع الامور

~~الحكومة الجزائرية~~ التونسي

ذكر حادثة ~~[illegible]~~ في ولاية وهران

ذكرنا فيما تقدم ان الجنرال كلوزيل اداه اجتهاده بعد واقعة المدية
والبليدة الى القاء زمام الاحكام والامور الداخلية في يد المرشحين من اهلها
~~من الامراء~~ ليقتبض بهم انتشار وتسهيل الصادر والوارد فولى
بعض التونسيين من اولاد حسين بن علي الباقي عقبهم لهذا العهد
في امارة تونس على وهران في الجهة الغربية من الجزائر ومصطفى بن عمر
~~[illegible]~~ على المدية في جنوبها ثم لما بلغ ذلك الحكومة ~~الجمهورية~~
الفرنساوية انكرته ونقضته على جنرالها كلوزيل وعزلته وبعثت
الجنرال برتزين خلفا له وبعثت الجنرال بوير واليا على وهران
وكان واليها التونسي عندما فوض كلوزيل اليه امرها اخذ يدس
الى الاتراك القاطنين في مدن الداخلية كتلمسان ومعسكر ان
الفرنسيس اجمعوا على ان يجعلوا في الجزائر حكومة ~~[illegible]~~ تركية تكون
تحت نظرها وفي حمايتها وبعد تأسيس امورها يتخلون عنها
ويسلمون امورها اليها الى غير ذلك من ترهاته ونصب توليته
على وهران دليلا على صدقه حتى ركنوا الى قوله واشرأبت
نفوسهم الى ما وعدهم به وبعثوا اليه بطاعتهم سرا ثم فشا خبرهم
هذا وانتشر ذكره وخاف الفرنسيس منه ثم قاموا عليهم في كل جهة واستأصلوا
الكثير منهم واعتصم اتراك تلمسان بقلعة المشور فيها وفاء غرف
التونسي وتولى الجنرال بوير مكانه علم الناس ان ما كان اشيع

يحفظ اختلدوه منه وكفوا عنه خوانهم دجيلهم الاتراك وسالموهم
ورجع الامر الى ما كان عليه من الانعقاد وجمع الكلمة على الجهاد ثم
آل الامر بعد ذلك الى ما آل اليه وهنا انتهى الكلام بنا على الحوادث
الاولية للفرنسيس في الجزائر ولما كان الغرض من هذا التاليف والباعث
عليه هو ذكر ايام سيدي الوالد رحمه الله وما جاره من الملك
والسلطنة في المغرب الاوسط وبعد الصيت في العالم وذكر حروبه
مع الفرنسيس التي شاع خبرها في المشارق والمغارب وتحدث بها الشاهد
والغائب وتعطرت بذكرها المجامع وطرب باحاديثها السامع ورأيت
ان النوبة قد وصلت بنا الى تفصيل ذلك اردت ان اشرع فيه بحوله ٨١
تعالى وقوته مبتدئا بذكر النسب الشريف الذي هو اساس التعريف
ثم اترجم من ثبتت لدي اخباره من رجاله ولا تخطى عمود النسب
وعلى الله عمدة ومنه استمد فاقول

بعد ان ذكرت من اخبار سيدي الوالد كاتبه اراه ما هو اعطر من نشر الخزامى وارق من انفاس النعامى رأيت ان اختمه بذكر نسبه الشريف

او اجول في مجالس

نقف

ذكر النسب الشريف حديثا وقديما

سيدي ومولاي ووالدي هو الامير الشهير العلامة النحرير من شهد بفضله
جميع العالم وسلم له في نعوت الكمال كل فاضل وعالم ملك المغرب
الاوسط واميره وشريفه الذي بهابته سكن من كل اسد زئيره سائر
الذكر سير الشمس في العالمين الذي طالما دافع الاعداء عن الوطن والدين
عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر
بن احمد المختار بن عبد القادر بن احمد المعروف بابن خده رضي الله عنه بن محمد
بن عبد القوي بن علي بن احمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن احمد
بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي
بن احمد بن محمد بن ادريس الاصغر بن ادريس الاكبر بن عبد الله المحض بن
الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء
بنت سيد الوجود محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نقلناه

الترجمي ... محمد

فكل واد به موسى يعجزه — وكل روض على حافاته الخضر

وقول ... الربيع ابن ...

دمشق بي شوق اليها مبرح — وان لج واش او الح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها — عبير وانفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق — وصح نسيم الروض وهو عليل

الحصباء

فالغيث فيها حط النزهات وحلت بها عقود الرحال واقمت مدة
لا اعرف من اهلها خلا ولا نصيرا اذ الغريب كما قيل اعمى ولو كان
بصيرا فلا سمير لي او انيس ولا جليس غير اجانس ثم عرفت الى
العلماء والافاضل الفضلاء فاول من تعرفت من الائمة المنتخبين
لنبع الامد عين المعالي وانسانها وغلب المعارف ولسانها
صاحب التآليف العربية والتصانيف المعتبرة حامل لواء المحرزين
ورئيس العلماء المستنيرين الشيخ يوسف بن بدر الدين المغربي ثم بالمولى
الاعظم والملاذ الافخم الذي تزينت به مجالس المساجد والمدارس
واحتاج الى تعريبه منظومة وبجهوده كل مذاكر ودارس وارث
اسلافه العلماء الاخيار الشيخ سليم العطار وغيرهما من
الافاضل ذوي الادب الناسلين اليه من كل حدب فصفى الوداد معهم
في بلدهم وانتظمنا جميعا في سلكهم وحاسيتهم كؤوس مودة
اصفى من الزلال وتلقيت منهم كل نادرة تنعش عند الكلال
اجتلي معهم انوار المحاضرة واجتني نوار المذاكرة وكنت استبدل
بالغالبهما من صراء الهم ... ولا ... ممكن ان ...
واعتقلا لا بيشر انه كان يغلب علي في بعض الاحيان تذكر
العشيرة والاوطان فيتشوش عنده بالي ويتغير حالي
بل كلما مررت برأي برق او لمعت من ناحية المغرب
بروق تحركت السواكن وانبعثت الاشواق الكوامن

تذكرت والذكرى تهيج للفتى — ومن عادة المحزون ان يتذكرا

وهنا عسى أن أذكر في أقليم وقع على فضله الاتفاق وحاز قصب السبق من
بين الأقاليم بالاستحقاق

أصواته طيور المنى وصوادح ... بتشافه الولهان في الأسحار
والطبع مشترك فقل ما شئته ... في الظل والأزهار والأنهار

فلاها على تلك الرياض النواسم والثغور البواسم والمواطن التي عرفت
باحترام الأجانب ناسها والغيث [illegible] أزمة المعارف تزوي أنواعها
واجتنا سهها وأداها على عصر مضى لنا فيها ما أبهاه وأجمله وإنه والله
عصر تكاد تكلمنا فيه صم الصخور وترجع لنا الأصداء فيه ونشرح في
الحضرة يمينا وشمالا ونقتطف من الحظ أمانيا وآمالا [illegible] السناغاقة
بالعامة والخاصة ومساجدنا معمورة ورحاب أبوابنا بالزوار وروده وفي
الحاجات مغمورة

وكم بالمنازل بابنا ... وفي بابنا وصل بلا بيننا

وفي وقتنا إذ الأحكام بها باهرة والأيام بسيرها منبسطة زاهرة والآمال
تحت ظلها تشملهم نعم باطنة وظاهرة

فإذا الزمان صفو الزمان وخيره ... لا بد بين فنائه ووجوده

ثم هزمتنا عوامل الدهر بالحزن وصنعتنا علامة من الصرف

لا يزال يبلغ امرؤ ما خطه ... ذو العرش مما هو لاق وروده

فمن مثل ذلك العصر تروى القلوب الرقاق وتسيل عند تذكره الآماق
وأما تلك [illegible] حتى لها لا ينقطع الأوان تنقطع المراجع وأشتاق عليها
لأنك ولو ملكت التغريد الحمائم الصوادح وشوقها البطا شوق البلبل
إلى الورد وأمرها الغيث إلى الأبلق الفرد

لا الجزع يسليني ولا وادي الغضا ... عنها ولا نجد ولا الدهناء
لا رامة روضي ولا حزوى ولا ... وادي النقا والجيد والخلصاء

وكيف أسلو محل منح الكرائم وتعليق التمائم

بلاد بها نيطت علي تمائمي ... وأول أرض مس جلدي ترابها

المعاهر

فقد جبلت النفوس على حب أوطانها والحنين إلى أعطانها ولم يزل ذلك
مستنكرا شرعا فقد روي في الصحيح من حنينه صلى الله عليه وسلم إلى مكة
ما لا يجهله من هو من العلوم بمعزل ولما وصل صلى الله عليه وسلم إلى
الجحفة في مهاجره اشتاق إلى مولده ومولد آبائه فأوحى سبحانه
وتعالى أن يرده إليها لا محالة فقال إن الذي فرض عليك القرآن لرادك
إلى معاد أي مكة قاله [illegible] وروي أن أصيلا الهذلي ويقال الغفاري
قدم المدينة من مكة فقالت له عائشة رضي الله عنها يا أصيل كيف تركت
مكة قال تركتها حين ابيضت أباطحها وارعل ثمامها وامشر سلمها
وأغدق إذخرها فقالت عائشة يا رسول الله ما يقول أصيل فاغرورقت
عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا أصيل ويروى
أنه قال دع القلوب تقر وروي عن السلف الصالح في حنينهم إلى الوطن
نظم ونثر وهذا بلال رضي الله عنه يتحسر ويتشوق

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

ومجنة بالفتح موضع على أميال يسيرة من مكة بناحية الظهران
وإذخر موضع على بريد من مكة وقال الخطابي كنت أحسب شامة
وطفيلا جبلين حتى مررت بهما ووقفت عليهما فإذا هما عينان
ولما سمعت عائشة رضي الله عنها بلالا رضي الله عنه ينشد هذين البيتين
جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال اللهم حبب
إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وروي حب الوطن من الإيمان وهذا
الحديث وإن كان موضوع اللفظ فهو صحيح المعنى قاله غير واحد
ومن ذا أبيات السابق

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لأول منزل

ومن كلامهم الحنين إلى الوطن من كرم النفس ومن قولهم يحن اللبيب
إلى وطنه كما يحن النجيب إلى عطنه وقيل لبعض الحكماء بم تعرف وفاء

وذ مالي عصر دون تجربة واختبار فقال بحنينه الى اوطانه وتشوقه
الى اخوانه وتلهفه على ما مضى من زمانه وعن الاصمعي قال اذا اردت
ان تعرف وفاء الرجل فانظر الى حنينه الى اوطانه وقال بعضهم

بلد الفت به الشبيبة والصبا ... ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل في ضميري رايته ... وعليه اثواب الشباب تميد

وقال اخر

سلام على نجد العاهرانها ... مراتع اللاهي ومنصر لحاجبي
ويا من هز الحي اتعي ملطالما ... سكبت على مثواه ماء شبابي

وقال ابن الرومي

وحبب اوطان الرجال اليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وقال حازم

وقلما بان امرؤ عن رهطه ... الا وبان الصبر عنه وناى

وقال ابو البركات ابن الحاج

وما برح الاوطان الامشغف ... بها شاب للاهواء صرخ ومعرف
بقتل النفوس فان التذكرها ... حسباء كما قتل البغي والتعرف

اشار بذلك الى قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا
من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم والحكمة في ذلك ان كل واحد يالف تربته
كالعبه لامه وابيه لانها مسقط راسه ومحط لهوه وانسه ولانها اول بقعة
ذاق فيها النعمة واول جهة انعم منها الاحسان والرحمة جبلت القلوب
من حيث هو جبلت على الميل الى المحسن من حيث هو ولا شك ان كل محسن
دون الله لا اثر له وانما هو جهة يرد منها احسان الله تعالى ومع ذلك
تجب محكمة لا تربة الانسان اول جهة ورد منها الاحسان الالاهي
عليه فيحبها قبل غيرها من التراب حبا متمكنا كما قيل

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى ... فصادف قلبا فارغا فتمكنا

والكلام في هذا المعنى اكثر من ان يحصى واشهر من ان يستقصى بل لا اطار
وبعوث الطول والعرض ثم انه حصل للنفس صرور وللروح ارتياح به
بهذه البلاد السادة الملاح ذا التطف الشكل بالشكل وعرفت منهم ما لم اكن
عرفته من قبل بيد اني كنت انزل منهم منزلة الزليل واروى نفسي دونهم
وامثول هذا به حقي قليل اعطاء للمروة حقها وللاستعادة مستحقها
ولما تقتضيه حال الغربة من التنزل والخضوع للرفيع والوضيع
كما قيل ... ومهما كنت في بلد غريبا ... تنزل ما استطعت وكن مهينا
وقالوا اذا كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل وكنت قبل ذلك
مارست كتب الاخبار وطالعت حكم التنزيلات ونكات الاشعار
موجدت الالسنة بالتشبيه متفقة والاقوال جميعها متوالفة
متوافقة وما قالوا ذلك الا لما تحققوه من اهانة الغريب ما دام
وصف الغربة فلا بد به ولو سلف له من العزة وجلالة القدر عند قومه
او في تنصيب الا من شاء الله كما يشهد بذلك المشاهدة والسماع
وربما رفع عليه الاجماع روى في الحديث اكرموا الغريب فذلك انه بسبب
انقطاعه وبعده عنهم وقال الشاعر

ان الغريب اذا تناءى عنه ... ضربت له الامثال على تقربه
وكذا الغريب اذا تناءى داره ... اذ تغربه الى تنغيصه

وقالوا الغريب لم يكن له حبيب والغريب كالغرس زايل ارضه
ومفقود شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر الغريب كالوحش
النائي عن وطنه فهو لكل سبع فريسة ولكل رام رميه
وقال حازم

ان شوى المرء في اوطانه ... عز وما الغربة الا كالنوى

ولو تتبعنا ما للسلف في ذلك والخلف من منظوم ومنثور لطال هذا العهد
وخرجنا عن القصد وامثال ما ورد في استحسانها والترغيب فيها من الاحاديث
كقوله صلى الله عليه وسلم سافروا تغنموا سافروا تصحوا واقوال الشعراء

126

في الاغراب

كقول ابن الوردي في نصيحته

حشمة الراكبان عجز ظاهر — فاغتربْ تلقَ عن الاهل بدلْ
فبمكث الماء يبقى آسنا — وسُرى البدر به البدر اكتملْ

وقول الطغرائي في لاميته

ان العلا حدثتني وهي صادقة — فيما تحدث ان العز في النقل
لو كان في شرف المأوى بلوغ منى — لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وقول ابن قلاقس

لولا التنقل ما ارتقى — در البحور الى النحور

فالمراد به الترغيب في طلب العلوم والمعالي والترقي الى الرتب العوالي
مع قطع النظر عما يعرض فيه لاهله من عجائب الحوادث وغرائب الامور الكوائن
فمن لم يجد معلما يعلمه في بلده ما يحتاج اليه من امر دينه ومعاشه او حرفته
او صناعته وحرفته او خشي على دينه فانه ينتقل الى ما يليق به ويبلغ فيه
وينال به المعالي وجوبا في الواجب وندبا في المندوب فقد رحل سيدنا
موسى عليه الصلاة والسلام للاستفادة من الخضر عليه السلام ورحل
جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه مسيرة شهر الى عبد الله
ابن انيس في حديث واحد ورحل عقبة بن الحارث من مكة الى المدينة
في مسألة واحدة فاذا انفرغ الانسان للزهد والسلوك في هذه
المسالك ولم يلتفت الا الى ما يلحقه في غربته من انواع المشاق والمكاره
فلا شك ان الغربة افضل له من الاقامة في بلده لينال بعزمته تلك
العوائد والفضائل الخارقة للعوائد

لا تحسب المجد تمرا انت آكله — لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وبالجملة فالغربة من حيث هي لا جرم انها مختلفة الاحوال متلونة الاحوال
حتى قيل ان حروفها مجموعة من اسماء دالة على الهلاك وما يؤول اليه
فالغين من غرور وغيبة وغم وغبن وغلبة والراء من روع وردى والباء
من بلوى وبؤس وبرح وهي الداهية والتاء من هوان وهول وهم
وهلم

وضرابه

وضرابه واسع يحتاج الى ديوان مخصوص ثم ان اول البلاد الجهابذة
الاعلام والسادة الكرام سألوني تنبيها عن احوال مولانا المجاهد الاسلام
والمسلمين امام الغزاة والمجاهدين

اذا قيل في شيء فلنت مكملا — هو الغاية القصوى هو الاية الكبرى

وما وقع له مع الفرنسيس من الحروب العظيمة والوقائع الهائلة
الجسيمة التي عرف بين الناس قدرها واشتهر على الالسنة ذكرها

وسارت مسير الشمس في كل بلدة — وهبت هبوب الريح في البر والبحر

فكنت كثيرا ما اخوض في ذلك فيما يستغرب ويستبدع ويجعله في خزانة
النفس ويستودع واقص عليهم من اخباره ما يستفز الجمادات
طربا ويتزلزل في كل قلب [illegible] غيرانه [illegible] اوجز لهم واختصر
ومن النسب والا فعدد [illegible] الحروب من حيث اتساعه واختصاره تابع
لحال المحدث من كثيره ونشاطه وقبض وانبساط فلا يخفى ومن
سائلي [illegible] الادباء يوما وكنت مشغول الفكر ضيق الصدر فقلت
له هذا سيرته السنة [illegible] الناس الى ما جرى له [illegible] يعظم
الله شانه حتى هابته الطوائف ووقع في قلوبهم من رعوده هيبته
الرواجف

فتى يدهش الابصار رأيا وحكمة — وعلما وحلما فهو للنفس خارق

فجعلوا ذلك لاحظ مسامعهم ورونق مجامعهم يتناشدون البدار [illegible]
الصادق لبلبل القبول ويردده له بين اليمن والقبول ويتزوجون
نسيم لطفه ويستشعرونه ويقولونه فيما يقوله العاشقون
فيمن يعشقونه ويعودون نثره ونظمه كتابا ليكون تالياته الاعقاب
فافيا بغلاء الاحقاب يبلغهم الشاهد للغائب ويسير ذكره في المشارق
والمغارب ويبقى حديثه على ممر الليالي والايام نثرته اقوام بعد
اقوام ويتلقاه بالقبول من جعل الادب لناظره ملمحا والتخرج
من بين المعارف مطمحا فيجعله لصحائف الشمائل عنوانا ويرتب

يمن الله تعلى بسوء ... والوعيد

لم يجر ابع الشاشر دبوانا لانه من اهم ما تجمعه الهمم العلية
تتعلق وانعبس ما بشكله النفوس الكاملة تتخلق ثم سا طال افتخارهم
وجبل اصطبارهم شاهوني بالعجم سرارا وسكبوا لومهم على مرارا
وقالوا انها سنة الكرام التي مضى عليها عملهم وطريقة اهل العرفان التي
نيط به املهم فما استوعبوا الاخبار وجمعوها وسطروا صحايف
الرجال واوعوها فهذا الملك الجليل الذي ذكره اطيب من نفس
الحبيب واخباره اشهى من رشف الثغر الشنيب الجامع بين الحزم
والبراعة والكرم والشجاعة احق من كل حقيق بان يذكر واخلق من
كل خليق بان تتلى ابائه وتشكر وجدير بان تكتب جميع احواله
وامورة وتضبط وقايع ايامه واعوامه وشهوره فقلت لهم انكم
لصادقون فيما ذكرتم ونحن ان نطاوعوا فيما امرتم لاكن ابى انا من
اولائك الاخبار حتى ازاحمهم في تلك المضمار فالباع قصير والعقل
بقواعد العلوم غير بصير وكيف بنيل من عدم وفرا او يؤلف
من اصبح صدره من العلوم قفرا

ومن ذا يثبت بالجسم الليالي   ابكى ان يكون له قيام

فما انا للتاليف باهل   ولا امرامه لربي بسهل ومن انطاق المرء
ان يسلم في كل قبيلة الى اهلها الذين يحملونها حق حملها وانا لا يدخل
في شي لا يبرع بين طرفي سبيه بل يبرع الصرى الى الناس يعرفون به
فلم يقبلوا مني عذرا وكرروا علي ذلك مرة اخرى فاخرى وقالوا
انك من اهل البيت ورب البيت ادرى فانت حبيب كل فخر وحلبت
لهذا الامام كل الضروب فلا تقلد ان تجمع لنا ما التريد والا حاكمناك
اليه فيحكم عليك فقلت لهم لقد حملتموني امرا عظيما وكلفتموني
عملا جسيما فان حال هذا الامام لا تفي به عبارة الفاخرة ولا تحيط
الشارة بس عقد العقل عليه خناصره وكيف وهو بحر من علم وهضبة
دبا وحلم   وماذا اعشى بالوصف يبلغ مقولي   ولو ان الافلام من مخدم البيم

و

واو مغال تبتلي من معنى مطلبه واو رغال ينتهي الى مرامه وحصله

ملك لا تسمو ذروة الجبال التي   من دونها المريخ بل والمشتري
ملك لا نورع بالبسالة ما اقتفى   يوم الوغى من سابغ وسنور
ملك لا تتوج بالمهابة ما انتمى   عند الطعان لقوم من مغفر
ملك لا تذكرنا مواقع حرة   في الهام وقعة حيدر في خيبر
ملك اذا ما جال يوم كريهة   لم تلف غير مجندل ومعفر
لا اشرف الشهم الذي خفقت له   شم الانوف وكل مجحاج سري
لا افضل السمح الذي ارهاقه   انست سماح الوضاح وابن المنذر
لا اكرم المعطاء من احسانه   ازرى على كسرى الملوك وقيصر
ذو الهمة العليا التي قد نال ما   عنه تقصر همة الاسكندر

وحيث كان اولائك السادة تلزمني طاعتهم ولا تسعني مخالفتهم
تغير العقل وهو بالتحير احرى والهمت نفسي ان اقدم رجلا واؤخر اخرى
وعذرتهم وما عذلتهم ولسد در القايل

لعمر ابيك ما نسب المعلى   الى كرم وفي الدنيا كريم
ولاكن البلاد اذا اقشعرت   وصوح نبتها رعي الهشيم

ثم فكرت في الحواء وانا منفرجادة الصواب فرايت اعلم احب فما ادريت
ما يجب مع كوني لم ارس تعرض لذلك فخشيت ان يكسر الزمان لولانا
جوهرة عرضا وينفد الحدثان بعدي غرضا فتنطفي من وجه الزمان
غرته وتسقط من جبين الدهر درته فاجبتهم لذلك
مستعينا بالمليك المالك بعد ان استخرت الذي لا خاب من استخاره
واستاثرت من لا ندم من استشاره وكشفت عن ساعد الجد
في تفصيل المطلوب لاكن على حسب الطاقة والجهد واستخرجت
من اخبار مولانا خبرا يدل عليه دلالة اللفظ على المعنى والحكم على
على المعنى وسلكت من مسالك التصنيف ما هو اسهل وافصح وتجنبت
منها ما هو الطول واعسر وربما خرجت من الشي الى ما يناسبه والمناسبة الكل

١٢٨

وخاتمة

والشيء بالشيء يذكر وضممت الى ذلك اشياء مختلفة لا كنها توازيه في
ونبهت فيه على بعض فضائله وشمائله ورتبته على مقدمة وثمانية ابواب فالمقدمة
في نسبه الشريف ومحتده وحسبه المنيف ومولده والباب الاول
في انضواء الثغر لايالته واجتماع الكلمة عليه وترتيب دائرته
واعيان رعيته وذكر الوفود التي اهتمت برسم بيعته والثالث
فيما اسنى الله له من الفتح المبين ومنحه من الظفر والتمكين وذكر
تغيير الاجناد وترتيبها في الايالات لما في ذلك من مصالح البلاد
والعباد والرابع في سيرته الحسنة وذكر ما اخترع
من الامور المستحسنة والخامس في ايامه المشهورة
مع الفرنسيس التي منعهم فيها من التسويق والتنجيس [?]
وذكر انعقاد الصلح اولا وثانيا وما جر كلا العقدين عند من
القتال ثانيا والسادس في هجرته الى اقصى الغرب وما لحقه
من ما جرى من الاشياء المستغربة والسابع في الاسباب التي الجأته
الى الدولة الفرانسوية واخذ المواثيق والعهود على ان يجهزوه
الى عكة او الاسكندرية وذكر ما اتفق له معهم بعد ذلك والثامن
في خروجه من فرنسا الى البلاد الرومية واتصاله بالدولة العثمانية
واجتماعه بالحضرة العلية التي سمت بالفضائل ربوعها
وزكى عنصرها وطابت اصولها وفروعها حضرة ملكها الاعظم
وسلطانها الافخم لا زالت كعبة للامال يقصد من كل مكان سحيق
وحمى لسائر الخلق يأتونها من كل فج عميق والخاتمة
في ثناء الناس عليه وما جلبوا من المدائح اليه وما انضم الى ذلك من
مسائل مختلفة وامور مستغربة

وذو سكناه ببروسا وارتحاله الى البلاد الشامية

١٢٩

معتذرا ايها الاديب الواقف من خلل الخطأ معترفا بقصر الشيب [?] في عين
نوع الخطا شعر

أعوذ بكم من كبوة الجواد انها ... وهفوتي وانتم بالتسامح اجدر

ولا انصاف من شيم الاشراف والاديب الفصيح يغض الحسن ويستر
القبيح ولتعلم انه منقسم البال بين مكابدة زمان واحوال زمان
تغير وتقسر [?] وتكدر وتعسر كل واحد منها اصله بنفسه مشتغل وجل
اعمالهم مستغل اصبح فيه ريح النشاط راكدا واذا عظم الطارئ
لا تعذر مساعدا

ولعذر ساقت من الكرام بعذلي ... اما الكرام فما جار لا رماس
ذهب الكرام بجودهم ونوالهم ... وبقيتم انا من القرطاس

وعلى كل حال فقد انفرد الله سبحانه وتعالى بالكمال وكلانا بفاعل بفرك [?]
كيف تعتذر وانت خبير بان من عرض شعرا او وضع كتابا فقد استهدف
للخصوم واستشرف للالسن الا من نظر بعين الرضى والعدل
وقليل ما هم فيما احسن في هذا ما اجاب به العلامة ابن الوردي في ارجوزته وقوله

جل الناس لم يجنبوا في العلم ... للمن يبصروا الصبر على اللوم
ما صنعوا الا رجاء الاجر ... والدعوات وجميل الذكر
لكن من يك حاسدا لاحسد ... ولا يضيع الله حظا لاحد
والله عند قول كل قائل ... وذو الحجا بنفسه شاغل

أما المحسود الذي بالكمال للمحاسن الكلاو ببذل الاعراض لا
ويرد الحق باطلا والمتحلي عاطلا فلا نشد ان العذر غير مقبول

[illegible] ومولانا [illegible] وآله

ب

لديه ولا يستطيع احد ان يثني عليه ثناء ابدا لا عن كلف عليه وحيث انه كذلك فلا يلتفت اليه

فمن لم يرضني لعيني كحلا   فلا ارضاه لرجليّ نعلا

وانما غرضي بهذا التصنيف اثبات مجد مولانا لا غير ونظم ما امدح به من الدرر جريا على ما يمدح به مجاز مجرى التصميم وينتظم في عقود علايه من الدر النظيم وهذا اوان الشروع والابتدا وبالله التوفيق ولا هذا المغرمة في نسبه الشريف ومختوم حسبه المنيف ومولده

اقول ومن الله استمد وعليه اعتمد هو مولانا امير المومنين فخر الجاهدين رافع رايات العز والجهاد قامع اهل البغي والفساد شمس الفضل المستوي على عرش الكمال وقمر البخر الساطع في فلك السودد والفعال مركز المفاخر والمحاسن وفخر الملوك الشاهقين الصاعد معارج العلياء بكماله المنتشر في صفاح الافتخار بلسان حاله

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة   ولو تسلت اسلناها على الاسل
لا ينزل المجد الا في منازلنا   كالنوم ليس له ماوى سوى المقل
والقايل عند المجادلة في صفاح المباهلة

نحن الذين عنت رضى احسابهم   ولها على قطب الفخار مدار

من شهد بفضله جميع العالم وسلم له كل مناضل ومسالم سلطان المغرب الاوسط واميره ونشر بعدله اليمن بقطاره سكن من كل اسد زئيره سامي الذكر سيد الشمس العالمين ناصر الملة والدين مولانا ابو محمد عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن احمد المختار بن عبد القادر بن احمد بن محمد بن عبد القوي بن علي بن احمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن احمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاوس بن يعقوب بن عبد القوي بن احمد بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وعلى فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نقله الخلف عن السلف

[illegible]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

عود كتابات الامم وفيه فصل في الكلام على كتابة الامم وواضعيها وما ينجر الى ذلك وتنبيه في بيان حروف الكتابة العربية وخاتمة في احتياج الناس الى التصنيف وما يتعلق به ثم شرع فيما اشار اليه ورتبه فابلد واجاد وبلغ ما يروم الطالب للعلم وما يرتاد وفي تلك الايام تعاظم امر الحرب بين الدولة العلية والروسية واتصلت ايامها فقال مستغيثا ومادحا لمولانا السلطان عبد الحميد خان

يا رب يا رب يا رب الانام ومن   اليه مفزعنا سرا واعلانا
يا ذا الجلال وذا الاكرام مالكنا   يا حي يا من له بالفضل احسانا
يا رب ايد بروح القدس ملجأنا   عبد الحميد ولا تبغيه حيرانا
ابن الخلائف وابن الاكرمين ومن   توارثوا الملك سلطانا فسلطانا
وانصره نصرا عزيزا لا شبيه له   حتى يزيد العدا هما واحزانا
واحفظ علاه وارسل بالكريم له   من الملائك حفاظا واعوانا
وانصر به الشرع وارفع بارزا وبه   عن دينك الحق لا تعدمه برهانا
واجمع الاصحاب قلوب المسلمين على   وداده واعليه واعظم له شانا
من الصواب اصب واجعل له وجها   بطانة الخير اقطابا واركانا
واهزم وزلزل وفرق جمع شانيه   واجعل فوادهم بالرعب ملآنا
وانصر وايد وثبت جيوش نصرته   انصار دينك حفاة آل عثمانا
الباذلون بيوم الحرب انفسهم   لعدكم بذلوا انفسا وابدانا
والضاربون ببيض الهند مرهفة   تخالها في ظلام الحرب نيرانا
والطاعنون بسمر الخط عالية   اذا العدو رآها خالها بانا
والمصطلون بنار الحرب شاعلة   مطلوبهم منك يا ذا الفضل رضوانا
والراكبون عتاق الخيل ضامرة   تخالها في مجال الحرب عقبانا

١٢٠

جيش اذا صاح صياح الحروب لهم — طاروا الى الموت فرسانا ورجلانا

هم الجبال ثباتا يوم حربهم — يا ويل من يوماه العهد فوخانا

هم الليوث ليوث الغاب غاضبة — والليث لا يلتقي الا كان غضبانا

هم الاولى دأبهم شق الصفوف لوى — حملاتهم جار جيش الكفر دهشانا

الدافعون عن الاسلام كل اذى — بانفس قد غلت قدرا واثمانا

كم غمة كشفوا الم كربة فرجوا — وكم ازاحوا عن الاسلام عدوانا

يا رب زدهم بتاييد اذا زحفوا — واقطع بسيفهم ظلما وكفرانا

والق السكينة ربي في قلوب بهم — وزدهم يا الاه العرش ايمانا

وجهت وجهي الى من ما دعوت به — يا اهل بدر حماة الدين اركانا

من الاله لهم قال اعملوا وذروا — ما شئتم لكم اوجبت غفرانا

بفضلهم احمد المختار من مضر — وسيد الخلق املاكا وانسانا

كذا خليفته الصديق ملجأنا — واعظم الناس ايمانا وايقانا

وبالمكنى ابي حفص الذي انعقدت — به المعالي حتى صعبها هانا

وبالخليفة ذي النورين ثالثهم — اعني بذلك عثمان ابن عفانا

وبالامام اخي المختار ذي العلى — من في الوغى بالعدا قد صار وجانا

~~ثم ختمها بقوله~~

الاصفهد كتب بخطها

اني توسلت يا رب الانام بهم — ارجوك فضلا واحسانا وغفرانا

ثم الصلاة على المختار سيدنا — ما طارت الشيب يوم الحرب شبانا

وقد اسلفنا أنه لما انتشر في الافاق خبر خروج الامير من فرنسا واقامته في بروسا اخذ مهاجرو الجزائر يقصدونه من مواضع اقامتهم في تونس ومصر والحرمين الشريفين والشام فمنهم من كان يزوره ويرجع الى محل اقامته ومنهم من

ينتقل

ينتقل باهله اليه ليقيم عنده فكان الناس من الفريقين يتواردون على اعتابه حتى لا تخلو جمعة من وصولهم اليه وكان يتلقاهم بالبشاشة ويرتاح اليهم ويكرم نزلهم والذي يأتيه بنية الاقامة يعين له مرتبا من الدراهم شهريا يتعيش به على حسب عائلته في القلة والكثرة والذي يريد الرجوع الى اهله يزوده ويعطيه من النقود ما يبلغ به اهله ومن جملة من قصده بقصد الاقامة عنده القايد الحاج عبد القادر بوكليخة وهو الذي ذكرنا أن الامير بعثه بالخيل الى الامبراطور نابليون الثالث ولم يزل عند الامير قائما بما يشكونه وخدمه ببروسا الى ان توفي بها رحمه الله سنة احدى وسبعين ومائتين والف في ايام الزلزلة ومنهم العلامة السيد الحاج محمد بن الخروبي القلعي كان كاتبا للامير صدر امارته ثم جعله خليفة في ايالة مطيف ووقع في اسر الفرنسيس ثم اطلقوا سراحه ولحق بالشرق فحج ثم جاء الى دمشق واستوطنها الى أن انتقل الى بروسا ولم يزل مع الامير فيها وفي دمشق بعد انتقاله اليها الى ان توفي رحمه الله سنة تسع وسبعين والامير اذ ذاك في الحجاز ومنهم العالم الجليل الكاتب السيد قدور بن الرويلة كاتب الخليفة السيد محمد بن علال وكان ممن اسر في الحروب الاخيرة ثم اطلق الفرنسيس سراحه الى الشرق وقد رأيت في بعض تقاييده ما نصه ولما بلغ حضرة سيدي وسندي ومولاي عبد القادر بن محي الدين وهو بالمغرب الاقصى سنة ثلاث وستين ومائتين والف انني وصلت الى المدينة المنورة كاتبني وهناني بابيات وهي

١٣١

اخي تلك الذي قد كنت تطلبه — وقد دونه بما ترجو وترغبه

وساعدتك الليالي لا شقيت بها — فزت بوصل لست تسلبه

وطاب في طيبة الغرا مقامكم — جوار سيدنا من كنت ترقبه

يا حسن ذي مثلما قد نلت من وصل — تعلو اسعودي على نحسي فتغلبه

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده
وشكرا لمحمود والد الحميد مرسليا

وكان بلغني انه اصيب في غزوة سيدي ابراهيم من بلاد مسيرده في نخمة اذنه بجراحة
في الحرب فاجبته

افديك بالآباء بل وأميمتي   وبأحمد واخته اتقرب
واحسرتي واضيعتي واخيبتي   الام الى بعدا لكم اتلقب
وحبائبي ملاتني بعرافكم   لعلي لظى وجمارها اتقلب
هل من فطا يوما بغير جناحه   صباعدا بعرافكم يتعذب
حتى أراني في جماكم واهبا   روحي فداكم في رضاكم ارغب

ولما بلغه وصول الامير الى بروسا جاء كما قلنا اليه واقام عنده في اعزاز واكرام الى
ان توفي غفر الله له وكانت وفاته بعد وصول الامير الى بيروت فاصاد دمشق ودفن
في مقبرة السلطنة وذلك في ربيع الثاني سنة اثنتين وسبعين ثم ان الامير لما ازداد
رغابه فيما اشمأزت نفوسهم من الاقامة في بروسا لتوالي زلازلها ~~والحرب القاطع~~
~~والوطن وغيره لكل من الاسباب~~ طمحت نفسه الى سكنى بلدة ~~عربية~~ يصلح لدولي معه ثم
وقع اختياره على دمشق الشام ولما كان لا يعلم هل يحصل له الاذن في ذلك ام لا
حصل بتحقيق الغرض ثم في اول ذي الحجة من سنة احدى وسبعين سافر الى باريز
وفي الثامن عشر منه وصل الى مرسيلية على حسب ابتدا فيها الريح الاصفر يفتك باهلها
فاصيب به اصابة خفيفة وفي ايام اقامته فيها كتب الي يخبرني بوصوله واحواله
وفي ضمن المكتوب هذه الابيات

احبابي قلبي كم بيني وبينكم   من البحر وصبها قد فجات على الحد
تحار فيها القطا والعين يدركها   حتى الجهات بها تخفى عن القصد
ما كنت ادري بان الدهر يبعدكم   عني ويتركني من بعدكم وحدي
قد خانني الصبر ما أحظى بمنفعة   سوى المدامع قد سالت على خدي

والطيب

والطيب منّي في اوصافكم عبدا   ببشرى وقد فتت غير الحزن ما عندي
هل الغزال الذي اهواه يسعفني   بالوصل يوما كما قد كان في العهد
هل الشعور الذي اهواه يسعدني   بالقرب من بعد ما ابدى لنا الصد
يا ذا الشعور الذي في القلب مرتعه   ارتع به لا ترع بالصد عن بعد
اني وان كنت مني نائيا فلقد   ارضى بطيف خيال منك لا يجدي

ثم توجه من مرسيلية الى باريز فتلقاه الامبراطور ورجال الدولة بالاجلال والاكرام
والابهة التامة والزينة الباهرة ووقع مجيئه الى باريز بعد ان وصل الى البلاد
الاسلام وقعا حسنا عند كافة شعب فرنسا واحزابها واتفق اول وصوله
جاء خبر فتح سواستبول وبشرى انتصار جنود الدول المتحابة على الروس فعظم
السرور وتمت اسباب الازدهاء والحبور ثم عرض على الامبراطور امره في الانتقال
~~من بروسا الى دمشق الشام واعتذر اليه في سكنى بروسا بما ذكرناه~~ انما فعل
الامبراطور اعزازه واجابه الى سكنى دمشق وانقلب راجعا الى الاستانة ورفع
الامر الى الدولة العلية فوافقته على ما اراد وصدرت اوامرها الى والي دمشق ان
يستعد للاقامة واعداد محل لائق لسكناه وفي ايام اقامته بالاستانة كتب الى ابنته
عمدة ام البنين والدة

اقول لمحبوب تخلف من بعد   وجيعا باوجاع الفراق وبالبعد
اما انت حقا لو رايت صبابتي   لهان عليك الامر من شدة الوجد
وقلت ارى المسكين عذبه النوى   وأتلفه شوقا الى منتهى القصد
وشاك ما قد نلت من سوء خلفتي   وقلت جا للشوق اضنا من بعد
فاني وحق الله دائم لوعة   ونار الجوى بين الجوانح في وقد
غريب اسير الشوق مكلوم بالحشا   حريق بنار الهجر والوجد والصد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

غريق حريق هل سمعتم بمثل ذا ... ففي القلب نار والمياه على الخد
حنيني انيني زفرتي ومحرقتي ... دموعي خضوعي قد ابانوا الذي عندي
ومن عجب صبري لكل كريهة ... وحملي لاثقال تجل عن العد
ولست اهاب البيض كلا ولا القنا ... بيوم تطير الهام للبيض كالحمد
ولا هالني زحف الصفوف وصوتها ... بيوم يشيب الكهل فيه مع المرد
وارجاؤه اضحت ظلاما وبرقه ... سيوف واصوات البنادق كالرعد
وقد صالني بل قد اجاض مدامعي ... واضنى فؤادي بل تعرى عن الحد
فراق التي اهواها كهلا ويافعا ... وقلبي خلي من سعاد ومن هند
تحلت محلا لم يكن حل قبلها ... وصيهات ان يحلل به الغير من بعد
وقد عرفتني الشوق من قبل الهوى ... كذا والبكا يا صاحبي بالقرب والبعد
وقد كلفتني الليل ارعى نجومه ... اذا نامت الرتاع بالبعد والصد
فلو حملت رضوى من الشوق بعض ما ... حملت لذاب الصخر من شدة الوجد
الا هل لهذا البين من اخر فقد ... تطاول حتى خلت حال من الحد
الا هل يجود الدهر بعد فراقنا ... فيجمعنا والدهر يجري الى الضد
واشكوك ما قد نلت من الم وما ... تحمله ضعفي وعالجه جهدي
لكي تعلمي ام البنين بانه ... فراقك نار واقتراب من الخلد

ذكر انتقال الامير الى دمشق وما صادفه من الاحتفال فيها وفي طريقه اليها

ثم بعد ان اتم ما ربه في الاستانة اتى بروسا واخذ يتهيأ للانتقال ٢ وفي خامس ربيع الثاني خرج منها بمن معه وكانوا مائتي نفس فركب بهم باخرة فرنساوية الى بيروت وبعد وصوله اليها اقام بها اياما لاخذ الراحة واهتزت بيروت لملاقاته واحتفل ~~بقدومه~~ احتفالا عظيما وطار خبره في انحاء سورية فاحتفل امراء الدروز واعيانهم لاستقباله في جبل لبنان ولما بلغهم خبر خروجه من بيروت

في ٢٢ … داود واصف باشا

فاصوا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فاصوا الى دمشق جمعوا جموعهم ورتبوها من الطريق الجادة التي يمر بها ولما قرب منهم اقبلوا بهرولون اليه والبواعل بيد الكرامة يقبلونها ثم اخذت تلك الجموع في طلق البنادق فيخاله السامع انه حسيس الصواعق وساروا عن يمينه وشماله وبين يديه يرتجزون وينشدون المدائح على حسب اصطلاحهم الى ان وصلوا به الى محل ~~الضيافة~~ الضيافة التي اعدوها له وبات عندهم يبيت معه تلك الليلة في غاية الارتياح والانشراح وطلب منه ان يقيم عندهم اياما فاعتذر اليهم وشكر صنيعهم وعند الوداع قام كبيرهم ~~خطيبا~~ وقال ايها الامير الجليل ان حسن صيتك جلل الوجود وهتف به الوالد والمولود وكانت نفوسنا ترتاح عند سماع اخبارك وذكر وقائعك وحروبك والان لله الحمد قد ابتهجت قلوبنا برؤيتك وعظم سرورنا بمشاهدتك فاجابهم الامير بما ملا صدورهم حبرة ومسرة ثم ودعهم وسار بمسيره امير منهم في ثلة من فرسانهم يمشون بين يديه احلالا لمقامه علاوة في العسكر الخيالة الذين عينتهم حكومة بيروت للسير في خدمته الى دمشق ولم يزل الامير في خدمة الامير الى ان انتهى الى بقاع العزيز فحينئذ ودعه ورجع الى وطنه واستمر الامير سائرا وطار الخبر لحكومة دمشق فخرج الوالي ~~…~~ العسكرية بمن دونهم من ذوي المناصب والمامورين واشراف البلد وعلمائها واعيانها ووجهائها الى ~~…~~ قرية دمر مسافة ~~…~~ بعيدة من البلد وهناك استقبله الجميع بالاجلال والاحترام والعساكر في الابهة والزينة وانقلبت الجموع من اهل البلد وقراها من ذلك الموضع الى الصالحية وسار الامير في ذلك الموكب العظيم بين تلك الجموع التي يقف الطرف دونها الى ان نزل في المحل المعد لنزوله وقامته ~~…~~ موقت ~~…~~ بيها بين البلد والصالحية وبالجملة فقد دخل الامير الى دمشق في يوم اخذ زينته من حسنه ولم يبق احد الا والمهابة ملأ عينيه وقد ذكر بعضهم انه لم يدخل دمشق امير حربي مثل ذلك الدخول منذ مئين من السنين وكانت الدولة العلية صدر امرها الجامع كما قلنا سابقا الى والي

امراء الدروز

الاوريل … المولى … للامير …

٣٢

محمود … بك … رئيس

اطفيش

…

ان تتخير الامير دار الاقامة اللائقة بمقامه فلما وصل الامير اخذ الوالي ينظر في الدور
دار العقاقيبي الشهيرة ايامئذ وقع اختياره واختيار الامير معا على محل الحكومة الثانية وهو يشتمل
على دارين احديهما تلي الاخرى بينهما باب من داخلهما وبعد انتقال الحكومة
سكنهما الامير ابو الغنى في دمشق عصارة حاله واتخذها دار اقامته في حالة واستقباله
وحمد الله تعالى الذي انعم عليه وجعل مآل امره الى دمشق الفيحاء وغوطتها الواسعة
الارجاء بلدة خيم الاسلام فيها اول وحله واستوعب من مواردها العذبة علّه
ونهله بلدة جمالها يدخل على القلب السرور ويسحر العقل حتى كانه من نشوة
الفرح مخمور بلدة كافيل وبقال هي احد منتزهات الدنيا الاربع يطيب بها
العيش لمن في ربوتها يرتع وجعلك لكل روض فيها للغصن مهيع فيرى احسن
مرأى والشهي مسمع كما قال ابو المعالي الطالوي فيها

حمى الشام جاد الغيث ما حل تربه … معاني الهوى فيها مغاني احبتي
وباتت باعلى النيربين مع الصبا … نطارحها ذكرى عهود بربوة
على نهر حصباؤه الشهب فوجري … خلال سما روضاته كالمجرة
يجاوب سجّام الحمام خريره … فتصغي له الورقا من فوق ايكة

والكلام في ارجاء دمشق وذكر محاسنها لا يحصى ولا يحصر وما قاله الشعراء فيها قديما
وحديثا اشهر من ان يشهر وان اهل دمشق ما عليه الامير من مكارم الشيم ومعالي
الهمم والمساعي المحمودة الاثر والعلوم الزاكية الثمر ~~الفائقة الغرر~~ الغرر الفريدة لكمال
~~[illegible]~~ التي يضيق عن ذكرها نطاق الارقام وتكبو عندها اقدام الاقلام
سارعوا اليه اسراع الكرام ليحيوه فكان يبادرهم بنجاح مقاصدهم باشارته قبل
ان يستفزهم بها صريح عبارته واستخلص الامتزاج واهل العلم لولائه وربطهم باحسانه
بفواضل نعمائه بما تواترت لهم في التردد اليه قدم ولا تعطل لهم في مدحه والثناء عليه قلم

ذكر

بعد حصول عائلته
تعنتر تركها في
بيروت وجيئه
اولاده واهلها
ثم قبضه حصا
زالت العائلة
وعهد العكة
خمس عشر يوما
والظاهر ان
الحكومة ان
كانت في بيروت
اوائل

المحاسن
والمناقب التي

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ابقاه الله مدى الدوام وحرسه من نوائب الليالي والأيام ما غنى الهزار وناح الحمام بجاه الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وبناء على ما شوهد من حسن خصاله وجودة اخلاقه وكثرة افضاله قلت مادحا مناقبه العريده واوصافه الحميده بهذه القصيده وهي

لباب مولاي عبد القادر ابتدرت   ابيات مدح احاسن احرف الكلم

هذا الامير الذي باهى الزمان به   والطاهر الاصل والآباء والشيم

هذا الامير الذي سارت فضائله   في الارض اشهر من نار على علم

انعم به من امير ماجد فطن   قد خصه الله بالاحسان والكرم

مولى له في سماء المجد منزلة   رفيعة الشان لم تدرك ولم ترم

فريد عصر تسامى عن مماثلة   في الحزم والعزم والآراء والهمم

حلو الشمائل ممدوح الخصال كشاف المعاضل ماضي السيف والقلم

ذي المعارف في اعتابه اجتمعت   وكل فن من الاداب والحكم

الجامع العلم مثل الروض مزدهرا   لما جرت فوقه ايديه كالديم

والجامع الحبر نور للعيون بما   تختشى الضلال بداجي ليلها الغتم

لجوده في البرايا كل مكرمة   والثناء عليه كل منتظم

تثني عليه دمشق الشام ما انتشرت   في سيحه فيصوب لبلا نعمة الحزم

زهت بهمته العلياء واكتسبت   فخرا على كل من العرب والعجم

احيا ذكرا ليوم النشور بها   تكاد تعزوه الاموات في الرجم

احيا النفوس باذن الله حين لقي   شر العداة ولم يسمح بسفك دم

اتى به الله لهف المستجير فمن   يحمي غدا كمن حل في حرم

يا ايها السيد المرهوب جانبه   والمرتجى غوثه في الاعصر الدهم

هاك الكتاب الذي لو كان يمكنه   سعى على الراس طوعا لا على القدم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

يرجو لديك قبولاً طاب مورده | فذاك يحسبه من أعظم النعم
لازلت في درجات العز مرتقيا | في صفو عيش رغيد غير منصرم
واسلم ودم ما سرى نجم وما طلعت | شمس وما غرد الشحرور بالنغم

ولما فرغ الأديب رزق الله حسون من تأليف ديوانه المشتمل على نظمه ونثره على لسان الطير والبهائم الذي سماه النفثات أهداه إلى الأمير وكتب إليه

أمولاي عبد القادر السيد الذي | وقانا الوجيه الله شانيك أبتر
كتاب وقد قدمته مهديا إلى | علاك ليحظى في الورى حين ينشر
وأحلى جمال الشعر فيه الشاعل | مكارمك الغراء مدى الدهر تشكر
هدية عبد يرتجيك قبولها | لنسخة جود من سليمان تذكر
وإن كانت النزر القليل فإنها | لجملة ما لي والمقل ليعذر

ثم كتب في آخر هذا الديوان قصيدة ذكر فيها رحلته إلى القوقاس ومدح الأمير فيها فقال بعد أن أنهى الكلام عن رحلته

وبت أعتزم الإياب على | رغم الرزايا ونكبة كبرى
شربت ريثما استفقت من كدر | منتعشا وكأنني كسرى
أنشد مدح مولاي عبد القادر العربي معتزا
واحد آحاد عصرنا شرفا | ومجدا والسميدع البرا
ذو نجدة في العظام يسعفنا | به استجار ليغلب الدهرا
أكرم من يهب الكثير ومن | يأوي اليتيم ويكشف الضرا
له الأيادي التي تدوم على | طول المدى والمكارم الغرا
لمدحه دعاه ألهمتنا | في حلق يوم فيها غدرا
والناس يعلم أنني رجل | بلوت كل البلاد والزمرا

اقو

أوامر الشريعة السنية والروية الإنسانية فإن شريعتنا متممة لمكارم الأخلاق فهي مشتملة على كل المحامد الموجبة للائتلاف اشتمال الأطواق على الأعناق والبغي في كل الملل مذموم ومرتعه وخيم ولكن .. يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن فإنا لله وإنا إليه راجعون على فقد أهل الدين وقلة الناصر للحق والمعين حتى صار يظن من لا علم عنده أن أصل دين الإسلام الغلظة والقسوة والبلادة والجفوة فصبر جميل وبالله المستعان ومنذ زمان بلغنا وصولكم عند ملك روسيا وأنه فعل معكم ما هو أهله من الإحسان وأنزلكم من الإكرام أرفع منزل ومكان وسمعنا أنكم طلبتم منه تسريحكم إلى الحرمين الشريفين فنسأل الله أن يجيب مطلوبكم ويبلغكم مرغوبكم وامبراطور روسيا من أعظم ملوك الأرض شأنا وأحرصهم على تقليد المعاظم بطول الرجاء فنرجو لكم من حضرته الفخيمة حصول الأرب بلا نصب ولا تعب كما فعل معنا الامبراطور نابليون الثالث فإنه فعل معنا من سني الأفعال ما لم يخطر لنا ولا لأحد ببال والمرجو في الحقيقة هو الله لا معبود سواه والسلام حرر في أول جمادى الأولى سنة سبع وسبعين ومائتين وألف فكتب إليه الغازي شمويل ما نصه إلى ذي النسب الطاهر واللب الباهر السيد عبد القادر عليكم السلام الأسنى ولكم الدعوات الحسنى أما بعد فقد بلغني كتابكم الشريف برضيت عنكم ورضي الله تعالى عنكم حيث ذكرتموني بخير ثم إن ما بلغكم من طلبي من الامبراطور العظيم أن يأذن لي في زيارة الحرمين الشريفين والسكنى في الحجاز أو القدس هو كما بلغكم وإني سترقب دائما حصول أربي هذا من جنابه السامي ومشتاق إلى تلك المواطن المباركة طول عمري وخصوصا الآن لأني بلغت من العمر إلى السبعين سنة وضعفت قوى نفسي وأنا خائف من حلول الأجل قبل حصول الأمل مع أنه ليس لي مقصود في أخرى الدنيا أعلى وأهم من ذلك ثم الموت على الإيمان في الحرمين مهبط الوحي والغبراء والتمس أوصيكم بالدعاء والسلام حرر في بلدة كالوكه سنة اثنتين وثمانين كتبه أخوكم في الله الشيخ الهرم شمويل الداعي لكم كثيرا وهذا نص مكتوب

١

٠اخرمنه الا الامير ال اكرم الكرماء واشرف الشرفاء الحائز لشرفي الحسب والنسب سلالة
سيد المرسلين المختص بمزيد عناية الملك المعين السيد الغازي عبد القادر افندي
السلام عليكم والرحمة والرضوان بحرمة سيد الانس والجان ٠امين اما بعد فلما طال
انقطاع مخابرتنا وعدم اطلاعنا على احوال ذاتكم العليه واخبار ركن الشريعه ارسلنا هذا
مستخبرين عن ذواتكم الكرام عسى الله ان يحفظكم مما يوجب الحزن مدى الدهور والاعوام
بحرمة سيد الانام وكنا قبل هذا ارسلنا مكتوبا في مقابلة مكتوبكم السامي الذي تشرفنا
بمجيئه في السنة الماضية فلعل الله جمعنا عن قريب وانا نتوقع المحاربة بين الدولة هذا
العلية والروسيه بالنظر الى القرائن الظاهرة فنسئل الله ان يرزق النصرة لاهل الاسلام
لاحياء شريعة سيد الانام وان وقعت هذه المحاربه فعسى الله ان يرزقنا اللقاء ويجعلنا
من اهل الجهاد والسلام حرر يوم الاربعاء الثاني عشر من رجب سنة ثلاث وتسعين
وانا الفقير الغازي محمد شمويل

الموالد حوره وعبد الشلو ... محمود الرحيمي سليم

ارجاف من النصارى وهذا كان من الباشا عن ما يعتقده في اهل البلد وما يتلقاه
اظهر نسية قطعة سليم بك من اعيانها ~~فلما الجميع كانوا على ثقة من قومهم انه لا يعودون اهل دمشق انهم اثاروا~~
~~فتنة او صنعوا شيئا ينافي الراحة والامن الشرقة انقيادهم لطاعة الدولة العليه~~
~~ولم يعلموا ان الغوغاء كانوا يتربصون حصول الرعاع يترقبون الفرصة ويتحينون~~
~~الوقت المناسب لاظهار ما يضمرونه~~ ثم تفاقم الامر بين النصارى والدروز في جبل لبنان
وتغلب الدروز على الجبل وحرقوا زحله ودير القمر وغيرها من القرى العظيمه فزادت هذه
الاحوال في مرض قلوب السفهاء من اهل دمشق وبعثوا الى الدروز يغرونهم على النصارى
بلدهم ويعدونهم بمساعدتهم ويرغبونهم في اموالهم وذخائرهم النفيسه فوعدوهم
١٣٧ بالاجابة الى مطلوبهم بعد انتهاء امر الجبل والفراغ من القتال فاتصل هذا الخبر
بالامير فوجه له ثم استاذن من المشير احمد باشا في طلب امراء الدروز الى بعض القرى
خارج البلد والاجتماع بهم ليعظهم ويحذرهم سوء عاقبة ما عزموا عليه فاذن له
في ذلك وخرج اليهم وتكلم معهم بما اثر فيهم وجعلهم يذعنون لنصائحه ووعدوه
فيها بانهم لا يحركون ساكنا في دمشق ولا يثيرون فتنة ولما كان مراد الله لا يرد وقضاؤه
لا يصد تمادى اولاد المسلمين على العبث بالصليب ولم ينجع فيهم نهي الحكومة
عن ذلك ولا نشرة انتقامها ممن يفعله وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من ذي الحجة
سنة ست وستين ومائتين والف عثر شرطي من جملة على صبي يلعب بصورة الصليب فاخذه
الى الحكومة فامرت ان يعمل به ما هو جار على امثاله فساقه الشرطي الى محلة النصارى
اسوق في يده الة التكنيس ليكنس في ازقة المحلة ومر به على باب البريد فرآه اخوه
وهو من اهل ذلك السوق فقام من دكانه وقام لقيامه جيرانه واخذوا الصبي من يد الشرطي
وكثر اللغط وماج الناس بعضهم في بعض وكثر الصريخ في انحاء البلد والضجيج
وجعل السفهاء ينادون في الازقة هلموا الى محلة النصارى للجهاد واخذ الناس يتقاطرون

من كل جهة الى المحلة المذكورة وينسلون اليها من كل حدب ومدوا ايديهم الى اهلها بالقتل
والى اموالهم بالنهب والسلب والى منازلهم ودیارهم بالحرق والدمار وعندما اتصل الخبر بالامير
ركب وقال هذا الذي كنا نحذره ونحذر قومنا منه انا لله وانا اليه راجعون ولما وصل الى المحلة
وراى الالسنة اللهيب ممتدة من المنازل والبيوت فجعل ينهى اولائك الدعار عن افعالهم
القبيحة فلم يسمعوا له نصيحة وتمادوا على افعالهم الشنيعة ولم يقدر الاعلام انفاذ
من يتكفل انفاذه فاتى بقناصل الدول ومعهم جم غفير من الجند ثم بعث المغاربة
فاتوا بكل من عثروا عليه من النصارى من غير استثناء ثم جعلوا يلتقطونهم من كل ناحية
ويسوقونهم محفوظين وكان الامير اخبر الباشا قبل ذلك ان المغاربة لا سلاح عندهم
فاجابه اذا جاء الوقت المقتضي لذلك نعطيهم ما يحتاجون اليه فلما كان اليوم الثاني من الواقعة
بعث اليه فيها وعودا وارسل في الحال عددا من السلاح والغشك واستقصى
المغاربة بامر الامير في جمع النصارى والتقاطهم حتى انهم كانوا ياتون بهم من الكنائس والابار
والمخابئ والاقبية ومن وسط المنازل المشتعلة نارا وذلك ان النصارى كانوا يقتحمون
النار ولا يسلمون انفسهم الى اهل دمشق فاذا سمعوا كلام المغاربة خرجوا اليهم فياتون
بهم محفوظين الى بيت الامير وفي اليوم الثالث اجتمع السفهاء من البلد والضواحي
وجمهروا عند باب الدار فاحسب الهجوم عليها فركب الامير اليهم فلما راوه القى الله
الرعب في قلوبهم ورجعوا على اعقابهم ناكصين ولما ضاقت دار الامير على الناجين
اخذ يسلمهم الى القلعة باذن الحكومة فاجتمع عنده وفي القلعة نحو الخمسة عشر الف
نفس ثم لما خافت نفوسهم مما هم عليه طلبوا من الامير ان يبعثهم الى بيروت فاجابهم
الى ذلك وحمل يسلمهم فوجا بعد فوج بمحافظة المغاربة واستمرت الفتنة قائمة
ونارها موقدة اربعة عشر يوما كان الامير فيها مشتغلا بالسعي في اطفائها باذلا
جهده في قطع اسبابها حتى انه لم يدخل الى بيته في هذه الايام المذكورة وانما كان يجلس

عن مجاهدة في دهليز داره ايام الاقبال من الليل والباعث له على مقاساة هذه الشدائد
انما هو تاييد الدولة العلية والدفاع عن حوزتها اعطاء للخدمة حقها وللتابعية مستحقها
ولولم يقف في وجوه الدعار والغوغاء لاستاصلوا النصارى واستلحموهم وبذلك تقع للدولة
من الارتباك ما لا يخفى على ذي عقل سليم ولعناية الله تعالى بصاحب الخلافة العظمى
ورعايته لسلطنته الكبرى لم يقع ما يلحق بدولته العلية ضررا او يجد به العدو
ما يدخل به فيها خللا ولم يزل الامير يعاني تلك المشاق الى ان حضر صاحب الدولة فؤاد باشا
وزير الخارجية الى دمشق فاول وصوله اجرى فيها حكومة عرفية وقبض على الوف من اهلها
حتى امتلات بهم السجون والتكايا وامر برد المسلوبات وعين مجالس مخصوصة لذلك
في محلات البلدة واغلب الناس جمعوا اكثرها واجرى ما امر باجرائه من امعان النظر
وتحقيق الدعاوى وتمييز المرتكب من غيره ثم فعل ما رآه صوابا واقتضته السياسة
فقتل من ثبت عليه القتل ومن اوقد نار الفتنة ونفى جماعة من الاعيان والعلماء
لتقصيرهم في ملافاة الامر وتغافلهم عن كف الغوغاء ولم يقبل لهم عذرا من اعذارهم
وباقي عامة الدعار والغوغاء اخذهم في الاغلال الى الاستانة فانخرطوا في سلك العساكر
النظامية ثم عقد مجلسا عسكريا للنظر في امر احمد باشا وجماعة من رؤساء العسكر
مع مقتضى السياسة والامان ~~...~~
فوقع الحكم عليهم بالقتل ~~لتقاعدهم عن ...~~
~~الفساد والمعاونة عليه ... والجهاد~~ فقتلوا والامر لله ذلك تقدير العزيز العليم وبالجملة
فان فؤاد باشا قد اجرى امورا قسرية واحكاما قهرية ~~...~~ خارجة عن معهود العادة وبذلك
توصل الى ~~...~~ التوفيق بين البلاد واهلها ~~...~~ والاخذ بقيادها الى الطاعة السلطانية
ثم توجه الى بيروت فقبض على امراء الدروز واعتقلهم ثم بعث بهم الى الاستانة ومنها
نفوا الى دواخل الروم ايلي ومع هذا كله ومما يطول ذكره فان دولة فرنسا بعثت عشرة
الاف جندي الى بيروت وخيمت خارجه في الحرش ثم في لبنان وكذلك غيرها من الدول

بعد ... ودعاد
وعن العواقب المعتاده

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله الحسنى

العظام، فمنها من ارسل المراكب الحربية الى بيروت ومنها من بعث معتمدين من طرفه للنظر فيما وقع
ثم استحسنت الدولة العلية باتفاق الدول على وضع نظامات وقوانين لاهل جبل لبنان
وان تتحول احكامهم الى حاكم نصراني منصوب على الجبل ليكون متقربا فيه ومخابرا الباب العالي
واساً فتوجهت وفتشت المتفرجية على داود باشا الارمني واستتبت الراحة في سورية
اجمع وعم الهدوء سائر انحائها وارتحلت جنود فرنسا من بيروت ولبنان ولحقت ببلادها
واقلعت المراكب الحربية راجعة الى مراسيها ثم ان فؤاد باشا التمس من الامير بخيارله
اربعمائة خيال من المغاربة ليكونوا في خدمة الدولة العلية فأجابه الى ذلك وعين السيد
محمد بن يحيى اخو الحسنى ومنيبا عليهم وبعد ان تمكن فؤاد باشا من امره وبلغ من الناس
المراده اخذ من اهل دمشق سلاحهم ووضع عليهم ضرائب باهظة لتعويض ما تلف
سبعها وغيرهم من امتعة النصارى واثاثهم وذخائرهم وحكمت الدولة بذلك الصالح والطالح
واتعوا فتنة لانتصيب الذين ظهروا منهم حاصة ولما اتصل بالحضرة السلطانية تحقيقه
ما تعبى في هذه الواقعة الهائلة وما وآل الامر اليه وما اجراه الامير في سبيل حماية
واداء واجبه ومنيبا ما يواجب خدمته اظهر رضاه العالي بفعله وانعم عليه بالنيشان
المجيدي من الرتبة الاولى جعلته عنوانا على رضاه وحسن التفاته وقبوله
ثم عززه الشان بفرمان شريف هذه صورته

انعم به من امير ماجد وطني قد خصه الله بالاحسان والكرم
مولى له في سماء المجد منزلة رفيعة الشان لم تدرك ولم ترم
فريد عصر تسامى عن مماثلة في الحزم والعزم والاراء والهمم
حلو الشمائل ممدوح الخصال كشاف المعاضل ماضي السيف والقلم
ترى المعارف في اعتابه اجتمعت وكل فن من الاداب والحكم
الجاهل العلم مثل الروض مزدهرا لما جرت موفقة ايديه كالديم
والجاعل الخير نورا للعيون بما تخفي الضلال بداجي ليله القتم
لجوده في البرايا كل مكرمة وللثناء عليه كل مزدحم
تثني عليه دمشق الشام ما انتشرت في مسجد فيمسونه للالاء نفحة الحرم
زهت بحضرته العلياء والتثبت بجزاعتركل من العرب والعجم
اقام ذكرا الى يوم النشور بها تكاد تغزوه الاموات في الرجم
احيا النفوس باذن الله حين كفى شر الطغاة ولم يجمع بسفك دم
اتى به الله كهف المستجير لمن يحمى بجا كحام حل في الحرم
يا ايها السيد المرهوب جانبه والمرتجى غوثه في الاعصر الدهم
هاك الكتاب الذي لو كان يمكنه سعى على الراس طوعا لا على القدم
يرجوا الرضا قبولا طاب مورده فذاك يحسبه من اعظم النعم
لا زلت في درجات العز مرتقيا في صفو عيش رغيد غير منصرم
واسلم ودم ما سرى نجم وما طلعت شمس وما غرد الشحرور بالنغم

سنة احدى وستين وثمانمائة والف

١٢٩

الحمد لله وحده وصلى الله على

ارجاف النصارى وهذا كان من الباشا مغريا بجيشه في اهل البلد من الاذعان وما يلقاه
من اعيانها ثم تفاقم الامر بين النصارى والدروز في جبل لبنان وتغلب الدروز على الجبل وحرقوا
زحلة ودير القمر وغيرها من القرى العظيمة وزادت هذه الاحوال في مرض قلوب سفهاء دمشق
وبعثوا الى الدروز يغرونهم على نصارى بلدهم ويعدونهم بمساعدتهم ويرغبونهم في اموالهم وذخائرهم
فوعدوهم بالاجابة الى مطلوبهم بعد انتهاء امر الجبل والفراغ من القتال فاتصل هذا الخبر
بالامير فوجم له ثم استاذن المشير احمد باشا في طلب امراء الدروز الى بعض القرى خارج البلد
والاجتماع بهم ليعظهم ويحذرهم سوء عاقبة ما عزموا عليه فاذن له في ذلك فخرج اليهم
وتكلم معهم بما اثر فيهم وجعلهم يذعنون لنصائحه ووعدوه بانهم لا يحركون في دمشق
ساكنا ولا يثيرون فيها فتنة ولكن كان مراد الله لا يرد وقضاؤه لا يصد فوقعت بواعث
الفتنة وتمادى اولاد المسلمين على العبث بالصليب ولم ينجع فيهم نهي الحكومة
عن ذلك ولا سطوة انتقامها ممن يفعله وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من ذي الحجة
سنة ست وسبعين ومائتين والف وجد شرطي صبيا يلعب بصورة الصليب فاخذه
الى الحكومة فامرت ان يفعل به ما هو جار على امثاله من الانتقام فساقه الشرطي الى
محلة النصارى وفي يده آلة التنكيل ليكنس بها في ازقة المحلة ومر به على سوق باب
البريد فرآه اخوه فغاب عن احساسه ورمى بنفسه من الدكان على اخيه وقام جيرانه
لقيامه واخذوا الصبي من يد الشرطي وكثر اللغط وماج الناس بعضهم في بعض وكثر
الصريخ في انحاء البلد والضجيج وجعل السفهاء ينادون في الازقة هلموا الى الجهاد
في محلة النصارى واخذ الناس يتقاطرون اليها من غير تامل ولا روية واسرع العامة
ومدوا ايديهم الى اهلها بالقتل والى اموالهم بالنهب والسلب والى منازلهم ودورهم بالحرق
والدمار وعندما اتصل الخبر بالامير قال هذا الذي كنا نحاذره وتحقق النفس منه انا لله وانا
ثم إليه اليه راجعون ولما وصل الى المحلة وجدها في هرج ومرج ورأى السنة اللهيب متصاعدة من المنازل

سنة ٩ وجد السلطان بيروت ٢ محمود الى الحلبي

والبيوت والغرفات بين قائل وناهب فجعل ينهى اولائك الاوغاد عن تلك الافعال القبيحة
فلم يسمعوا له نصيحة وتمادوا على ما هم عليه ولما يئس من رجوعهم عن غيهم اخذ يخلص من
النصارى من يتمكن انقاذه فاتى بفضل الدول ومعهم جم غفير من الاعيان وغيرهم الى بيته
ثم بعث المغاربة فاتوا بكل من عثروا عليه من غير استثناء ثم رجعوا الى المحلة مرة ثانية
وجعلوا يلتقطون النصارى من كل ناحية ويأتونه بهم محفوظين الى البيت وكان الامير اخبر
الباشا ان المغاربة ليس عندهم سلاح فوعده باعطاء السلاح عند المقتضى له فلما كان
اليوم الثاني من الواقعة بعث اليه فيما وعده به فبعث في الحال عددا وافرا من السلاح
وعلب البارود واستقصى المغاربة بامر الامير في جمع النصارى من الكنائس والابار والمخابئ
والاقنية ومن وسط المنازل المشتعلة نارا وذلك ان النصارى كانوا يقتحمون البيوت
التي توقد بالنار ويحمون انفسهم الاهل دمشق فاذا سمعوا كلام المغاربة خرجوا
اليهم فياتون بهم الى بيت الامير وفي اليوم الثالث اجتمع السفهاء من البلد والصالحية
وتجمهروا عند باب الحارة فاضمروا الهجوم علينا وركب الامير اليهم فلما رأوه القى الله
الرعب في قلوبهم ورجعوا على اعقابهم وذهبوا افواجا الى بيوت الاعيان الذين حموا النصارى
عندهم فبعثوا الى الامير يستغيثون به فارسل اليهم فرقا من المغاربة لحمايتهم من اولئك
الرعاع ولما ضاقت ديار الامير عن الهاربين مع تعددها واتساعها اخذ يرسلهم الى
القلعة باذن الحكومة فاجتمع عنده وفي القلعة نحو الخمسة عشر الف نفس ثم
لما طال الامر وضاقت نفوسهم مما هم عليه طلبوا من الامير ان يبعثهم الى بيروت فاجابهم
الى ذلك وجعل يرسلهم افواجا بعد فوج بمحافظة المغاربة واستمرت الفتنة قائمة ونارها
موقدة اربعة عشر يوما كان الامير فيها مشتغلا بالسعي في اطفائها باذلا جهده
في قطع اسبابها حتى انه لم يدخل البيت في هذه الايام المذكورة وانما كان يجلس على سجادة
في دهليزها لا ينام من الليل الا قليلا والباعث له على مقاساة هذه الشدائد انما هو

الغيرة